الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان

الجزء الثالث

CHECKED - 1963

لوامع البيان

في تفسير القرآن

من تاليفات السيد الامام العلامة بحر العلوم اشرف العلماء السيد اشرف الشمسي حيدرآبادي مدظله العالي ابن العالم الكامل السيد علي المدعو بمحمد الملقب بالمحي رحمة الله تعالى عليه للعلم الكلية الجامعة العثمانية من اهتمام سلطان الواعظين زين العلماء مولانا السيد مرتضى زاد فضله وكمالهم

المنتظم السيد جلال يد المحي

مطبوعة شمس الاسلام برس حيدرآباد دكن

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان

الجزء الثلاثون من

لوامع البيان

في تفسير القرآن

من تأليف السيد الامام العلامة بحر العلوم أشرف العلماء السيد
أشرف الشمسي الحيدرآبادي بن مظهر الحق الزاهد الكامل
السيد علي رحمه الله تعالى عليه المعلم الكلية الجامعة المعقولية
من اهتمام سلطان الواعظين زين العلماء مولانا
السيد مرتضى زاد فضله وكماله
المنتظم لسلك المدرسين اللاهي

مطبع شمس الاسلام حيدرآباد دكن

تعداد جلد (٥٠٠) رمضان المبارك ١٣٣٨ المرة الاولى

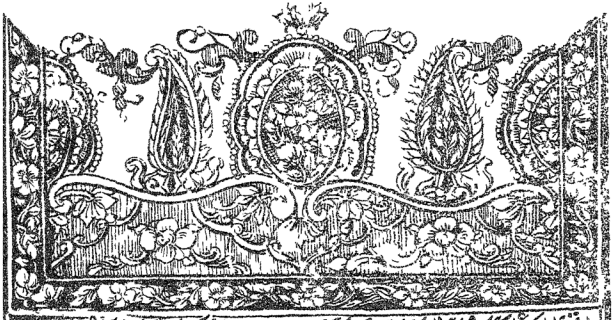

سورة النبأ اربعون اية وتسمى سورة التساؤل مكية عند الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ اصله عن ما فأدغمت النون فى الميم لان الميم تشاركها فى الغنة - هذا قول الزجاج وحذف الالف ليميز بين الاستفهام والاسم الموصول كما حذف فى قولهم فيم وبم ولم - وهذه قراءة الجمهور وقرأ عبد الله بن مسعود وأبيّ وعكرمة رضى الله عنهم وعيسى عمّا بالالف وهو الاصل - وجاء على الاصل فى شعر حسّان بن ثابت رض

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمٌ ... كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رِمَادِ

وقرأ ابن كثير والضحاك فى رواية عمّه بالحاق هاء السكت فى صورة الوقف قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى تفخيم القصّة - قال المفسرون لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبأهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت والحساب وقرأ عليهم القران تعجبوا وجعلوا يتساءلون بينهم ويقولون على الاعراض ماذا يقول به محمد وبالذى جاء به فانزل الله عمّ يتساءلون قال الفرّاء التساؤل

ھو ان یسأل بعضھم بعضًا کالتقابل و قد یجیئ بمعنی التحدیث من غیر سؤال والمراد من السائلین ھم الکفار بدلیل قولہ تعالٰی کَلَّا سَیَعْلَمُوْنَ ثُمَّ کَلَّا سَیَعْلَمُوْنَ - عَنِ النَّبَاِ الْعَظِیْمِ الَّذِیْ ای یتساءلون عن النبأ العظیم وفیہ تفخیم شان النبأ الذی کان یتساءل منہ بعضھم عن بعض - اختلف فی معنی النبأ العظیم فقال بعضھم ھو القرآن وھو ضعیف لان المشرکین لم یکونوا مختلفین فی ان القرآن ھل انزلہ اللہ تعالٰی او اخترعہ محمد صلی اللہ علیہ وسلم بسحرۃ وکھانۃ بل کانوا متفقین علی انہ مختلق مفتعل من محمد صلی اللہ علیہ وسلم وقال الضحاک المراد بالنبأ نبأ یوم القیمۃ وکذا قال قتادۃ - وذھب الاکثرون الی ان المراد بہ یوم القیامۃ لان اللہ تعالٰی سمّی یوم القیامۃ بیوم عظیم کما قال اللہ تعالٰی اَلَا یَظُنُّ اُولٰٓئِکَ اَنَّھُمْ مَّبْعُوْثُوْنَ لِیَوْمٍ عَظِیْمٍ یَّوْمَ یَقُوْمُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعٰلَمِیْنَ - ھُمْ فِیْہِ مُخْتَلِفُوْنَ - ای فی ذلک النبأ - لان المشرکین اکثرھم کانوا ینکرون البعث والنشر - والمختلفون علی اتحاء فمنھم من کان ینکر صانع العالم مثل ارباب الطبیعۃ فھو ینکر المعاد والحشر والیہ اشار اللہ سبحانہ وَمَا یُھْلِکُنَآ اِلَّا الدَّھْرُ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِیْنَ - ومنھم من کان یقرّ بصانع العالم الا انہ کان ینکر اعادۃ المعدوم وھو جعلھا مخالفۃ لبداھۃ العقل کما ذکر اللہ تعالٰی قولھم اَءِذَا مِتْنَا وَکُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا اَءِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ - ومنھم من کان یظنّ اعادۃ المعدوم ولا یوقن بھا ویقول ما ندری ما الساعۃ اِنْ نَّظُنُّ اِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَیْقِنِیْنَ - وانما یعتقدون بذلک لانھم کانوا یزعمون - ان النفس تموت بموت البدن - ومنھم من کان یقرّ بالمعاد الروحانی وینکر المعاد الجسمانی کبعض الفلاسفۃ قال الامام الرازی فی تفسیرہ ان النصاری ینبتون المعاد الروحانی اما المعاد الجسمانی

فانهم ینکرونه - اقول وهذا القول ضعیف لان من طالع الانجیل یظهر ان عیسی علیه السلام کان یبالغ فی اثبات المعاد الجسمانی ویجهد فیه کما قال الحکیم الاندلسی القاضی ابن رشد فی کتاب تهافت الفلاسفة وذلک ان اول من قال بحشر الاجسام هم انبیاء بنی اسرائیل الذین أتوا بعد موسی علیه السلام وذلک بین من الزبور ومن کثیر من الصحف المنسوبة لبنی اسرائیل وثبت ذلک ایضا فی الانجیل وتواتر القول به عن عیسی علیه السلام وهو قول الصابئة وهذه الشریعة - اللهم الا ان یقال ان النصاری اعرضوا بعد المسیح علیه السلام عن هذا الاعتقاد واقروا بحشر الارواح

کَلَّا سَیَعْلَمُونَ ثُمَّ کَلَّا سَیَعْلَمُونَ - کلا کلمة ردع - وفیه تهدید وتحذیر للذین کانوا یختلفون فی وقوع یوم القیامة - والغرض من تکرار کلا التشدید فی الوعید والتهدید قال ابن مالک هذا تاکید لفظی وثم لا تضر ویابی النحاة هذا وقالوا ان ثم للتراخی والعطف ای انتم سیعلمون ثم بعد ذلک سیعلمون ان الذی ظنوه کان خطأ - والمعنی ان المختلفین فیه سیعلمون جزاء تکذیبهم مرة بعد اولی به وانکارهم الموکد بالقسم بانهم لا یبعثون بکم فی قوله تعالی - وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَیْمَانِهِمْ لَا یَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ یَمُوتُ فالله سبحانه شدد فی جوابهم وقال کلا سیعلمون ثم کلا سیعلمون قرأ الجمهور بقراءة قوله سیعلمون بالیاء التحتانیة وابن عامر الشامی بالتاء الفوقانیة وفیه التفات من الغیبة الی الخطاب وفیه شدة عتاب للمخاطب قال ابن الفراء الاولی هی الاولی ثم ذکر الله تعالی وجوه توحیده فقال الاول

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا - المهاد الفراش کما قال الله تعالی الذی جعل لکم الارض فراشا ای مهدا وکذا قرأ الجمهور وقرئ مهدا وهو ما یمهد للصبی

لنوم فعلى هذا يكون المهد بمعنى المهود كالخلق بمعنى المخلوق - والثاني و الجبال أوتادا - لحصول السكون في الارض لئلا تميد بكم - اى تثبتنا الارض بالجبال كما تثبت البيت بالاوتاد - ومنه قول الاعرابي -

والبيت لا يبتنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

والثالث وخلقناكم أزواجا - اى ذكرا وانثى لينظم بهما امر المعاش ويحصل التوالد والتناسل فالمتولد من الزوجين هو الانسان التوالدى واما قوله تعالى خلقكم من تراب فعنى به الانسان التوالدى ويراد به آدم عليه الصلاة والسلام وقد تتولد بعض الحيوانات على طريق التولد كالعقارب فانها تتولد من لباب الخز والحيات من العسل والشعر الخنافس من البعر على ما قيل - والرابع وجعلنا نومكم سباتا قال صاحب اللسان السبت الراحة وسبت يسبت اى استراح وسكن والسبات نوم مرخى كالغشية - وقال ثعلب السبات ابتداء النوم في الراس حتى يبلغ الى القلب والحاصل ان اصل السبات هو الراحة - وفي حديث عمرو بن مسعود قال لمعاوية ما تسأل عن شيخ نومه سبات وليله هبات اى نوم المريض والشيخ المسن - وقال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح في بدنه اى جعلنا نومكم راحة لكم - والخامس وجعلنا الليل لباسا - اى يستركم بظلامه كما يستركم اللباس - وقال الامام معنى اللبس اختلاط الظلام وقيل الملبس لليل بعينه فلا شك في ان هذا اللفظ من مناسبات الليل والمعنى ان الليل يستر افعالكم واحوالكم كما ان الانسان اذا اراد قتل انسان او فرارا من عدوه بحيث لا يطلع عليه انسان فهو يفعل مثل هذه الافعال في الليل لانه يستر هما بسدول ظلامه - والله اشار المتنبي -

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدِي مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

والسادس وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا - والمعاش مصدر ميمي ومعناه معيشة وقع ظرفًا - قال الجوهري كل واحدٍ من معاش ومعيشةٍ يصلح أن يكون مصدرًا وان يكون اسمًا مثل معاب ومعيبٍ قال المؤرّج ويُقال في لغة الأزد والعرب ومنه قول حاجز ابن الجعد -

مِنَ الْخَفِرَاتِ لَا يُثِمْنَ عَهْدَهَا وَلَا أَكِدُ الْمُعُوشَةَ وَالْعِلَاجُ

اى من النساء اللّاتي ينقضن عهودهن والعلاج العمل بالجوارح - والمعنى انّ الله تعالى جعل النهار مُضيئًا ليشتغل الانسان فيه في حوائجه ويسعى في مكاسبه - والسابع وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا - قال صاحب الكشّاف جمع شديدٍ يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان - انتهى والمراد بالسبع الشداد السموات لانها اجرامٌ محكمة قوية ومنه قول الشاعر

فَلَمَّا جَنَيْتُهُ أَكْمَلِي مُحَلِّيٌّ وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشِّدَادِ

والمعنى ان الله سبحانه وتعالى خلق السموات محكمة قوية لانتظام نظام العالم بها وبالكواكب التي تسير في بروجها الا ترى ان سير الشمس يوجد فوائد عظيمة للعالم السفلي كالفصول مثلًا فانها تحدث بحصول الشمس في بروجٍ مخصوصة وبيانه ان الشمس اذا دخلت في برج الحمل يبتدأ الرّبيع الذي يحيي به الكون وينضّر به وجهه ويستمرّ هذه البهجة والنضارة في العالم الى ان ينتهي سيرها الى اخر درجة برج الجوزاء ثم تدخل على السّعافيب في السرطان والاسد والسنبلة وهذه تسمّى فصل الصّيف ففي هذه البروج تشتد حرارتها حتى تنضج بها الحبوب التي تحصل زمن الصيف ثم تريد الشمس ان تنزل في البروج الجنوبية فتتباعد على التوالي

المیزان والعقرب والقوس وهذه تسمی فصل الخریف ثم تحل فی الجدی والدلو والحوت علی التتابع فیدخل الشتاء بثلجه وبرده وتسمی هذه فصل الشتاء وتکون ح فی غایة البعد واشعته مائلة - فعرفت من ذلک انّ الصور الاثنی عشرة لمنطقة البروج تنقسم علی الفصول الاربعة فللربیع الحمل والثور والجوزاء - وللصیف السرطان والاسد والسنبلة وللخریف المیزان والعقرب والقوس وللشتاء الجدی والدلو والحوت فللشمس فی هذا السیر والانتقال من برج الی برج ومن درجة الی درجة افعال مخصوصة واثار معینة تظهر وقت اجتیازها من کل درجة وبرج وهذا تقدیر العزیز العلیم الذی اراد به منافع الانسان وفوائد الحبوب لاکنّ الانسان مع کونه عاقلا وشاعرا لا یتوجه الی هذه النعم العزیزة ولا یؤدّی شکرها بل یبقی منهمکا فی مرغوباته من المأکل والمشارب والمناکح ولا یتفکر انه لم یخلقه الله لهذه بل خلقه لطاعته وعبادته کما قال جلّ عظمته وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ - والمراد من وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا - الوهج والوهّاج حدة الشمس والنار - قال الامام الرازی کلام اهل اللغة مضطرب فی تفسیر الوهّاج فمنهم من قال الوهج مجمع النور والحرارة - وروی الکلبی عن ابن عباس ان الوهاج مبالغة فی النور فقط یقال للجوهر اذا تلألأ توهّج وهذا یدل علی انّ الوهّاج یفید الکمال فی النور - وفی کتاب الخلیل الوهج حرّ النار والشمس وهذا یقتضی انّ الوهّاج هو البالغ فی الحرّ - وقال ابو حیّان هو المتوقد المتلألی - وعلی الجملة ان المراد بالسراج الوهّاج هو الشمس وانّما عبّر الله بالسراج لانه لم یکن قبل ایجادها

الأظلمة وينا سبها السراج - والتاسع وأنزلنا من المعصرات - قال الحسن وابن جبير وزيد بن اسلم وقتادة هي السموات وقال ابن عباس وابو العالية والربيع والضحاك السحاب القاطرة ماخوذ من العصر وهو قول المازني وفي رواية عن ابن عباس هي الرياح لانها تعصر السحاب وهو قول ابي حنيفة - وقال ابو اسحق المعصرات السحائب لانها تعصر الماء - وقال البعيث في المعصرات فجعلها سحائب ذوات المطر -

وَاذِي أَثَرٍ كَأَنَّ الْمُحْوَ زَانَ تَشُوفُهُ ذِهَابُ الصَّبَا وَالْمُعْصِرَاتُ الدَّوَالِحُ

والدوالح من نعت السحاب لا من نعت الرياح وهي التي اثقلها الماء فهي تدلح اي تمشي مشي المثقل والذهاب الامطار - ثجاجا - الثجج الصب الكثير - وخص بعضهم بالماء - وثجيج الماء صوته ومنه قول ابو ذويب -

سَقَى أُمَّ عَمْرٍو كُلُّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَنَابِرُ سُحْمٌ مَا وُهُنَّ ثَجِيجُ

وروي - عَنَابِرُ سُودٌ مَا وُهُنَّ ثَجِيجُ - قال ابن دريد اصل ماجاء في لفظ فاعل والمراد موضع مفعول لان السحاب يثج الماء فهو ثجوج - وقال بعض اهل اللغة ثججت الماء اثجه ثجا اذا أسلته وثج الماء نفسه يثج ثجوجا اذا انصب فاذا كان كذلك فان يكون ثجاج في معنى ثاج احسن من ان تكلف وضع الفاعل موضع المفعول وان كان ذلك كثيرا ويجوز أثججته بمعنى ثججته وورد ثجاج منعبيث مصوب قال الشاعر

حَتَّى رَأَيْتُ الْعَانِقَ الثَّجَّاجَا قَدْ اخْضَلَ النَّدَى وَالْأُدَاجَا

ليكون معنى ماء ثجاجا ماء منصبا كثير الصب - لنخرج به - اي بالماء حبا - والمراد به البر لانه ينبت الحبوب كالحنطة والشعير والارز وغيرها

وَنَبَاتًا - قال اللیث کل ما انبت اللہ فی الارض فھو نبت والنبات فعلہ ویجری مجری اسمہ قال الفراء ان النبات اسم یقوم مقام المصدر وھو ما یعتلف بہ الدواب والانعام کالتبن والحشیش کما فی قولہ تعالٰی کُلُوْا وَارْعَوْا اَنْعَامَکُمْ - ای کلوا الحبوب وارعوا انعامکم ودوابکم النبات وَجَنّٰتٍ - وھی البساتین والحدائق والمراد بالبستان ما یجتمع فیہ اشجار الثمار والازھار - ولما کان فی مناظر البستان والحدیقۃ تنزہ والنشرح للناظرین ذکرھا اللہ تعالٰی فی النعم - اَلْفَافًا - ذکر الامام الرازی قد ذکر صاحب الکشاف انہ لا واحد لھا کالاوزاع وھی الجماعات المتفرقۃ والاخیاف وھی الجماعۃ المختلطۃ وکثیر من اللغویین اثبتوا لھا واحدا ثم اختلفوا فیہ فقال الاخفش والکسائی واحدھا لِفّ بالکسر واذا الکسائی لَفّ بالضم وانکر المبرد الضم وقال بل واحدھا لِفّاء وجمعھا لُفّ الفافٌ انتھی ثم الالفاف الاشجار التی یلتف بعضھا ببعض لنشد الحسن بن الطوسی -

جَنَّۃٌ لُفٌّ وَعَیْشٌ مُغْدَقٌ وَنَدَامیٰ کُلُّھُمْ بِیضٌ زُھُرْ

وقال ابو اسحٰق وھو جمع لفیف کضیر وانصار وقال الزجاج جَنَّاتًا اَلْفَافًا ای بساتین ملتفۃ - اِنَّ یَوْمَ الْفَصْلِ کَانَ مِیْقَاتًا - ھذا شروع فی جواب ما یتساءلون فی وقوع البعث والنشر والمراد بیوم الفصل یوم القیامۃ ای ان یوم الفصل یوم فصل اللہ عزوجل فیہ بین الخلائق وکان مقدرا فی علمہ فلا یکون قبلہ ولا بعدہ - یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّوْرِ - ای نفخۃ ثانیۃ بدل من یوم الفصل او عطف بیان لان فیہ تفخیما وتھویلا بلیغا لذلک الیوم والصور ھو القرن والنافخ ھو اسرافیل علیہ السلام واسمہ ان ذنہ الرحمن لنفخہ - روی عن ابی ھریرۃ رض قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم

لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى - واعلم ان هذا ليس مستبعدا اذ ذاك لان النفخ علة لتحرك الهواء واشتداده ولا شك في ان شدة السيلانه موجبة لخراب العالم كما يشهد على ذلك قصة قوم عاد فهلكوا اجميعا في ثمانية ايام وكان ذلك بشدة الرياح العواصف وطوفانها ولا ينكر المنجمون هذا القول بل اطبقوا على ان حلول الكواكب واجتماعها في برج من البروج الهوائية علة لطوفان الرياح وثورانها - وذكر علماء الهيئة والنجوم ان انطباق دائرة المعدل على دائرة فلك البروج يدل على خراب العالم السفلي وفساده وتغيره للفصول اعني الربيع والصيف والخريف والشتاء فلا يبقى الحرث والنسل والمراد بهذا الانطباق انطباق لا يقبل الانتقال من نقطة الانطباق فهذا الانطباق مفسد ومغير لما في العالم السفلي من المواليد الثلاثة بل لطبائع العناصر وليس هذا مثل انطباق هاتين الدائرتين في اول جزء من برج الحمل في كل سنة كما بين في موضعه لان هذا الانطباق يزول سريعا ويفني ترتيب الفصول ونظامها على وتيرة واحدة كما يشاهد مرارا قال الدهريون ان فاعل هذا الانطباق هو الطبيعة الدهرية فلا يقع التخلف في افعالها ابدا والالهيون ذهبوا الى ان الله تعالى فاعل موجب فلا ينفسد النظام الموجود بالنظر الى ايجابه - اقول في جوابه ان الفاعل الكون

اما ان يكون طبيعةً او من له ارادةٌ والثاني اما ان يكون مريدًا موجبًا او مريدًا مختارًا - لاسبيل الى الاول والثاني فتعيّن الثالث - اما بطلان الاوّل فلانّ ذلك الفاعل لو كان طبيعة فلا يخلو امّا ان تكون بسيطةً او مركبةً فان كانت بسيطةً لا يجوز ان يصدر منها الّا فعلٌ واحدٌ - كالنار مثلًا فانها لا يصدر منها الا فعل واحدٌ - وهو الحرارة وكذا احال كل فاعل بسيط - فلا يجوز انْ يصدُر منها هذا النظام الموجودُ لوجوه غاية الكثرة وان كانت مركبةً كانت محتاجة الى الاجزاء التي حصلت بها تفسُها والى فاعل يؤلّفُ هذه الاجزاء فوجب ان يكون الطبيعة ممكنةً وكل ممكن يحتاجُ في وجوده الى علة فهذه العلةُ ان كانت طبيعةً اخرى مثلها فننقل الكلام اليها مثل الكلام في الاولى فهذه السلسلةُ اما انْ تكون متوقفةً او لا تكون متوقفة فعلى الاوّل يلزم الدّورُ وعلى الثاني يلزمُ التسلسلُ وكل واحد منهما باطل - ومَعَ ذلك ان الطبيعة ليس لها شعورٌ وارادةٌ كما بُيّنَ في موضعه وعلى هذا لا يصدُر منها العالم الذي بهذه نظامٌ بليغٌ ونسقٌ بديع وترتيبٌ اينق وتاليفٌ عجيبٌ لانّه يدل على انّ فاعله قادرٌ متقنٌ وعالمٌ حكيمٌ لا يفعل فعلًا الا وفيه حكمةٌ فابداعُ هذا النظام الغريب على هذا النمط العجيب اوضح دليل على انّ خالقه بديع الحكمة - واما بطلان الثاني فلانّ الفاعل اذا كان موجبًا بحيث لا يقدرُ على تركه وَجَبَ ان يكون مضطرًا على ايصاد الفعل - والاضطرار يدلُ على كونه محتاجًا الى ذلك الفعل والاحتياج دليل الامكان والممكن يحتاج في وجوده الى مرجح فعلى هذا يلزم الدّور والتسلسل فبطل القسم الثاني فاذا بطل هذا القسمان تعيّن القسم الثالثُ وهو المطلوبُ وتفصيل

هذا البحث فی کتابنا المسمّی بتحریر العقائد - فتأتون - ای بعد قیامهم من القبور - أفواجا - ای جماعة جماعة - وفتحت السماء قرئ بالتخفیف والتشدید - ای شقّقت یوم القیامة - فکانت ابوابا فصارت ذات ابواب والمراد بالابواب شقوقها الحادثة بنفخ الصور - وسیّرت الجبال - عن اماکنها علی وجه الارض - وقیل معنی سیّرت - لُسِفَتْ وقیل معناه انّ الجبال سُیّرت فی الهواء - فکانت سرابا - ای هباءً منثورًا - ومثله قال الله تعالی - وتری الجبال تحسبها جامدة وهی تمرّ مرّ السحاب - واد غمر تاء فکانت سرّابا ابو عمرو هشام بخلفه وحمزة والکسائی وخلف والمعنی ان تکون الجبال بعد الاندکاک مثل الهباء المنبثّ فی عین الناظر - والسّراب ینشاء من حرارت الاشعة الشمسیة الواقعة فطبقات الاهویة التی تلامس الارض المرملة الحارة والمعزاء المتوقّدة فهذه الاودیة لما تسخّنت بحرارة الشمس وظهرت فیها من بُعد مخصوص مثل البحیرة المتموّجة فیراها العطشان انّها ماءٌ متموّج فاذا دنا منها الناظر العاطش یری وادیا وسیعًا لیس فیه قطرة من الماء قال ابو الهیثم سُمّی سرابا لانّه یسرب سروبا ای یجری جریا یقال سرب الماء لیسرب سروبا وقال ابن السکیت السراب الذی یجری علی وجه الارض کأنّه الماء وهو یکون فی نصف النّهار وقیل السراب الاوّل وقیل السراب الذی یکون لاطئا بالارض لاصقا بها کانّه ماء جار والآل یکون بالضحی یرفع الشخوص ویُری کالماء بین السماء والارض - وقال الاصمعی الآل والسّراب واحد - وخالفه غیره فقال الآل من الضحی الی زوال الشمس والسّراب بعد الزوال الی العصر وقالوا بانّ الآل یرفع کلّ

شیٔ حتی تصیر شخصًا واحدًا والسراب بمعنی القیام یخفض کل شیٔ حتی یصیر لازقًا بالارض - وقال یونس العرب تقول الآل من غدوة الی ارتفاع الضحی والسراب تظهر فی نصف النهار - ذکر فی تاج العروس والسراب معرفة ای علم لا یدخله الالف واللام - وهذا القول ضعیف - لان اللام تدخل فیه کثیرا کما قال لبید بن ربیعة -

فَتَنَازَعَا سَبِطًا یَطِیرُ ظِلَالُهُ ۔۔۔ وَاجْتَابَ أَرْدِیَةَ السَّرَابِ إِکَامُهَا

قال ابو السعود فی تفسیره وقد ادمج فی هذا التشبیه تشبیه حال الجبال بحال السحاب فی تخلخل الاجزاء وانتفاشها کما ینطق به قوله تعالی وتکون الجبال کالعهن المنفوش - یبدل الله تعالی الارض ویغیر هیأتها انتهی وکل ذلک عند النفخة الثانیة فاذا اندکت الجبال وانصدعت عند النفخة الاولی اسطوت سطوح الارض فلا یبقی فیها غور ولا نجد حتی یری وجهها کالقاع الصفصف علی طریق السطح الحقیقی - کما قال الله سبحانه ویسألونک عن الجبال فقل ینسفها ربی نسفا فیذرها قاعا صفصفا لا تری فیها عوجا ولا امتا - واعلم ان هذه الآیات تدل علی البعث والنشر والمراد به وجود العالم اخر بعد النفخة الثانیة وهو ممکن وذلک لان الله تعالی عالم فی کل حال وقادر فی کل زمان فکما کان باعتبار علمه وقدرته ابدع العالم ابتداء کذلک هو قادر علی ابداع العالم اخر بعد خرابه وفساده - وذلک لان الله تعالی عالم بالجزئیات وقادر علی اعادة الاجزاء الاصلیة لان الله تعالی یعلمها علی وجه الاحاطة فیجوز ان یعید الله تعالی اشیاء کما کانت فی الابتداء والقول باعادة المعدوم باطل وذلک لان العالم بعد کونه خرابا بالنفخة الاولی لا یبقی

الا باعتبار الصورة الشخصية فيكون العالم باعتبار اجناسه وانواعه موجودا كما كان قبل خرابه - وقد بينا ذلك مرارا - ولما كان الله تعالى يعلم الجزئيات بتمامها يجب ان يعلم عوارض كل شئ كان متشخصا بها فيمكن له ان يعيد كل شئ متشخصا بعوارضه التي كانت معه في الابتداء فالقول بحشر الاجساد ثابت صحيح لا شك فيه هذا باعتبار الوجوه العقلية اما باعتبار النصوص الشرعية فالاعتقاد به فرض والانكار كفر ان جهنم - قرأه الجمهور بكسر الهمزة وقرأ ابو عمر والمنقري وابن يعمر بفتح الهمزة هي اسم النار - كانت مرصادا - المرصاد اسم مكان يرصد فيه الناس كالمضمار الذي يضمر فيه الخيل هذا قول ابن الانباري وهذا المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه الملائكة وقال الاعمش المرصاد ثلاثة جسور - خلف الصراط جسر عليه الامانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب كما قال الله تعالى - ان ربك لبالمرصاد اي انه لبالطريق الذي ممرك عليه - والمعنى ان جهنم كانت مرصادا ايرصد فيه الملائكة للطاغين - اما نعت لمرصادا اي كائنا للطاغين - مآبا معناه مرجعا واما حال من مآبا - قدمت عليه لكونه نكرة - ومآبا بدل من مرصادا فجهنم مرصاد للمؤمن والكافر - كما قال الله تعالى وان منكم الا واردها - لكنها مآب للكافر خاصة فتعد به واما اهل الجنة فيرصدهم الملائكة ويستقبلونهم - عند هذا المرصاد فيمرون منها بالفرح والسرور لابثين فيها - حال من الضمير المستكن في الطاغين واختلف القراء في لابثين فقرأ حمزة وروح بلا الف حملا على الصفة المشبهة وهي تدل على الثبوت فذلك اللبث يصير لهم

سجیۃ فیکون مثل الحذر والفرح ووافقهما الاعمش والباقون بالالف اسم فاعل من لبث بمعنی اقام وقال الفراء هما بمعنی واحد احقابا ای مقیمین فی جهنم احقابا والاحقاب جمع حقب وهو ثمانون سنة والحقب السنون واحد حقبة وهی زمان من الدهر لا وقت له وقال ثعلب هو اقل من ثمانین سنة لان موسی علیه السلام لم یبق الا بعض ثمانین سنة ولا اکثر وذلک لان بقیة عمره فی ذلک الوقت لا تحتمل ذلک والجمع من کل ذلک احقاب واحقب قال ابن هرمة -

وقد ورث العباس قبل محمد نبیین حلا بطن مکة احقبا

واقال الفراء الحقب ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون یوما والیوم منها الف سنة من عدد الدنیا ولیس هذا مما یدل علی غایة وانما یراد به علی الغایة التوقیت مثل خمسة احقاب او عشرة احقاب والمعنی انهم یلبثون فیها احقابا کلما مضی حقب تبعه حقب اخر وقال الزجاج انهم یلبثون احقابا ای هم خالدون فی النار - وقال الزمخشری وفیه وجه اخر وهو ان یکون من حقب عامنا اذا قل مطره وخیره وحقب اذا اخطأ الرزق فهو احقب وجمعه احقاب فینتصب حالا عنهم یعنی لابثین فیها حقبین - لا یذوقون فیها - ای فی جهنم بردا ولا شرابا - البرد معناه هو المشهور ای لا یذوقون فی جهنم مع شدة الحر ما یکون لهم به راحة من ریح بارد او ظل یمنع من لفحات نار ولا یجدون شرابا یسکن حرقتهم ویزیل عطشهم - وعلی هذا المعنی یکون قوله تعالی - لا یذوقون فیها بردا الخ بیانا لقوله تعالی لابثین فیها احقابا علی ما ذکره صاحب الکشاف - وقال الاخفش والکسائی

والفراء وقطرب البَرْدُ هو النوم لانّه يبرّد صاحبه فانّ العطشان ينام فيبرد بالنوم وانشد ابو عبيدة والمبرّد قول الشاعر -

بَرَدَتْ مَرَاشِفُهَا عَلَيَّ فَصَدَّتِنِي ... عَنْهَا وَعَنْ رَشَفَاتِهَا الْبَرْدُ

اى النوم وكذا قال معاذ النحوى ومن كلامهم منع البَرْدُ البردَ اى النوم ومنه قول الشاعر -

فَلَوْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ ... وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخًا وَلَا بَرْدًا

اى ماءً ولا نومًا - وفى كتاب اللغات فى القرآن البَرْدُ هو النوم بلغة هذيل - والذوق على هذا لا يكون الّا مجازًا - وقيل البرد الشراب البارد والمستلذّ ومنه قول حسان بن ثابت -

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمُ ... بَرَدًا يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

وعلى هذا التقدير يكون لا يذوقون فى جهنم ماءً باردًا ولا شرابًا يستريحون بهما ويزيلون حرّهم وعطشهم - فيكون الذوق معناه حقيقة - واليه ذهب اكثر المفسرين - وقال بعضهم اذا اريد بالبرد النوم يكون النوم والشراب غير متناسبين والصحيح ان يراد به الماء البارد اوّلا لانّ النوم يبرّد العطشان ويزيل حرّه وحرقته وكذا الشراب يزيل حرّه حرقته فهما متناسبان باعتبار المعنى كما فى شعر العرجى - وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخًا وَلَا بَرْدًا - والنقاخ الماء البارد - فبالنظر الى هذه المناسبة عطف العرجى البَرْدَ على النقاخ فلا يبعد ان يراد فى قوله تعالى بَرْدًا وَلَا شَرَابًا النوم والشراب إلّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا - والمعنى لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا لانّهم يذوقون حميمًا وغسّاقًا - الحميم الماء الحارّ والغسّاق هو ما يَغْسِقُ ويسيل من جلود اهل النار وصديدهم من قيح

ونحوه - و قرأه ابو عمرو بالتخفیف و قرأه الکسائی بالتشدید نقلها یحیی ابن وثاب و عامة اصحاب عبد الله بن مسعود رض - و کذا قرأ حفص و حمزة و روی عن ابن عباس رض بالتشدید و قرأ ابن مسعود و ابن عباس رض بالزمهریر - و الباقون قرأوا بالتخفیف و اختاره ابو حاتم - روی عن ابی سعید الخدری عن النبی صلی الله علیه وسلم قال لو أن دلوا من غساق یهراق فی الدنیا لأنتن اهل الدنیا و اختلف فی أن الغساق عربی ام لا قال ابو معاذ کنت اسمع مشایخنا یقولون الغساق فارسی معرب یقولون للشیء الذی یتقذرونه و هو فی الاصل خاشاک - و هذا ضعیف لأن خاشاک عند اهل الفرس لیس معناه شیئا قذرا و انهم یریدون بخاشاک حشیشا و هو لیس یقذر لأن القذر هو النجس و الحشیش لیس بنجس - و الاکثرون علی أنه عربی و معناه الشیء القذر و المنتن قال الامام الرازی و المعنی انهم لا یذوقون فیها بردا الا غساقا و لا شرابا الا حمیما - و جمعهما الله تعالی لاجل انتظام الآی کما فی شعر امرئ القیس -

کأن قلوب الطیر رطبا و یابسا لدی وکرها العناب و الحشف البالی

و المعنی کأن قلوب الطیر رطبا العناب و یابسا الحشف البالی - و یحتمل ان یکون الاستثناء بالحمیم و الغساق راجعا الی البرد و الشراب معا

جزاء وفاقا - ای جوزوا جزاء وفاقا لاعمالهم لأنه معصیة اکبر من الکفر و لا عذاب اکبر من عذاب النار فطابق جزاؤهم بکفرهم

إنهم کانوا لا یرجون حسابا - ای لا یخافون حسابا و لا یؤمنون به هذا تعلیل لکونهم مستحقین بالعذاب - و کذبوا بآیاتنا کذابا - قرأ

الجمهور كذابا بتشديد الذال قال الفراء هو لغة لبعض العرب اليمانيين فصيحة يقولون كذبت كذابا وخرقت القميص خراقا وكل فعلت فمصدره فعال مشددة في لغتهم وقال لي اعرابي مرة على المروة يستفتيني الحلق احب اليك ام القصار - وانشدني بعض بني كليب

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي ... وعن حوج قضاؤهن من شفائيا

قال الفراء وخففهن سيدنا علي بن ابيطالب رضي الله عنه وكذا الكسائي كان يخفف في قوله تعالى - لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا - وقرئ كذابا جمع كاذب فيكون المعنى اي كذبوا بايا تنا كاذبين فانتصابه على الحالية ويجوز ان يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذا به هذا ما ذكره صاحب الكشاف - وكل شئ احصيناه كتابا - اي كل شئ من الاعمال احصيناه مكتوبا في الصحائف او في اللوح المحفوظ - وقرأ ابو السمال كل شئ بالرفع على الابتداء فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي يقال لهم ذوقوا وفيه التفات من الغائب الى الخطاب المتبادر من كلمة فذوقوا ايذان على كمال الانذار والامر عاجل وقال عليه الصلوة والسلام هذه الاية اشد ما في القرآن على اهل النار قال صاحب الكشاف وناهيك بلن تزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة انتهى - ومن الزيادة في عذابهم انها كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها - وكلما خبت النار زادهم الله سعيرا - ان للمتقين مفازا - هذا شروع في بيان حال المؤمنين وما اعد لهم الله من نعيم الجنة - والمفاز فوزا

وظفرٌ بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة ممّا فيه او آلهتك او موضع نجاة هذا ما ذكره صاحب الكشاف - قال صاحب اللسان ولا يجوز ان يكون المفاز ههنا اسم الموضع لان الحدائق والاعناب لسن موضع اقول ولعلّه اراد بالحدائق الاشجار الملتفة وبهذا الاعتبار عطف عليه قوله عنابا او ان اريد بالحدائق البساتين التي يحيط بها الجدار لا يستحسن عطف الاعناب عليه - حدائق واعنابا - انتصابهما على انهما بدل اشتمال من مفازا او البدل الكل من كل على طريق المبالغة سأل نافع بن الازرق عن ابن عباسؓ عن قوله حدائق واعنابا قال الحدائق البساتين قال وهل تعرف العرب ذلك قال اما سمعت قول الشاعر وهو يقول -

بلادٌ سقاها اللهُ أمّا سهولها ففضبٌ وَدَرٌّ مغدقٌ وحدائقُ

وكواعب اترابا - الكواعب جمع كاعب اللاتي فلكت ثديهنّ وقال ابن عباسؓ اي نواهد يقال كعب الثدي يكعب اذا نهد - يقول العرب جارية كعاب وكاعبٌ والنشد ثعلب -

تجيبه بطّالٍ لدنٌ شبّ حمّهُ لِعابُ الكعابِ المُدامِ المُشعشعُ

وقال آخر

اذا اجتمع الجوعُ المبرّحُ والهوى لسيّتِ وصالَ الانسياتِ الكواعبِ

والترب اللداة والسن يقال هذه ترب هذه اي لداتها - وجمعه اتراب قال ثعلب والاتراب ههنا الامثال وهو حسنٌ اذ ليست ههنا لك ولادة وكأسا دهاقا - اي متروعة مملوءة - عن ابن عباسؓ ان نافع بن الازرق قال له اخبرني كأسا دهاقا - قال اما سمعت قول الشاعر -

أَتَانَا عَامِرٌ يَرْجُو قِرَانَا فَأَتْرَعْنَا لَهُ كَأْسًا دِهَاقًا

اى دراكا - لَا يَسْمَعُونَ - حال من المتقين - فِيهَا - اى فى الجنة لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا - والمراد باللغو الكلام الباطل والكذاب هو ان يكذب بعضهم بعضا - وظاهر ان من شرب الخمور وثمل فمن شانه ان ينطق باللغو والكذب كما هو عادة الشاربين وخمر الجنة ليست من جنس خمور الدنيا فشاربوها لا يتكلمون بالباطل - ولا يتغير عقولهم -

جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ - قال الزجاج اى جزاهم جزاء اى بمقتضى وعد عطاء بدل من قوله جزاء - والمعنى الذى جازاهم جزاء هو عطاء وتفضل من ربهم عز وجل لانه لا يجب عليه شئ - حِسَابًا - قال ابو عبيدة اى كافيا على طريق المجاز فى الطرف - قال ابن قتيبة معناه كثيرا قال العرب احسبت فلانا اى اكثرت له العطاء ومنه قول الشاعر -

وَنَقْفِى وَلِيدَ الْحَىِّ إِنْ كَانَ جَائِعًا وَنَحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعِ

قال الزجاج معناه ما يكفيهم قال الفقشلى يقال احسنى كذا اى كفانى ومنه قول الشاعر

فَلَمَّا حَمَلْتُ بِهِ ضَمَّنِى فَأَوْلَى جَمِيلًا وَأَعْطَى حِسَابًا

قال مجاهد حسابا بمعنى القدر - وقرأ ابو هاشم حَسَّابًا بفتح الحاء وتشديد السين اى كفافا - قال الاصمعى تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد

إِذَا أَكْرَمْتَهُ قرأ ابن عباس حَسَنًا من الحسن - رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قرأ عبد الله بن مسعود وابن ابى اسحق والاعمش وابن محيصن وابن عامر الشامى وعاصم رَبِّ والرحمن بالجر على انه بدل من قوله ربك والاعرج وابو جعفر وشيبة وابو عمرو والحرميان برفعهما على الاخوان رَبِّ بالجر والرحمن بالرفع وهى قراءة الحسن وابن وثاب والاعمش

والرفع على اضمار هو - ومابينهما الرحمن لا يملكون منه - اى من ربّ الرحمن - خطابا - لنهويل ذلك اليوم وافزاعه مع انّه تعالى ربّهم ورحمته واسعة - يوم يقوم الروح - العامل فى يوم قوله لا يملكون او لا يتكلمون - والروح اما ملك اعظم شانا او مرتبة او اكبر جثة من الملائكة او هو جبريل عليه السلام او خلق آخر منهم لا يعلمه الا الله تعالى - والملئكة صفا - لخوف الله جل شانه وتهويل ذلك اليوم لا يتكلمون - والمراد بهم الملائكة او الخلائق من الجن وقيل المراد من المتكلمين العقلاء وهم الملائكة ومؤمنو الجن والانس - الا من اذن له الرحمن وقال صوابا - يعنى لا يتكلم احد فى ذلك اليوم الا من يوجد فيه شرطان الاول اذن الله تعالى والثانى هو قول الصواب قال الضحاك ومجاهد صوابا اى حقا - وهذا ان الشرطان لا يوجدان الا فى من رضى الله عنه فاجازه ان يشفع لمن يشاء من عباده عنه واليه اشار الله تعالى فى قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى - اى ربّه - ويدل هذه الآية ان المؤمنين الصالحين ايضا يكونون ماذونين للشفاعة فى ذلك اليوم المهول وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - ذلك - اى يوم البعث والنشر - اليوم الحق - بحيث لا شك فيه ولا استحالة بوقوعه - فمن شاء اتخذ - بالعمل الصالح الذى مبدأه هو التوفيق من الله تعالى - الى ربّه مابا - اى مرجعا من آب لوب اى رجع والمعنى فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى رضاء ربّه فعل ذلك بالايمان به والعبادة فانّهما يقرّبان العبد من مولاه - انا انذرناكم - يا ايها الكفار او كفار مكة - عذابا قريبا - يعنى عذاب يوم الآخرة لان كل ما هو آت

فهو قریبٌ و قیل یُراد به قتل قریش یوم بدرٍ و الاوّل الاولی - یوم
ینظر المرءُ - سواءٌ کان مؤمنًا او کافرًا - ما قدّمت یداهُ - ای ینظر المؤمن
اعماله الصالحة و الکافر اعماله القبیحة فیکون الاوّل مُثابًا و الثانی معذّبًا
و انّما خصّص لایدی لانّ اکثر الاعمال انّما تصدر بالایدی - قالت
المعتزلة و هذه الآیة تدلّ علی ان عمل الخیر یوجب الثواب و عمل الشر
یوجب العقاب - قلنا لا یجب علی الفاعل المختار شیءٌ لانّ کلّ عطاء الثواب
علی محلّ الخیر و عدٌ منه تعالی فلا یخلف ما وعدهُ - کما قال انّ اللّٰه لا یخلف
المیعاد و ذلک لانّ الوعد یثبت حسن العبد علی ذاته و ابطال حقّه بعد کونه
موعودًا ملموسًا - و اما عقاب الکافر فهو ایضا وعدٌ فی معنی الوعید
فلا یجوز ترکه - و قیل ینظر المرءُ جزاء ما قدّمت یداه من الخیر و الشرّ
و یقول الکافرُ - و هو یعم کل کافر لانّ اللام للاستغراق و قیل هو
اُبیّ بن خلف و عقبة بن ابی معیط و غیرهما من الاشراف الذین یؤذون
رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیه وسلم - و قیل هو ابلیس - یا لیتنی کنت ترابًا
ای یتمنّی ان یکون ترابًا فلم یخلق انسانًا و لم یکلف فلم یبعث و لم یعذّب
فی هذا الیوم - او کنت ترابًا کابائنا ثم کما روی فی الحدیث امّا البهائم
فالمؤمنون منهم مثابون و الکافرون منهم معذّبون - تمّ تفسیر هذه
السورة فالحمد للّٰه الذی خلق النّور و النّار و الصّلوٰة و السلام علی النبی الذی
یشفع النّاس فی یوم لیس لهم اعوانٌ فیه و لا انصار - و علی اله الذین
هم سادة الاخیار و ائمة الابرار

سورة النازعات مکیة و تسمّی سورة الساهرة و هی خمس و اربعون و مائة و ثلاث و خمسون کلمة و مائتان و ثلاثة و عشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

والنّازعات غرقا - قال الاكثرون والمراد بالنّازعات الملائكة التى تنزع نفوس بنى آدم من ابدانهم ويظهر بهذا ان نازع الارواح ليس واحداً وهو ملك الموت كما هو المشهور بل هم اكثرون - والمراد بهذه الارواح ارواح الكفرة يعنى ان تلك الملائكة ينزعون ارواحهم بكمال الشدّة وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس رض وابن مسعود رض - وقال قتادة النازعات هى النجوم تنزع من افق الى افق - اى انها تغرب وتغيب وتطلع من افق آخر وهو قول ابو عبيدة والاخفش وابن كيسان - وقيل النّازعات الغزاة الرّماة والمراد بالغرق الاغراق - اى اغراقا فى النّزع - والنّاشطات نشطا قال ابن مسعود رض انها الملائكة وكذا روى عن ابن عباس رض وقال سيدنا على ابن ابيطالب رضى الله عنه هى الملائكة تنشط ارواح الكفار بين الاظفار والجلد حتى تخرجها - وقال الفرّاء هى الملائكة تنشط نفس المؤمن بقبضها وقال الزّجاج هى الملائكة تنشط الارواح نشطا اى تنزعها نزعا كما تنزع الدلو من البئر - قال الاصمعى يقال بئر ناشط قريبة القعر وهى التى تخرج الدلو منها بجذبة واحدة - وقال ابو عبيد هى النجوم تطلع ثم تغيب اى تنشط من برج الى برج كالثور النّاشط من بلد الى بلد والية ذهب الاخفش وقال ابو عبيدة وقتادة هى الوحوش حين تنشط من بلد الى بلد - والسّابحات سبحا - اى الملائكة الذين تسبح فى الابدان لاخراج الارواح وقيل الملائكة الذين تسبح بين السماء والارض وقيل هم الذين تخرج ارواح المؤمنين لسهولة - وقال على كرّم الله وجهه رضى الله عنه هى الملائكة

تسبح بارواح المؤمنين بين السماء والارض - وقال ابن الفرج سمعت
ابا الجهم الجعفري يقول والسابحات سبحا هي النجوم تسبح في الفلك اي
تذهب فيها بسطا كما يسبح السابح في الماء سبحا - وقال الازهري السابحات
السفن وقيل هي الخيل السابحة في الغزو ومنه قول امرئ القيس

سبوح اذا ما السابحات على الونا ... يثرن الغبار بالكديد المركل -

فالسابقات سبقا - اي الملائكة الذين تسبق بالوحي الى الانبياء
عليهم السلام - وقال الوروق هي الملائكة سبقت آدم عليه السلام بالخير
والعمل الصالح وقال مقاتل هي الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة
وهو قول علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه - فالمدبرات امرا قال
سيدنا علي رضي الله عنه هي التي تدبر امر العباد من السنة الى السنة - وروي
عنه يدبرون ذكر الرحمن وامره - وقال الماوردي فيه قولان احدهما قول
الجمهور وهو ان المدبرات الملائكة والثاني انها الكواكب وروي عن معاذ
ابن جبل وفي تدبيرها الامر وجهان الاول طلوعها وافولها - والثاني تدبر
ما قضاه الله فيها من الاحوال ومعنى تدبير الملائكة للامر نزولها بالحلال
والحرام وتفصيلهما والمدبر حقيقة هو الله والاولى هو الذي روي
عن سيدنا علي رضي الله عنه اعني هم الملائكة الذين يدبرون احوال
العالم كما امرهم الله فهم امورون من الله بافعال مخصوصة فيها
اصلاح هذا العالم واليه اشار الله سبحانه واوحى في كل سماء امرها
وايضا قال ويتنزل الامر بينهن - فالملائكة يحفظون امر ربهم لئلا
يفسدونه في خلقه كما يؤمرون بتنفيذها فالمبدأ الاول الذي هو
الله تعالى - امر هذه المدبرات ان تأمر الافلاك بالحركات التي هي مبادء

لسائر الحوادث المحدثة في هذا العالم وبهذا الامر قامت السموت والارض
فالمأمورون كثيرون لا يعلمهم الا الله تعالى ويمكن ان يكون هؤلاء
المامورون امرين لنوع من الملائكة وهلم جرا حتى ينتزل امر الله
تعالى الى هذا العالم - فسلسلة هذا التكليف ينتهى الى نوع الانسان
فتوسط هذه الوسائط ينتزل امر الله تعالى الى خلقه - الا انه لا تاثير
لهم في امر من هذه الامور والية ذهب الشيخ الاكبر ابن العربي في
الفتوحات حيث قال لما جعل الله تعالى زمام هذه الامور بايدى
هؤلاء الجماعة من الملائكة المكرمين جعل في كل سماء ملائكة مسخرة تحت
ايدي هؤلاء الولاة وجعلهم على طبقات فمنهم اهل العروج بالليل والنهار
من الحق الينا ومنا الى الحق في كل صباح ومساء - ومنهم المستعصرون ومنهم
الموكلون بايصال الشرائع - ومنهم الموكلون بنفخ الارواح ومنهم الموكلون
بالارزاق ومنهم الموكلون بالامطار - كما ذكر الله تعالى قولهم وما منا
الا له مقام معلوم - فما من حادث يحدثه الله تعالى في العالم الا وقد
وكل باجرائه ملائكة - وهم لا يزالون تحت سلطان الارواح المتممة وهم
خواص الملائكة فالله تعالى ينفذ اوامره في الخلائق بهذه الملائكة
فافهم - وما ذهب اليه الاشراقيون من ان لكل نوع من الخلائق ربا
مدبرا لذلك النوع يؤول الى هذا المعنى - قيل ان الله تعالى وكل تدبير
امر الدنيا الى اربعة من الملائكة اى جبريل عليه السلام وميكائيل عليه
السلام وعزرائيل عليه السلام واسرافيل عليه السلام - فاما جبريل
عليه السلام فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل عليه السلام فموكل
بالقطر والنبات واما عزرائيل عليه السلام فموكل بقبض الارواح واما

اسرافيل عليه السلام فهو نزل الامر عليهم - والمعنى انّ الله تعالى
فسّر هذه الاشياء وجوابه يجوز وقد وهو انه لمّا قال الصّاخّة وصفها
لعبده السّامعين به وبدأ عاد قوله تعالى - أنا أنذرناكم عذابا قريبا - يحرّ
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ - يوم منتصب بعامل الذي دلّ عليه الجواب المحذوف
اى لتبعثنّ يوم ترجف الراجفة فاذا رجف يرجف - اذا اضطرب قال
ابن الاعرابي رجف البلد اذا تزلزل وامثاله قال الله تعالى يوم ترجف
الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا - قال ابن عباس ينتهي الرّجف
بها حتى تموت الخلائق وهو قول ابن عباس - تتبعها الرادفة - قال
الفرّاء وابن الكسائي لتتابعه - وقال ابو اسحاق الرادفة الارض ومن
معناه تتحرّك حتى لا يبقى حجر على حجر وقال يمان قال الله تعالى
وحمل الجبال فدكّتا دكّة واحدة فذلك قوله تعالى فيومئذ وقعت الواقعة
القيامة - قلوب يومئذ واجفة - عليها معروف ووجيبها سنة
القلوب مبتدأ - أوائله على سرعة ضربها ومنه أوضاع فرس - والوجيف
الاضطراب وهو فوق الوضع وجيف القلب وجيفا خفق قال الازهري
وهذا مثل لشدة الامر واضطراب قول العجاج -

بات حشاه ان يبيت وجيفا ... طيّ اللّيالي زلفا فزلفا

أبصارها خاشعة - اى من الذلّ كقوله تعالى خاشعين من الذلّ
والمراد بهم منكرو البعث - يقولون أئنّا لمردودون في الحافرة حكاية
قول الذين ينكرون البعث على الاستهزاء والانكار - اى يقولون أئنا
لمردودون في الحياة بعد الموت - قال ابن عباس يعني بعد ما كنا
رمة من عظم وشعر يعني هل نحن احياء في الدنيا بعد ما جاءتنا

والنضر بن شميل وأبو الهيثم والأصمعي وابن الأعرابي

تَغُرُّ بِهَا عَيْنَيْ سَيِّئِ سَيِّئِ بِهِ مَعَاذَ اللهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارِ

وهذا راجع إلى ما حكيت عليه في نسائي وأسري الأول من الغزل والنسيب أبدا بنيات وصلت وقيل من معنى الحافرة العودة في الشيء حتى يبدأ آخره على أوله وفي الحديث ان هذا الأمر لا يترك على أول حفرته أي على أول ما ابتدئ به وقال المبرد أئنا لمردودون في أمرنا الأول حافرة وقال ابن عباس في الآية الحافرة الحياة وقال السدي أئنا لمبعوثون أحياء بعد الموت وقال زيد بن أسلم الحافرة الدار التي نحفر فيها القبور أي أئنا لمردودون أحياء في قبورنا أئذا كنا عظاما نخرة قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي وخلف نخرة بغير ألف والآخرون بالألف وهما لغتان مثل الطمع والطمع والبخل والبخل وقيل الناخرة البالية وقيل المنخفضة والنخر الثقب ومنه المنخران وقيل الناخرة الرميم وقيل الناخرة الأجوفة التي تمر الريح فيها فتسمع لها نخيرا قالوا تلك إذا كرة خاسرة أي قالوا إن كنا نرد بعد الموت فتلك إذا رجعة خاسرة أي ذات خسران يعنون أنا إن رجعنا بعد الموت فنحن إذا خاسرون أي مغبونون حيث كذبنا بالبعث وهذا قول أكثر المفسرين وقال الكلبي خاسرة أي كاذبة وقال مقاتل أي على قولهم فسيرجعون إلى النار فإنما هي زجرة واحدة أي ما كان البعث إلا صيحة واحدة وهي النفخة الثانية فإذا هم بالساهرة أي على وجه الأرض وسميت الساهرة لأن فيها السهو والنوم وقيل لأن فيها ماء وسمر وقيل لأن الساهرة اسم لأرض القيامة سميت بذلك لأن الخلق يسهرون فيها وقيل لأن الظالم يسهر فيها خوفا من العقوبة والمؤمن يسهر فيها فرحا بالكرامة وقيل لأن الساهرة اسم لجهنم وقيل هي أرض بيضاء مستوية لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقيل هي أرض الشام وقيل هي أرض بيت المقدس وقيل هي أرض مصر وقيل هي أرض الدنيا كلها قبل خراب الدنيا وقيل هي الأرض التي كانت قبل أرضنا هذه وقيل هي الأرض التي يأتي الله فيها للقضاء بين خلقه وقيل هي الأرض التي يحاسب الله عليها الخلق وقيل هي الأرض التي يجيء فيها الله والملائكة الصافون والنبيون والمرسلون وقيل هي الأرض التي يجيء فيها الله والملائكة الصافون والنبيون والمرسلون

مجاهد في السبعة عنه كان لا يبالي كيف قرأها بالف وبلا الف وروى عنه جعفر بن محمد بغير الف وان شئت بالف والباقون بغير الف وهما بمعنى كحذر وحاذر - واقرأ الجمهور وابو عبيد وحاتم بغير الف والناخرة والنخرة بمعنى البالية المتفتة - قال الفراء وقرئ ناخرة وهي وجه الوجهين لان الايات بالالف الا ترى ان ناخرة مع الحافرة والساهرة اشبه بمجئ التاويل وقال والناخرة والنخرة سواء في المعنى كالطامع والطمع قال ابن بري وقال الهمداني في يوم القادسية -

أتاريهم أخانهم عند الاساورة ... ولا تهولنك رؤس نادرة

حتى تعود بعدها في الحافرة ... من بعد ما صارت عظاما ناخرة

وقال الاخفش هما جميعا اثنان ايهما قراءت فحسن - قالوا - اي الذين ينكرون البعث بطريق الاستهزاء - تلك - اي رجعتنا الى الحياة التي لم نكن نعتقدها - اذا - اي اذا خسرنا وخيبة لانكارنا البعث والنشر فلما بعثنا اذا نحن خاسرون - فانما هي زجرة واحدة - اي لا تستبعدوا البعث انشره احياء العظام البالية - فانما هي زجرة واحدة والمراد بالزجرة النفخة الثانية التي هي لبعث الاموات وانما سميت زجرة لانه ينزجر بها الذي عن النخامة منه او هي صيحة لا تتمالك عنها الاحياء - فاذا هم بالساهرة - والساهرة الارض وقيل هي مفازة قال ابو كبير الهذلي -

ترى ذئبانها سغبا كأن جميمها ... بهن المرد شيب قد علاها

الجموم والجميم بمعنى كثير - والسدف جمع السدفة قيل هي ارض البيت وسميت بذلك لسماء ترقيل هي ارض التي يوطأ - وقال الفراء الساهرة وجه الارض لان فيها السهر والنوم

نوا مهمر وسهمر هم - وقال ابن عباسؓ قال اُمَيَّةُ بن الصلت -

تَرْقِيهَا الْحُمُسَاهِرَةٍ وَبَحْرٍ وَمَا فَاهُوا بِهِ اَبَدًا مُقِيمٌ

وما فاهوا اى ما تكلموا وانى رايت فى كتب اللغات ازهذا الشعر وهكذا

فَلَا لَغْوٌ وَلَا تَأْثِيمٌ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ اَبَدًا مُقِيمٌ

فالمصرع الاول فى هذا البيت يناسب ثانيه - قال عكرمة هى وجه الارض كما تقال صَيْدُ بحرٍ وصيد ساهرةٍ - قال سهل بن الساعدى هى ارض بيضاء عفراء كانها الخبز من النقى - قال وهب الساهرة جبل بأرض بيت المقدس وقال قتادة هى جهنم - قال الامام الرازى ان الارض تسمى ساهرة لانها من شدة الخوف فيها يطير النوم عن الانسان فتلك الارض التى يجتمع فيها الكفار هى موقف الحشر

هَلْ اَتٰىكَ حَدِيْثُ مُوْسٰى اِذْ نَادٰىهُ رَبُّهٗ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

قال الجوهرى طُوًى اسم موضع بالشام تنكسر طاؤه وتضم ويصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم وادٍ ومكانٍ وجعله نكرة ومن لم يصرفه جعله اسم بلدةٍ وبقعةٍ وجعله معرفة - قال ابن برى اذا كان طُوًى اسما للوادى فهو علم له واذا كان اسما علما فليس يصح تنكيره لتباينهما فمن صرفه جعله اسما للمكان ومن لم يصرفه اسما للبقعة قال واذا كان طَوًى وطِوًى وهو الشئ المطوى مرتين فهو صفة بمنزلة شَجٍ وشِجٍ ولبس بعلم لشئ وهو مصروف لا غير ومثله قول عدى بن زيد

أَعَاذِلَ إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ يَزِيدُ طَوًى مِنْ غَيْكَ الْمُتَرَدِّدِ

قال ابن سيده وطُوًى وطِوًى جبل بالشام وقيل هو واد فى اصل الطور قال ابو اسحق طُوًى اسم الوادى ويجوز فيه اربعة اوجه طوى بضم الطاء

بغير تنوين وبتنوين فمن نوّنه فهما اسم للوادي او الجبل وهو المذكور سُمّي على فعل نحو طُوًى وصرف ومن لم يُنوّنه ترك صرفه له من جهتين احداهما ان يكون معدولا عن طاوٍ فيصير ممتنعا لعدل المعدول عن عامل فلا ينصرف كما لا ينصرف عمر وهذا قول الفرّاء والجهة الأخرى ان يكون اسما للبقعة كما قال في البقعة المباركة من الشجرة وادي كسر فنوّن فهو طوًى مثل معًى مصروف - وسُئل المبرّد عن وادٍ يقال طُوًى أنصرفه قال لا لأن احدى العلّتين قد انخرمت عنه - وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب الحضرمي طُوًى وطُوًى اذهب غير مجرى وقرأ الكسائي وعاصم وحمزة وابن عامر طوًى ممنوعا في السورتين وقال بعضهم معنى طُوًى اي طُويَ مرتين اي قدّس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرّتين - إذهب إلى فرعون - صِلْ على حذف أن المفسرة ويؤيّده قراءة ابن مسعود انْ اذهب فإنّ في الكلام معنى القول - إنّه طغى - اي لأنّه طغى تعليل لذهاب موسى عليه السلام الى فرعون واطغيانه تكبّره على الله عزّ وجلّ - فقل هل لك إلى أن تزكّى - قرأ نافع وابن كثير بتشديد التاء عند اذنا من التاء في الزاء والباقون من السبعة قرأوا بالتخفيف - قال أبو عمر والعلاء المازني معنى قراءة التخفيف هل لك ان تكون مسلما زكيّا - والمعنى هل لك رغبة الى ان تطهروا العرب يحذفون القيد الذي تتعلق به الى اي هل لك رغبة كما قال اوس بن حجر -

فهل لكم فيها إليّ فإنّني ... بصيرٌ بما أعيا النطاسيّ حذيما

النطاسيّ عالم بالأمور - اي فهل لكم رغبة او حاجة الخ - والتزكية

الهداية الى توحيد الله ومعرفته - وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى
هذا تفسير التزكية - اى ازالك سبيل ربك لانك ضللت عن الطريق
التى توصلك الى ربك فتخشى لان خشية الله لا تكون الا بمعرفته
كما قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء - فَأَرَاهُ الْآيَةَ
الْكُبْرَى - قال ابو حيان وفى الكلام حذف اى فذهب وقال له
ما أمره ربه وانتج ذلك بالمعجزة الدالة على صدقه فاراه الاية الكبرى
وهى العصا واليد جعلهما آية واحدة لان اليد كانها من جملة العصا
لكونها تابعة لها والعصا واحدها لانها كانت المقدمة والاصل
واليد تبع لها لانه كان يتقيها بيده - فَكَذَّبَ - اى فرعون موسى عليه
السلام - وما اتى من المعجزتين الدالتين على انه عليه السلام مرسل
اليه من عند ربه - وَعَصَى - اى الله تعالى بعد ما علم ما أتى به موسى
عليه السلام مرارا تاب وتوهم انه سحر - ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى - وذلك
لان فرعون لما راى العصا ثعبانا عظيما فجعل يسرع فى مشيته ولم
يتخيل ان الادبار والفرار من الشئ الذى هاب عنه منافٍ لدعوى
الالوهية - وقال الجبهوى هو كناية عن اعراضه عن الايمان يسعى
اى يجتهد فى اضرار موسى عليه السلام وفى مكايدته فَحَشَرَ فَنَادَى
اى جمع السحرة واعيان دولته فنادى اى قام فيهم خطيبا او فنادى
فى المقام الذى اجتمعوا فيه - فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى - قال ابو حيان
قال ابن عطية قول فرعون ذلك نهاية فى المخرفة ونحوها باق فى
ملوك مصر وانما عهد انتهى وانما ذلك لان ملك مصر فى زمانه
كان اسما عبليا وهو مذهب يعتقدون فيه الهية - وكان اول

من ملکها منهم المعزّ بن المنصور بن القائم المهدی عبید الله و لا هم العاضد و طهّر الله مصر من هذا المذهب الملعون بظهور الملک الناصر صلاح الدّین بن یوسف بن سادی رحمه الله - و جزاه عن الاسلام خیرا انتهی و المعنی انّه قال فی النادی الذی جمع فیه اعیان مصر انا ربّکم الاعلی ای اعلی من کلّ صنم عبد تموه - قال عطاء و کان صنع لهم اصناما صغارا و امرهم بعبادتها - نعوذ بالله من هذا القول و اعلم انّ هذا القول نشأ منه لو فور کبریائه و کثرة خیلائه فی نفسه و الّا فهو کان یعرف حین کان یدعوا الله بانّه عبد من عباده المذلّلین - و لا یخفی علی الفطین المتدرّب ان دعوی الالوهیة اعظم من الشرک لانّ فی الاول انحصار الالوهیة فی نفسه مع انکار الالوهیة الواقعیّة و فی الثانی اثبات الالوهیة لغیر الله کالاصنام مثلا مع اقرار الالوهیة الواقعیة و قد ذکر الله مرارا فی کتابه انّه لا یغفر الشرک و یغفر ما دون ذلک لمن یشاء فالمشرک هو لفاظ من رحمة الله تعالی فاذا کان حال المشرک کذلک فکیف یکون حال من یدّعی الالوهیّة و ینکر الالوهیّة الواقعیّة الثابتة لله تعالی

و لذلک قال فی کتابه القدیم - فَاَخَذَهُ اللّٰهُ نَکَالَ الْاٰخِرَةِ وَ الْاُوْلٰی نکال نعت لمصدر محذوف ای اخذه الله اخذ نکال الاخرة و الاولی و قال الزجاج انه مصدر مؤکد بغیر لفظه و الاول هو الذی ذهب الفرّاء و النکال العقوبة قال مجاهد معناه عذاب اول عمره و اخره و للشّیخ الاکبر فی باب فرعون الطّاغی کلام اخر و نذکر هنا ملخّصا المذکور فی الفتوحات - قال الشیخ انّ فرعون کان فی باطنه ذلّة و صغارا و فی

فاخذه الله نکال الاخرة والاولی نکال نعت لمصدر محذوف ای اخذ نکال الاخرة والاولی وقال الزجاج انه مصدر مؤکد بغیر لفظه والاول هو الذی ذهب الفراء والنکال العقوبة قال مجاهد معناه عذاب اول عمره واخره وللشیخ الاکبر فی باب فرعون الطاغی کلام اخر ونذکر هنا ملخصا المذکور فی الفتوحات - قال الشیخ ان فرعون کان فی باطنه ذلة وصغارا وفی

ظاهرہ جبروت و استکبار کما یلیق فی الجبابرۃ و الطغاۃ فلذلک
ارشد اللہ موسی و ھارون علیہما السلام ان قولا لہ قولا لینا
و ما یوصر بلین المقال الا لمن کان قوتہ اعظم من قوۃ من ارسل
الیہ فالذین فی القول لیس الا استنزال ظاھرہ من الجبروت و الکبریاء
الی التواضع و التخشع - و الغرض منہ ارادۃ التساوی فی الظاھر
و الباطن - و لما کان الزلۃ و الافتقار مستترا فی باطنہ قال آمنت
بالذی آمنت بہ بنو اسرائیل و انا من المسلمین - فاظہر حالۃ باطنہ
و العلم الصحیح الذی کان کامنا فی قلبہ فلا مریۃ فی کونہ مومنا
و اما قولہ تعالی فلم یک ینفعہم ایمانہم لما رأوا بأسنا - یدل علی
ان باس الدنیا لا یرتفع عمن نزل بہ و لا یدل ما فی الایۃ علی ان
باس الاخرۃ ایضا اغیر مرتفع فیجوز لنا ان نقول ان ابتلاء الغرق
کان عذابا فصار الموت فی حقہ شہادۃ لم یتخلفہا معصیۃ فقضی
علیہ افضل عمل و ھو التلفظ بالایمان و لم یؤخر اجلہ فی حال ایمانہ
لئلا یرجع الی ما کان علیہ من الکفر - اقول ھذا کلام مرموز لان
قولہ تعالی - فاخذہ اللہ نکال الاخرۃ و الاولی - یدل دلالۃ
صریحۃ علی انہ ماخوذ فی الدنیا بالغرق و ماخوذ فی الاخرۃ بعذاب
النار و ما قال الشیخ ان غرقہ کان عذاب الاخرۃ و لذلک قدمہا
فی الذکر علی الاولی غیر مستقیم لان الغرق اذا کان نکال الاخرۃ
فقط فای شیء یتصور ان یکون نکال الاولی و الکلام یدل علی
ان لہ نکال الاولی لان الاولی معطوفۃ علی الاخرۃ فلا بد ان یکون
مضافا الیہ للنکران فیکون المعنی ان اللہ اخذہ نکال الاخرۃ و نکال

الاولی والصحیح انّ الغرق هو نکال الاولی ای الدنیا امّا نکال الاخرة
فهو عذاب النّار کما ورد فی قوله تعالی ادخلوا ال فرعون اشدّ
العذاب فهذا عذاب الاخرة واما قال الشیخ الاکبر انّ
فرعون لا یدخل النّار بل یدخلها آله لانه حکم بقوله ادخلوا ال فرعون
ولم یقل ادخل فرعون واله - فهو غیر صحیح لانّ الله تعالی اراد بآل
فرعون قومه وکانوا یعتقدون بالوهیّته وهو یدعوهم الی الوهیة
نفسه فهو معذّب فی النّار اوّلاً وبالذات لهذه الدعوة الباطلة
وآله معذبة ثانیاً وبالعرض لانهم صاروا کافرین باجابة دعوته
وقد قال الشیخ الاکبر فی باب الثالث والسبعین فمن ظهر بصفته
لم یؤاخذه الله لانه کیف یؤاخذه اذا اظهر بما هو حقّ له - واما
لم یکن لهم الجبروت وما فی معناه وظهروا به اهلکهم الله فتحقق
عند العارفین انها صفة الحق تعالی ظهرت فیمن اراد الله ان یشقیه
انتهی فاذا کان اظهار العبد لنفسه صفة من صفات الله تعالی
موجباً لشقائه وسبباً لاهلاکه فکیف لا یکون دعوی الالوهیة
مع کونه عبداً علة لدخوله النّار - ان فی ذلک - ای قصة فرعون
لعبرة - عظیمة - لمن یخشی - الله وبأسه ویخاف عقوبة الآخرة
ءانتم اشدّ خلقاً ام السماء بناها - قرأ ابن کثیر بتحقیق الهمزتین
مع الفصل بالالف والباقون بتحقیق الاولی وتسهیل الثانیة
وادخال الف بینهما علی الاصل وورش وابن ذکوان علی
الفاصح المار والباقون بالتسهیل بلا ادخال والتحقیق
الحقیقی بالفصل وهو قالون [illegible] انتم اشد

خلقا امر خلق السماء والمخاطبون كفار مكة ومثله قوله تعالى - لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى - اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم - رفع سمكها - اى اعلاه في الهواء هو بيان للبناء والسمك غلظ السماء وهو الارتفاع بين سطحي الاسفل والاعلى - قال الامام الرازي ان امتداد الشيء اذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمي عمقا واذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمي سمكا - فسواها - اى سوى جرمها وجعلها مستوية ملساء ليس فيها شقوق - والمراد من السماء فلك الافلاك وهو اول مخلوق جسماني اظهره الله وابدعه بكلمة كن وهو محدد الافلاك عند الحكماء وزعموا انه لا كوكب فيه لانه ثبت عند اصحاب الارصاد هكذا - والراصدون لما لم يروا وراء المحدد جسما ولا امكانا ظنوا ان الافلاك تسعة - وقالوا ان العقول عشرة فالعقل الاول منها اوجد العقل الثاني وفلك الافلاك والعقل الثاني اوجد العقل الثالث والفلك الثامن والعقل الثالث اوجد العقل الرابع والفلك السابع والعقل الرابع اوجد العقل الخامس والفلك السادس العقل الخامس اوجد العقل السادس والفلك الخامس والعقل السادس اوجد العقل السابع والفلك الرابع - والعقل السابع اوجد العقل الثامن والفلك الثالث والعقل الثامن اوجد العقل التاسع والفلك الثاني - والعقل التاسع اوجد العقل العاشر والفلك الاول فصار الافلاك تسعة وتم سلسلة الافلاك وانتهى سلسلة العقول الى عشرة - فعلقوا سلسلة العلية والمعلولية بينهما وبين الافلاك

وبيان لسمك السماء والبحث في قول الحكماء

والبرهان عندهم على حصر العقول في عشرة سوى عدد الافلاك فلم يبق هذه المسئلة الا وهما - ولذلك لم يذهب الا قدمون من الحكماء الى ترتيب وجود العالم بهذا الطريق - قال الشيخ الاكبر انتصار الهم ولم يمنعوا ان يكون فوق الفلك الاطلس فلاك آخر الا ان الراصد لم يبلغ اليها - والحق انهم عاجزون في تفاصيل احكام الموجودات على ما هي عليه في نفس الامر - فلم يذكروا في نظامها وترتيبها الا على سبيل الظن والتخمين - واليه ذهب الصدر الشيرازي واذا كان كذلك يجب في هذا الباب ان يستدل باقوال الانبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة عليهم ولا يجوز ان يعتقد فيه بما قاسيس الحكماء لان علومهم ظنية وقياساتهم تخمينية فلا بد ان تخلى قلوبنا من وساوس هؤلاء المقاسين - واعلم ان كلمات هذه الاية تدل على ان السماء جسم ذو سمك تسوية وليس فيه شيء يدل على انها مدار البصر او نهايته كما يقال في هذا الزمان وعدم رويتها بالالات الرصدية والمناظر الكبيرة الطويلة لا يدل على عدمه لانه يمكن ان تكون في غاية البعد والا تكفي هذه الالات لرويتها ولكونها شفافة لا لون لها اما رؤية الكواكب في جانبة لكونها متجلية ولا مانع لها - واغطش ليلها - اي اظلم - والغطاش يجيء اللازم والمتعدي يقال اغطش الليل نفسه واغطشه الله اي اظلمه - والغطاش ظلمة الليل - واخرج ضحاها - اي ابرز نهارها واضافة الليل والنهار الى السماء لانهما يحدثان بطلوع الشمس وغروبها وهما لا يحدثان الا بحركة الفلك فصح اضافة

اللیل و النھار الی الفلک - وَالْاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰىهَا - ای بعد تسویۃ السماء و معنی دحاھا بسطھا یقال دحا الارض یدحوھا دحوا بسطھا و کذا قال الفراء - قال شمر و انشد ثنی اعرابیۃ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِیْ اَطَافَا بَنَی السَّمَآءَ فَوْقَنَا طِبَاقَا

ثُمَّ دَحَا الْاَرْضَ فَمَا اَضَاقَا

قال شمر و نسرنہ - فقالت دحا الارض ای اوسعھا - و انشد ابن بری لزید بن عمرو بن نفیل -

دَحَاھَا فَلَمَّا رَاٰھَا اسْتَوَتْ عَلَی الْمَآءِ اَرْسٰی عَلَیْھَا الْجِبَالَا

قال اکثر اھل التفسیر انّ اللّٰہ تعالٰی خلق الارض اوّلا ثم خلق السّماء ثانیا ثم دحی الارض ای بسطھا ثالثا لانھا کانت فی بدو الامر کالکرۃ المجتمعۃ ثم مدّھا اللّٰہ و بسطھا و استدلّ علی ھذا القول بقولہ تعالٰی ھُوَ الَّذِیْ خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِی الْاَرْضِ جَمِیْعًا ثُمَّ اسْتَوٰۤی اِلَی السَّمَآءِ فَسَوّٰىهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ - اقول و ھذا الاستدلال ضعیف لانّ ھذہ الآیۃ تدلّ علی انّ تسویۃ السّماء مؤخّر عن خلق الارض و لا تدلّ علی ان خلق السّماء مؤخّر عن خلق الارض و ظاھر انّ التسویۃ غیر الخلق - کما ان دحو الارض مغائر من خلقھا -

اَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا - ای من الارض ماءھا و ھو الذی یجری من الانھار و العیون النفیرۃ و الصحیح انّ الماء الذی یجری من اصول الجبال ھو ماء الامطار الذی تقذف فیھا فاذا کثر ذلک الماء انبعث العیون و الانھار و تسیل علی وجہ الارض لانّ کرۃ الماء لیست تحت الارض و انما اضاف اللّٰہ الماء الی الارض

لان العیون المنفجرة والینابیع الفوارة لا تنسب الا الی الارض لان محازنها الجبال - فیکون اسناد الماء الی الارض اسنادا مجازیا - ومرعاها - ای اخرج من الارض النباتات لان نرتع منها الحیوانات - وبتعلة بعضها الانسان کالبقول ویتداوی من بعضها کالعقاقیر - ثم النبات اما ملتفة عادة واما غیر مختلفة عادة فالملتفة تسمی شجرا وهو کل نبات قام علی ساق وغیر الملتفة تسمی نجما وهو کل نبات لم یقم علی ساق بل له الطلوع وانتظهور علی وجه الارض خاصة - ثم النبات علی قسمین الاول ما له حس ونمو ویسمی من ماله الحرکة المستقیمة ومن ماله الحرکة الافقیة وقد تسمی سنکوسة والثانی ما لیس له حس ولا کن له نمو فهو ایضا مثل الاول وهی تحصل الحیاة من الاصول لجذب الماء الذی یوافق طبعه بطبع النبات ومن الفروع ایضا لجذب الهواء مثلا - ویجب ان لا یخالف طبعه بطبع النبات والا یخاف علیها الموت بطریان الیبوسة - وما من نبات الا وهو داء او دواء - ای فیه مضرة ومنفعة وذلک بحسب استعداد الامزجة فیجوز ان یکون داء لبعض الامزجة ودواء لغیرها وذلک تقدیر العزیز الحکیم - والتفصیل فی مطولات علم النباتات

والجبال ارساها - ای اثبتها فی الارض وجعلها کالاوتاد لئلا تمید الارض عن مرکزها قرأ الجمهور بنصب الجبال علی الاشتغال ای ارسی الجبال ارساها وقری بالرفع علی الابتداء والاولی هی قراءة الجمهور متاعا - ای منفعة - لکم ولانعامکم - تقدیر الکلام

مَتَّعكم متاعًا لكم او مفعول لاجله اى فعل هذا تمتيعًا لكم ولانعامكم
فَاِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرٰى - يقال طَمَّ الماءُ يطِمُّ طَمًّا
وطُمُوْمًا اِذَا عَلَا وغَلَبَ - واصله مِنْ طَمَّ الشئُ اذا عظم وجل
السيل فطمّ ركيّة آل فلانٍ اذا دفنها وسوّاها - وانشد ابن
برّى للراجز -

فَصَبَّحَتْ والطَّيْرُ لَمْ تَكَلَّمِ خَابِيَةَ طُمَّتْ بِسَيْلٍ مُفْعَمِ

وقال الفرّاء هى القيامة تطمّ على كل شئ اى تغلب وقال المبرّد
الطّامة الدّاهية التى لا تستطاع - وقال الزّجّاج الطّامّة هى
الصيحة التى تطمّ على كل شئ وجاء فى الحديث ما من طامّة
وفوقها طامّة اى ما من امر عظيم وفوقه امر عظيم - قال ابن عباس
الطّامّة اسم من اسماء يوم القيامة - وجواب اذا جاءت محذوف
يدل عليه قوله يوم يتذكر الانسان ما سعى - يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
الْاِنْسَانُ مَا سَعٰى - يوم منصوب بفعل مضمر اى اعنى يوم يتذكر
وقيل انّ الظّرف بدل من اذا وقيل هو بدل من الطّامّة الكبرى
وما مصدريّة او موصولة - اى يوم يتذكر الانسان ما عمل
فى الدنيا من خيرٍ وشرٍّ وذلك سعيه - وَبُرِّزَتِ الْجَحِيْمُ لِمَنْ يَّرٰى
قرأ الجمهور لمن يرى بالتحتانية - وقرأت عائشة ومالك بن
دينار وعكرمة وزيد بن علىؓ بالفوقانية اى لمن ترى والمعنى
اى لمن تراه الجحيم ولمن تراه انت يا محمّد وقرأ ابن مسعودؓ
لمن راى على صيغة فعل الماضى والمعنى واظهرت الجحيم للناد
المحرقة اظهارًا بيّنًا - فيراها الخلائق باجمعهم او لمن يرى من الكفّار

ما عدا المومنین - فَاَمَّا مَنْ طَغٰی - ای جاوز الحد فی الکفر و المعاصی
وَاٰثَرَ الْحَیٰوةَ الدُّنْیَا - ای قدمها علی الاخرة و اختارها - فَاِنَّ
الْجَحِیْمَ هِیَ الْمَاْوٰی - ای مأواه - ولا یخفی علی العارف الفطن
اَنَّ مُوَاثَرَةَ الدُّنیا رأس کل خطیئة و لذلک قال رسول اللہ صلی
اللہ علیه وسلم حُبُّ الدُّنیا رأس کل خطیئة - قال الامام الرازی
و متی کان الانسان و العیاذ باللہ موصوفا بهذین الامرین
کان بالغا فی الفساد الی اقصی الغایات و هو الکافر الذی یکون
عقابه مخلدا - اقول و اذا کان کذلک یجب رفض الدنیا اولا
عن حبها لان حبه راس کل خطیئة و هو من اهلیا - و الیه اشار
اللہ تعالی - وَتَبَتَّلْ اِلَیْهِ تَبْتِیْلًا - ای انقطع الی اللہ تعالی انقطاعا
من کل شئ - فیکون ترک حب الدنیا فریضة علی کل مسلم مسلمة
لان جزاء من آثرها هو الجحیم فیکون ترک حبها فریضة - ثم اَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهٖ - ای حذر مقامه بَیْنَ یَدَیْ رَبِّه یوم القیامة و رفع اضافة
المقام الی ربه تهویل عظمه و وقع علی النفوس و تعظیم یلیق لذلک
المقام و المراد بمن المومن العارف لان الخوف معلوم الحس فان
فَمَنْ لا یعرف اللہ لا یخاف منه شیئا - و اَمَّا الخائف منه شیئا ذاته ان
یَنْهَی عَمَّا نهی اللہ عنه و الیه اشار اللہ تعالی - وَنَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰی
ای عن المیل الی تحصیل الشهوات و اکتساب اسباب الدنیا زهرتها
و لزینتها بل بخارفها - فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِیَ الْمَاْوٰی - ای مرجعه الذی
یاوی الیه و یخلد فیه و الاوی الی الشئ الذی یسکن الیه
مأواه و هو مذهب اهل السنة و الجماعة خلافا للمعتزلة حیث قالوا

يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ - يا محمد صلى الله عليه وسلم - أَيَّانَ مُرْسٰهَا - قال
ابن عباس اى مُنتهى قيامها كرسو السفينة وقال ابو عبيدة ومُرسى السفينة
حين تنتهى - والمعنى ايّان منتهاها ومستقرها - فِيمَ أَنْتَ مِنْ
ذِكْرٰهَا - اى فى اى شئ أنت من ذكراها - قالت عائشة رض كان رسول
الله يُسأل عن الساعة كثيرًا فلمّا نزلت هذه الآية انتهى عن ذكرها و
المعنى فى اى شئ أنت من ذكر تحديدها ووقتها اى لست من ذلك
فى شئ - وكذا روى عن على كرم الله وجهه ورضى الله عنه - إِلٰى رَبِّكَ
مُنْتَهٰهَا اى مُنتهى علم الساعة لم يؤت لاحدٍ من الخلائق وانما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جواب جبريل عليه السلام
ما المسئول عنه اعلم من السائل بل ينتهى علمها الى الله تعالى إِنَّمَا
أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَّخْشٰهَا ۝ قرأ الجمهور باضافة الى ما بعده وقرئ بالتنوين
قال القرّاء كلاهما صواب - قال صاحب الكشاف وقرئ منذرٌ
بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما للحال و
الاستقبال فاذا اريد به الماضى فليس الّا الاضافة كقولك هو
منذر زيدٍ امس - انتهى - قال ابو حيّان فى تفسيره اما قوله وهو
الاصل يعنى التنوين فهو قول قد قاله غيره ممّن تقدم وقد قرّرنا
فى هذا الكتاب وفيما كتبنا فى هذا العلم انّ الاصل الاضافة
لانّ العمل انّما هو بالشبه والاضافة هى اصل فى الاسماء واما
قوله فاذا اريد به الماضى فليس الّا الاضافة فهذا فيه تفصيل وخلاف
مذكور فى علم النحو انتهى اقول ان اسم الفاعل عند البصريين
لا يعمل عمل المضارع الّا بشرط كونه بمعنى الحال والاستقبال

فاذا کان للماضی بطل الشرط فلا یعمل عمل المضارع فی وجبت اضافۃ کما قال صاحب الکشاف اما من لم یشترط فی عملہ ھذا الشرط کالکسائی فانہ یقول ان اسم الفاعل یعمل عمل الفعل وان کان بمعنی الماضی ویحتج بقولہ تعالی والکلب باسط ذراعیہ وردہ الائمۃ علی حکایۃ الحال والمعنی یبسط ذراعیہ یوم القیامۃ - کانھم یوم یرونھا - ای القیامۃ - لم یلبثوا - یتخیلون انھم لم یمکثوا فی الدنیا او فی احداثھم - الا عشیۃ - ای کامتداد الوقت من الزوال الی غروب الشمس - او ضحاھا - ای من البکرۃ الی زوال الشمس - واضاف الضحی الی العشیۃ لکونھما طرفی النھار ولما بدأ بذکر احدھما اضاف الاخر الیہ محاذرا وافق سعیا - تم تفسیر ھذہ السورۃ فنحمد اللہ علی ما وفقنا لتفسیرھا - والصلاۃ والسلام علی نبی ھذہ الامۃ الامیۃ وبشیرھا ونذیرھا وعلی الہ واصحابہ الذین ھم سراۃ النادی وساداتھم وھم الثقاۃ وقد تم

سُوْرَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ وَّهِيَ ثِنْتَانِ وَاَرْبَعُوْنَ اٰيَةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

عَبَسَ وَتَوَلّٰى اَنْ جَآءَهُ الْاَعْمٰى - روی ان ابن مکتوم جاء النبی صلے اللہ علیہ وسلم - وعندہ عصبۃ من صنادید قریش عتبۃ وشیبۃ ابنا ربیعۃ وابو جہل بن ہشام والعباس بن المطلب وامیۃ بن خلف والولید بن مغیرۃ یدعوہم الی الاسلام فقال یا رسول اللہ اقرئنی وعلمنی مما علمک اللہ وکرر ذلک ولا یعلم مقالتہ صلے اللہ علیہ وسلم بالقوم فتأفف رسول اللہ صلے اللہ علیہ وسلم ان یقطع کلامہ ولم یتوجہ الی قولہ فانزل اللہ سبحانہ ہذہ الآیۃ فکان رسول اللہ صلے اللہ علیہ وسلم یکرمہ بعد ذلک - ومعنی عبس قطب وتولی اعرض - ان جاءہ الاعمی مفعول لاجلہ - ای قطب رسول اللہ صلے اللہ علیہ وسلم لمجیء الاعمی عندہ وخطابہ حین کان رسول اللہ صلے اللہ علیہ وسلم - یناجیہم ویدعوہم فی امر الاسلام وانما قال اللہ تعالٰی - عبس وتولی ولم یخاطبہ اجلالا لشانہ وتعظیما لمکانہ ولطفا بہ ان یخاطبہ تنبیہا - بل نبہہ علی طریق حکایۃ الکلام عن الجمہور عبس مخففا - ان بہمزۃ واحدۃ - ویدل بن علی بتشدید الباء - وہو والحسن وابو عمر ان البجلی فی وعیسی ان بہمزۃ ومدۃ بعدہا وبعض القراء بہمزتین محققتین والہمزۃ فی ہاتین القراءتین للاستفہام - وانما قال الاعمی اشعارا بما یناسب

من الرفق - وَمَا يُدْرِيكَ - اى اى شئ يعلمك دارياً بحاله حتى تواليت عن ذلك الاعمى - لَعَلَّهُ - اختلف فى المرجع فقال بعضهم انه يرجع الى الاعمى - يَزَّكَّى - اى لعله يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح الذى يفعله بتعليمك ويتزين من الادناس بفيضان تلقينك - وقال بعضهم انه يرجع الى الكافر والمعنى انك ترجوا ان يزكى الكافر بنور الاسلام وتطمع تصقيله وازالة رينه عن فؤاده فيطهر قلبه بادناس الشرك والكفر بتعليمك اياه والامر ليس كذلك والاحتمال الاول هو الاولى - اَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرٰى - اى الموعظة التى سمعها منك وقرأ الجمهور فتنفعه برفع العين عطفاً على او يذكر وعاصم والاعرج ابن حيوة وابن ابى عبلة بنصبها قال صاحب الكشاف وبالنصب جواباً العلّ - اَمَّا مَنِ اسْتَغْنٰى - اى كان ذا مال وثروة ويرادبه المذكورون او استغنى عن ذكراك - فَاَنْتَ لَهُ - اى لذلك المستغنى - تَصَدّٰى اى تصغى لكلامه - والمتصدى هو الذى يرفع رأسه واصل الرة يتصدى للشئ ينظر اليه والمعنى انّ من كان مستغنياً عن موعظتك فانت تقبل اليه بالاهتمام لاستصلاحه واسترشاده - قال القرطبى وهذا كله غلط من المفسرين لان اميّة والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما وما تا كافرين احدهما قبل الهجرة والآخر فى بلده - والم يقصدا قط امية المدينة ولا حضر معه سواه ثم احمد انتهى - قال ابو حيان والغالط من القرطبى كيف ينفى ان يكون ابن ام مكتوم معهما وهو منه وكلهم من اشراف قريش كان

ابن ام مکتوم بها والسورۃ کلها مکیۃ بالاجماع وکیف یقول وابن ام مکتوم بالمدینۃ - کان اولا بمکۃ ثم هاجر الی المدینۃ وکانوا جمیعهم بمکۃ حین نزول هذہ الآیۃ وابن ام مکتوم هو عبد اللہ ابن سریج بن مالک بن ربیعۃ الفهری من بنی عامر بن لؤی وام مکتوم ام ابیه عاتکۃ وهو ابن خال خدیجۃ رضی اللہ عنها انتهی هذا هو الحق وهو قول الجمهور وقرأ الحسن وابو رجاء وقتادۃ والاعرج وعیسی والاعمش وجمهور السبعۃ تصدی بتخفیف الصاد واصله تتصدی فحذف التاء وابن کثیر ونافع قرأ بتشدید الصاد - وابو جعفر بضم التاء وتخفیف الصاد تصدی ای یصدیک حرصک علی اسلامه وما علیک الا یزکی ای لا شیء علیک فی ان لا یسلم من دعوتک الی الاسلام ولا یهتدی لان فصادی تعلیمک هو اراءۃ الطریق فلا یجب علیک ان تحرص فی اسلامه وتکابد فی ارشاده لان الایصال الی الهدایۃ انما هو من فعلنا - لا من فعلک وامّا من جاءک یسعی ای وصل الیک یسرع فی ابتغاء الخیر والاشتغال فی طاعۃ اللہ وهو یخشی ای اللہ او اذی الکفار وهو ابن ام مکتوم - فانت عنه تلهی ای تتشاغل عنه مع کونه ساعیا فی طاعۃ اللہ وهو یخشی وقرأ طلحۃ بن مصرف تتلهی - وقرأ ابو جعفر تلهی ای یلهیک شأن الصنادید - وهذا عتاب للنبی صلی اللہ علیه وسلم ومعناه وهذا لا ینبغی للنبی ذلک لان شأنه ان یتصدی للفقیر ویتلهی عن الامیر کلا - ردع له صلی اللہ علیه وسلم ومعناه لا تعرض عن الفقیر المسلم ولا تقبل الی الامیر المشرک - انها - ای هذہ الایات تذکرۃ

ای موعظۃ - فمن شاء ذکرہ اتعظ بہ واعتمل بموجبہ - فی صحف - ای ان ھذہ الایات مثبتۃ فی صحف من اللوح المحفوظ مکرمۃ - عند اللہ لما فیھا من العلوم والحکمۃ - مرفوعۃ - ای رفیع القدر عند اللہ بارتفاع معانیھا - وقیل مرفوعۃ فی السماء السابعۃ مطھرۃ ای منزھۃ مکتوبۃ باذن اللہ تعالی - بایدی سفرۃ جمع سافر ککتبۃ وکاتب قال ابن عباس ومعناہ بالنبطیۃ القراء - وقال الفراء السفرۃ ھم الملائکۃ الذین یسفرون بالوحی بین اللہ وبین رسولہ وھو قول ابن عرفۃ - قال الزجاج قیل للکاتب سافر والکتاب سفر لان معناہ انہ یبین الشیء ویوضحہ - وقال الاسفار للکتب الکبار واحدھا سفر والمعنی ان ھذہ الایات مکتوبۃ بایدی الملائکۃ المکرمین من اللوح المحفوظ فی الصحف المکرمۃ - کرام - ای مکرمین فی الملائکۃ - بررۃ جمع بار - ای مطیعین - واعلم ان الاوصاف التی ذکرت فی شان الملائکۃ لا تستدعی ان تکون قوی مجردۃ عن المادۃ کما ذھب الیہ الحکماء لان استعمال ھذہ الکلمات فی معانیھا الحقیقۃ غیر متعذرۃ عند العقل ولا ممجوجۃ عند اھل اللسان وح لا یجوز ان یترک الحقیقۃ - فیجوز لنا ان نقول ان الملائکۃ اجسام نوریۃ عباد اللہ لا یعصون اللہ ویفعلون ما یؤمرون فمنھم سفرۃ الکتب ومنھم حاملوا الوحی ومنھم سفراء بین اللہ وبین رسلہ ومنھم المدبرات یدبرون الامور المقدرۃ فی علم اللہ تعالی ومنھم المقسمات فانھم یقسمون حظوظ العباد وارزاقھم ومنھم موکلۃ علی الماء والھواء - فلا یجوز للمسلم ان یقول ان الملائکۃ قوی

مُجَرَّدَۃ لانّ ذلك خلاف القرأن - والتأوّل فیه ومن تاوّل القرآن بالرّاء فلیتبوّأ مقعده من النار - قُتِلَ الْاِنْسَانُ مَآ اَكْفَرَهٗ ۝ ای لُعِنَ الانسان ایّ شیءٍ اكفره - ای جعله كافرًا - قال الزّجّاج - معناه اعجبوا انتم من كفره - مِنْ اَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهٗ - والاستفهام للتقریر - مِنْ نُّطْفَةٍ ای من ماءٍ مهین محقّر - خَلَقَهٗ فَقَدَّرَهٗ ۝ ای خلقه من تلك النطفة فقدّر تقلّباته من طورٍ الی طورٍ وتحوّلاته من حالٍ الی حالٍ باعتبار اعضائه وقواه او باعتبار ازمنة عمره - ثُمَّ السَّبِیْلَ یَسَّرَهٗ ۝ ای سبیل الخیر والشرّ وقیل الخروج من بطن امّه - قال الامام الرازیّ أن راس المولود فی بطن امّه من قوقٍ ورجلیه من تحت فهو فی بطن امّه علی الانتصاب فاذا جاء وقت خروجه انقلب باذن الله ثُمَّ اَمَاتَهٗ - اذا جاء اَجَلَهٗ - فَاَقْبَرَهٗ - ای واراه فی قبره اكرامًا له ولم یجعله ملقًی علی الارض حتّی تاكله السباع - هذا قول الفرّاء وقال ابو عبیدة جعل له قبرًا وامر ان یقبر فیه - ثُمَّ اِذَا شَآءَ اَنْشَرَهٗ ای احیاه بعد موته - واعاده بعد الابتداء - والاعادة تكرار الامثال علی الوجود العینی والا یجب تكرار العین لانّ الوجود لیس الا مثلین - والی ذلك یشیر الله تعالی انّه فی لبس من خلق جدید فالاوّل اذا بین النشأة الاولی والاخری یعود الی التدبیر لانّ النشأة الاولی قابلة للفناء والزّوال بخلاف صورة النشأة الاخری فهی لا تقبل الزوال فی باقیة ابدًا فالاعادة عبارة عن الباس الصورة الباقیة علی اعیان الممكنات فهی اعادة حكمًا لا اعادة عینًا ثمّ الصفات الخمسیة التی هی تابعة لامزجة صور الاجسام الفانیة كالبول

والبرد والمتن وغيرها اعراض جسمانية قابلة للزوال والفناء لانها لاحقة بصور فانية فيجوز فناؤها كما يجوز فناء موضوعاتها وذلك لانه في تلك النشأة لا يوجد مزاج يكون فيه استعداد البقاء والغائلة والمخاط فلا تو جد هذه الاعراض في النشأة الباقية الابدية كلا كلمة ردع للانسان وبمعنى حقا لما يقض اى لم يفعل الانسان ما امره اى ما امره ربه من الايمان والاسلام والاعمال الصالحة والتخلق باخلاق الحنفية والتبرئ عن الرذائل كالكبر والبطر والحسد والاشر والتامل في خلقه اول مرة لانه كان في هوان ومذلة والاعتبار من احتياجه وافتقاره من بدء وجوده الى اخر عمره فلينظر الانسان الى طعامه الذي خلقه الله تعالى لبقاء حياته وهيأ له اسباب كسبه كالزروع مثلا وكل ذلك بتدبير الله جل شانه وخلقه وفي هذه الاية ايقاظ للانسان الذي لا يتامل في الامور التي خلقها الله ودبرها لمعيشة الانسان وابقائه الى اجل معين والا لا يقدر الانسان على شئ من الاشياء التي تحتاج اليها في تمدنه ومعيشته قال مجاهد وابن الزبير الى مدخل الطعام ومخرجه انا صببنا الماء صبا اى اغرقناه على الارض قرأ الجمهور انا بكسر الهمزة على الاستيناف وعاصم ابو بكر والكسائي وحمزة وورش عن يعقوب بفتح الهمزة على انه بدل الاشتمال من قوله طعامه قال الزجاج الكسر على الابتداء والفتح على معنى البدل من طعامه انتهى والمعنى فلينظر الانسان الى انا صببنا الماء اى المطر صبا وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنه

بالفتح والامالة - ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ والمراد بشق الارض شقها بظهور النبات والزروع - واسند الله تعالى صب الماء وشق الارض الى نفسه لانه تعالى موجد الاشياء كلها فالممكنات كلها مستندة اليه تعالى بلا واسطة حقيقة وهذا هو الحق ومذهب اهل السنة واما استنادها الى الاشياء القريبة التي هي الوسائط كاستناد الماء الى السحاب وكاستناد النبات الى الماء فعلى طريق المجاز - ثم ذكر الله تعالى ثمانية انواع من النبات - اولها - فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ اى انبتنا في الارض حبا وهو كل ما يحصد من نحو الحنطة والشعير واسناد انبات الحب الى نفسه تعالى دل على ان صب الماء على الارض ليس علة لانبات النبات والزروع - وثانيها وَّعِنَبًا - اى وانبتنا فيها عنبا - وهو غذاء من وجه وفاكهة من وجه وثالثها - وَّقَضْبًا ۝ قال الخليل القضب الفصفصة الرطبة فاذا يبست فهي القت وسماها اهل مكة بالقضب قال القتيبي تغلب واهل مكة يسمون العنب القضب قال المبرد وهو العلف لان العلف يقضب اى يقطع ورابعها - وَّزَيْتُونًا - وهو ما يعصر منه الزيت وهي شجرة الزيتون قيل ويقال للشجرة نفسها زيتونة ولثمرتها زيتونة والجميع الزيتون والدهن الذي يستخرج منه زيت وخامسها وَّنَخْلًا ۝ وهو جمع نخلة - كتمر وتمرة واهل الحجاز يؤنثون النخل قال الله تعالى والنخل ذات الاكمام واهل نجد يذكرون ومنه قول امرئ القيس -

وَحَدِّتْ بِأَنَّ زَالَتْ بِلَيْلٍ حُمُولُهُمْ كَنَخْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرِ مُلَبَّقِ

وساد سها - قوله حدائق غلبا - جمع حديقة وهي كل ارض ذات شجر مثمر ونخل ومنه قول عنترة -

جادت عليها كل بكر حرة فتركن كل حديقة كالدرهم

وروي كل قرارة - وقيل الحديقة البستان والحائط وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب كقول الشاعر -

حديقة غلباء في حدائها وقرسا انثى وعبدا افاديها

اراد الشاعر انه غالى بمهرها على ما به من الاشتها فاعطى حديقة غلباء وغيرها من الاشياء - وقال الزجاج الحدائق البساتين والشجر الملتف والغلب جمع اغلب وغلباء ويستعمل في الحيوان وغيره اما في الحيوان فيقال اغلب معناه غليظ الرقبة - يقال عنق اغلب كما يقال عنق اجيد او قصر ومنه قول الشاعر -

بيض مرازبة غلب جحاجحة

والاكثر انهم يصفون السادة بغلظ الرقبة وطولها - والانثى غلباء قال كعب بن زهير -

غلباء وجناء علكوم مذكرة في دفها سعة قدامها ميل

اي ناقة غلباء الرقبة مكتنزة اللحم العلكوم ناقة تمليظة الخلق في دفها في عدوها وقد يستعمل ذلك في غير الحيوان يقال هضبة غلباء اي عظيمة مشرفة - وعزة غلباء ومنه قول الشاعر -

وقبيلك ما علوا بت تغلبت بغلباء تغلب معلوا لبيزا

وتغلب في المصرع الاول اسم قبيلة - بغلباء اي بعزة غلباء ويقال قبيلة غلباء - قال الاخفش ويقال شجرة غلباء اذا كانت

غليظة ومنه حدائق غلبا قال امرؤ القيس -

وشهّتهم في الآل لما تحمّلوا حدائق غلبا أو سفيدا مقيّرا

وسايعها - وفاكهة - والمراد بها ما يأكله الناس من ثمار الاشجار هذا اذا كان عطفها على قوله عنبا وعلى هذا التقدير لا يدخل العنب في الفاكهة التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه - واما اذا كان عطفها على حدائق فهو من قبيل عطف الخاص على العام - اختلف العلماء في تعريف الفاكهة فقال بعضهم كل شئ قد سمّي من الثمار في القرآن نحو العنب والرمّان فاذا لا تسمّيه فاكهة فعلى هذا لو حلف أن لا يأكل فاكهة فأكل عنبا ورمّانا لم يحنث - وقال آخرون كل الثمار فاكهة - وانما كرّر في القرآن في قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمّان لتفضيل النخل والرمّان على سائر الفواكه - ومثله قوله تعالى - وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم فكرّر هؤلاء للتفضيل على النبيّين ولم يخرجوا منهم - قال الأزهري ما علمت أحدا من العرب قال ان النخيل والكروم من الفاكهة - وانما شذّ قول النعمان بن ثابت في هذه المسئلة عز أقاويل جماعة فقهاء الامصار لقلّة علمه بكلام العرب وعلم اللغة وتاويل القرآن العربي المبين - والعرب تذكر الاشياء جملة ثم تخصّ منها شيئا بالتسمية تنبيها على فضل فيه قال الله تعالى من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال - فمن قال ان جبريل وميكال ليسا من الملائكة لافراد الله عزّ وجلّ اياهما بالتسمية

فاكهة وابا ذكر الفاكهة وهي من جملة الثمار

بعد ذكر الملائكة جملة فهو كافر لان الله تعالى نص على ذلك وبينه وكذلك من قال ان ثمر النخل والرمان ليس فاكهة لافراد الله تعالى اياهما بالتسمية بعد ذكر الفاكهة جملة فهو جاهل وخلاف المعقول وخلاف لغة العرب اقول الفاكهة هي الثمر الذي يأكله الانسان اشباعا لبطنه بل ياكله للذة النفس لانه ان اكلها كالغذاء لم توافق مزاجه ويكون سببا لانحراف المزاج - كالعنب والرمان مثلا قال الاطباء ان قشر العنب بارد يابس - وحشوه حار رطب وحبته بارد يابس جيد للغذاء واكله على قدر المعتاد يولد السمن ويقوي الحرارة الغريزية وعلى غير المعتاد يضر المثانة واما الرمان فهو قسمان رمان حلو ورمان حامض اما الاول فهو بارد رطب في الاولى - واما الثاني فهو بارد يابس في الثانية يقمع الصفراء ويسكن سيلان الفضول الى الاحشاء ويخشن الصدر والحلق والحلو يقوي الصدر وينفع السعال ويظهر بهذا ان العنب والرمان فاكهة وادواء والذلك يدخلان في الفواكه والادوية فلا يكون حكمهما حكم الفواكه من كل الوجوه ومن ثم قال الامام ابو حنيفة رضي الله عنه ان من حلف ان لا ياكل فاكهة ثم اكل عنبا او رمانا لم يحنث لجواز ان ياكله للدواء لاعلى طريق التفكه - ولتعرف ما قال صاحب الكشاف فان قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها - قلت اختصاصا لهما وبيانا بفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان اخران لقوله تعالى وجبريل وميكائيل - او لان النخل ثمره فاكهة وطعام

والرُّمَّان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكُّه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمّانا او رطبًا لم يحنث وخالفه صاحباه - فالأزهري لم يعرف هذا السّر الدقيق ولم يدر خواصّ الفواكه من حيث الطبّ جهل عن حقيقة الرُّمَّان العنبَ فمع جهالته وبلادته اطلق لفظ الجاهل على من كان راس الائمة المجتهدين واعظمهم وسيد العلماء الراسخين واكرمهم والعمري انّ هذا الجاهل اثبت الجهالة لنفسه بنفسه فمن آثار الغبار على وجه الشمس امل عينيه - وأبًّا اختلف في معناه الاوّل هو كل شئ ينبت على وجه الارض وهو قول الضحاك والثاني هو الثمار الرطبة وهو قول ابن عباسؓ - وابي طلحة - الثالث هو النبات الذي ياكله الدواب والا ياكله الناس وهو ايضًا قول ابن عباسؓ وروي عنه انّه الكلأ والمرعى وهو قول الفرّاء والرابع هو التبن وهو ايضًا قول ابن عباسؓ والخامس هو جميع الكلاء الذي تعتلفه الماشية وعن النبيؐ انّ عمرؓ قرأ على المنبر وفاكهة وابًّا فقال كنّا نعرف الفاكهة فما الأبّ ثمّ رفض عصًا كانت في يده فقال هذا لعمر الله هو المكلّف فما عليك ان لا تدري ما الأب اتبعوا ما بيّن لكم من هذا الكتاب فاعملوا عليه - وما لم تعرفوه فكلوه الى ربّه - متاعًا لكم - منصوب بانتنا - والأنعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم - فاذا جاءت الصّاخّة قال ابن عباسؓ الصّاخّة من اسماء يوم القيامة - قال ابن الاعرابي الصّاخّة - وهي التي تورث الصّمم - قال الخليل هي صيحة تصخّ الآذان

حتى تصمّها لشدّة وقعها والاصل فيه ان الصخّ الضرب بالحديد
على الحديد والعصا الصّلبة على شئ مُصمتٍ - قال ابو اسحق الصاخة
الصيحة التي تكون فيها القيامة وبه فسّر ابو عبيدة وهي امّا مصدرٌ
واما ان تكون اسم فاعلٍ من صخّ يصخ - يوم يفرّ المرء من اخيه
وامّه وابيه وصاحبته وبنيه ۞ يوم بدل من قوله تعالى اذا جاءت
او منصوب بفعل مقدّر اى اعنى - وفي هذا الاية تهويل عظيم
واقع في ذلك اليوم لان الانسان اذا ابتلي يرجع الى اولى القرابة
رجاء ان ينصره ويسدّ فاقته فيزول عنه همّه الذى ضاق به صدره
اما في ذلك اليوم فانه يفرّ منهم وذلك اما لفرط التوحّش او لعلمه
بانهم لا يغنون عنه شيئًا كما قال الله تعالى يوم لا يغني مولى عن
مولى شيئًا - او لمخافة انهم يحتاجون اليه من شئ وانه لا يقدر على
كشف الكروب والشدائد عن نفسه فكيف يقدر على ازالة كرباتهم
والمراد بالفرار عدم المواساة وانما بدأ بكلامه بقوله اخيه
لان اوّل من عامل معاملة الفرار والتباعد هابيل فانه كان يفرّ
من قابيل وكذلك كان يفرّ ابراهيم عليه الصلوة والسلام من ابويه
لكلّ امرئ منهم يومئذٍ - اى في يوم القيامة - شأنٌ يغنيه
اى يشغله شأن نفسه عن شأن غيره وجوهٌ يومئذٍ مسفرةٌ - من
اسفر الصبح اذا اضاء اى وجوه يوم مذ مضيئة مشرقة ضاحكة
اى مسرورة - مستبشرة بما نالته من الثواب من رحمة الله
وكرامته على حالهم فهذه حال السعداء من الصالحين - واما حال
الاشقياء فقال - ووجوهٌ يومئذٍ عليها غبرةٌ اى كدورة وظلمة

بالمعصية - ترهقها - تغشاها - قترة ٥ اى كدورة مسودة والنشر
ابو عبيدة القترة دق

مُتَوَسِّجٌ بِرِدَاءِ الْمُلْكِ يَتْبَعُهُ ... مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّايَاتِ وَالْقَتَرَا

اولئك هم الكفرة ٥ - جمع كافر - الفجرة ٥ جمع فاجر دلت هذه
الاية على ان اهل النار هم الكافرون فلا يدخل صاحب الكبيرة
فيها لانه ليس كافرا فهو اما يعذب في القبر او يغفره الله بفضله
وهذا هو الحق عندنا - تم تفسير هذه السورة بحمد الله رب العلمين
والصلوة على محمد خاتم المرسلين وعلى اله واصحابه اجمعين

سورة التكوير تسع وعشرون اية وهي مكية ٥ احد وخمسون حرفا

قال ابن عباس رض نزلت بمكة - وكذا روى عن عائشة رضي الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت ٥ يقال البصريون ومنهم الزمخشري فالشمس
بفعل محذوف وذلك لان اسماء الشرط والجزاء تستدعي الفعل
والكوفيون اجازوا وقوع المبتدأ بعد اذا وهو قول الاخفش
قال الليث الكور لوث العمامة يعني ادارتها على الراس وقال
النضر كل دارة من العمامة كور ومنه قول ابي ذؤيب

وَصَمَّ دِعَيْمِيٍّ كَأَنَّ الْ ... مَلَاثَ بِأَسْرَافِ الْجِبَالِ مُكَوَّرُ

فالاصل فیه هو اللف والجمع ومعنی کوّرت الشمس جمع ضوءها ولفّ کما تُلفّ العمامة - وهذا قول الاخفش وابی عبیدة ولف الشمس کنایة عن مسیخها وذهاب نورها کما قال قتادة وهو قول الفرّاء وقال عکرمة ای نُزع ضوءها - وقال الربیع بن خیثم معناه رُمی بها وقال ابن عباسؓ کوّرت غوّرت وفی الحدیث یُجاء بالشمس والقمر ثوران یکوّران فی النار یوم القیامة ای یلفّان ویُجمعان ویُلقیان فیها وثوران بالثاء المثلثة کانهما یُسیخان - ویقال کوّرته ای القاه مجتمعا وانشد ابو عبیدة -

ضربناه امّ الرأس والقحف ساطع فخرّ صریعا للیدین مکوّرا

فیکون المعنی اذا الشمس لُفّت وجُمع ضوءها - واذا النجوم انکدرت وانکدر ضدّ الصفاء وفی الصحاح خلاف الصفو - ومنه قول ابن مطیر الاسدی -

وکائن ترَی من حال دُنیا تغیّرت وحال صفا بعد انکدار غدیرها

وعلی هذا یکون المعنی واذا النجوم ذهب نورها وصفائها - وقال الخلیل یقال انکدر علیهم القوم اذا جاؤا ارسالا حتی ینصبّوا علیهم والیه ذهب ابو عبیدة - وقال ابن عباسؓ انکدرت تغیّرت وهذا المعنی قریب من الاصل والمعنی الاول هو الاولی لانّ الحقیقة متقدمة علی المجاز فلا یُصار الیه الا عند تعذّرها او هجرها واذا الجبال سُیّرت ای اُقتلعت عن الارض بنفخ الصور وسیّرت کما تسیر السحاب فی الجوّ - ومنه قوله تعالی - ویوم نسیّر الجبال ترَی الارض بارزة - واذا العشار عُطّلت جمع عُشراء

يقال ناقة عُشَرَاء اذا مضى لحملها عشرة اشهر - وقيل ثمانية والاوّل اوّلى بالمكان لفظه - فاذا اوضعت لتمام سنة فهى عُشَرَاء - ومنه قول الفرزدق

كم عمّة لك يا جرير وخالة ... فدعاء قد حلبت علىّ عشارى

قال الفرّاء والمعنى انّ لقحى الابل عطّلها اهلها لاشتغالهم بأنفسهم ولا يعطّلها قومها الّا فى حال القيامة - وَاِذَا الْوُحُوْشُ - اى دواب البرارى والاجام واَنعامها - حُشِرَتْ - قرأ الجمهور بالتخفيف وقرأ الحسن بالتشديد وقال ابن عباس معناها اى جمعت بالموت لانه لا يقف احد موقف الحشر الا الثقلين وذلك لانها غير مكلّفة اجماعا - وَاِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ - قال ابن عباس اى اختلطت ومنه قول زهير ابن ابى سلمى -

لقد نأن عنكم محسنا فديمًا ... وقد سجرت بحارهم بحارى

وقال ثعلب سُجِّرَتْ اى مُلِئَتْ وهو قول الزجاج - قال ابن سيده ولا وجه له الا ان تكون ملئت نارا او جاء فى التفسير ان البحر يسجر فيكون نارا جهنّم وقال على بن ابيطالب عليه السلام فى تفسير قوله تعالى والبحر المسجور اى المسجور بالنار - وقال كعب البحر جهنّم يسجر - وقرئ بالتخفيف والتشديد والمعنى انّ مياه البحار تصير مسعّرة كتسعير اهل النار ولعلّ ذلك التسجير يكون بالحرارة المركزية لانّ تفجّر الصهريج يقلّب طبقات الارض فيصير عاليها سافلها وسافلها عاليها فيسخن ماء البحار بهذه الحرارة وقد ثبت انّ الحرارة المركزيّة هى التى تذيب المعادن حتى تذوب مسايلة بها فيمكن ان توقد البحار بها وتشتعل مياهها كالنيران - وقيل سجرت اى يبست وذهبت مياهها - حتى لم يبق منها قطرة - وَاِذَا النُّفُوْسُ زُوِّجَتْ اى تقارنت النفوس باجسادها - وذلك بعد النفخ الثانى - وَاِذَا الْمَوْءُوْدَةُ

سُئِلَتْ - والموؤدة المدفونة حيّة وكانت العرب تدفن البناتهم حيّة مخافة الإملاق وخشية الإسترقاق او العار - يقال وأد ابنته يئدها وأدًا اذا دفنها حيّة - وكانت هذه عادتهم حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى - ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم وقال في موضع آخر واذا بشر احدهم بالانثى ظلّ وجهه مسودًا وهو كظيم - يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون أم يدسه في التراب - والنشد الاعرابي -

وما بقي الموؤد من ظالم امّه كما لقيت ذهل جميعًا وعامر

اراد من ظلم امّه اياه بالوأد - ومنهم من كان يئد البنين عند المجاعة وكانت كندة تئد البنات قال الفرزدق يعني جدّه صعصعة بن ناجية

وعمّي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد

حكي ان الاعراب اذا نتجت لهم بنت فان اراد قتلها يحفر في الصحراء بئرًا فيقول لامّها طيّبيها وزيّنيها ثم يذهب بها الى ذلك البئر ويقول لها انظري فيها فيدفعها ويهيل فيها التراب حتى يملأ البئر ويستويها - وقيل كانت الحامل اذا قرب وضعها حفرت حفرة فتمخضت على رأسها اى على راس الحفرة فاذا ولدت بنتًا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنًا حبسته - قرأ الجمهور سُئلت بنيًا للمفعول وهذا السؤال هو توبيخ الوائدين وتبكيتٌ لهم لان سوال البين يؤل الى سؤال الفاعلين للوأد وذلك لان ظاهر حال الموؤدة يشهد بانها في حالة لا يمكن ان يصدر منها الذنب ومع ذلك قتلت فلا يكون قتلها الا بغير الذنب فيكون هذا السؤال زجرًا وتحذيرًا لقاتليها

وقرأ الحسن والاعرج سئلت بكسر السين وذلك على لغة من قال سأل يغير همزة - وقرأ عبد الله ابن مسعود وعلى رضى الله عنهما وابن عباس وجابر بن زيد سألت مبنيا للفاعل وقتلت بسكون اللام وضم التاء حكاية لكلامها حين سئلت - بأي ذنب قتلت اى الموؤدة - واذا الصحف نشرت - اى صحائف اعمال العباد نشرت بالتشديد والتخفيف اى كشفت وفتحت فيفف كل انسان على صحيفته فيقول ما لهذا الكتب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قرأ نافع وابن عامر وابو عمر ونشرت وقرأ الباقون بالتشديد واذا السماء كشطت - وقرأ ابن مسعود قشطت قيل ابدال الكاف بالقاف كثير في كلامهم - قال ابن سيده وليست الكاف في هذا بدلا من القاف لانهما لغتان لاقوام مختلفين - قال يعقوب تقول قريش كشط وتميم يقولون قشط والتنزيل جاء بلغة قريش يقال كشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال سلخت لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته واجلدته وكشط فلان عن فرسه الجل وقشطه وضاه بمعنى واحد قال الفراء كشطت اى نزعت غطيت وقال الزجاج معنى كشطت وقشطت قلعت قال اهل اللغة اذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات - وفي حديث الاستسقاء فتكشط السحاب اى تقطع وتفرق - واذا الجحيم سعرت اى اوقدت ايقادا - واذا الجنة ازلفت - اى قربت - يقال زلف اليه وازدلف وتزلف اى دنا منه - قال الزجاج اى قرب دخولهم ونظرهم الى الجنة - علمت نفس ما احضرت - من الدنيا

الى الآخرة من الاعمال الصالحة او الطالحة عند المحاسبة وتعلم انها تستحق بها الجنة او النار ومعنى علمها بها مشاهدتها ومعرفة احوالها فان كانت صالحة يشاهدها ممثلة في احسن صورة وان كانت طالحة يشاهدها في اقبح هيئة فيقع في التعب والكرب اذا شاهدها على خلاف ما يتوقع بها - كالكفار مثلا فانهم كانوا يعتقدون - ان عبادة الاوثان طاعة وانهم يشفعونهم فيعاينون على خلاف ما كانوا يعتقدون بها فيحيط بهم الخشية والدهشة -

فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس - الخنس جمع خانس وهو المتأخر والمراد بها الكواكب الدراري التي تخنس في مجراها ويراد بها ترحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد فهذه الكواكب ترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس ويقال لها المتحيرة اي التي ترجع في سيرها وتستقيم - والكنس جمع كانس وهي النجوم تطلع جارية وكنوسها ان تغيب في مغاربها التي تغيب فيها - وهذا قول الزجاج - وقال الفراء في الخنس الكنس هي النجوم الخمسة تخنس وتستتر كما تكنس الظباء في المغار وهو الكناس - وجمعه كنس وكنس وكنوس وانشد ابن الاعرابي -

والا الانعام ما بها خلفة ... والا الظباء كنوسا وذببا

وانشد ثعلب

ران لليل حلو ليس ... ليس بها من اهلها انيس

الا البعافير وارا العيس ... وبقر مليع كنوس

وهذا قريب مما ذهب اليه المنجمون فانهم قالوا ان الكواكب

المذكورة تسرجع في سيرها الى تستقيم بخلاف النيرين اعني الشمس والقمر فانهما لا تقبلان الرجعة - وحين ما ترجع تختفي تحت ضوء الشمس واختفاؤها عندهم احتراقها فلا تظهر انوارها في المنازل وقيل الخنوس هو تباعدها من المطلع واقرب المطالع سمت الرأس فاذا مالت المنطقة الى الجنوب او الى الشمال تأخذ في التباعد فعلى هذا يراد بالخنوس هو التباعد عن المطلع والكنوس الرجوع اليه هذا ملخص ما ذكره المفسرون - والليل اذا عسعس قيل هو اقبال الليل واذباره قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر قال وكان بعض اصحابنا يزعم ان عسعس معناه دنا من اوله واظلم وكان ابو البلاد النحوي ينشد

عسعس حتى لو يشاء ادنا كان له من ضوئه مقبس

وقال ادنا اذ دنا - فادغم - قال وكانوا يقولون ان هذا البيت مصنوع - وقال ابو عبيدة وابو اسحق عسعس معناه ادبر واقبل وانشد ابو عبيدة

مدّ رعاث الليل لما عسعسا اى اقبل

وقال الزبرقان -

وردت باقراس عتاق وفتية فوارط في اعجاز ليل معسعس

ولذلك قال ابو حاتم وقطرب يذهبان الى ان هذا الحرف من الاضداد وقال ابن الاعرابي العسعسة الظلمة - اقول وفي هذه الآية ينبغي ان يراد به ادبر - لانه تعالى قال بعد ذلك - والصبح اذا تنفس اى اسفر والمراد به الصبح الصادق لان الاسفار لا يكون الا فيه - ولا يطلع في الافق الا اذا بقيت من سير الشمس اثنا عشر درجة

من دائرة منطقة البروج - وقال الفراء معناه اذا ارتفع النهار حتى يصير النهار بيناً فيقال هو تنفس الصبح - وقال الاخفش اذا اضاء وقيل معناه انشق وانفلق - انه اى القران المجيد - لقول رسول كريم - هذا جواب قسم - والرسول الكريم هو سيدنا جبريل عليه الصلوة والسلام - والمعنى ان القران المجيد القى اولاً في نفس جبريل عليه الصلوة والسلام فانزل جبريل عليه الصلوة والسلام واوحى القران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله - فان قيل ان القران ليس كلام الله بل هو قول جبريل عليه الصلوة والسلام كما يدل عليه هذه الاية - وجوابه على ما ذكره المفسرون ان اسناد القران الى قول جبريل عليه الصلوة والسلام لكونه مُلقياً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كقولهم السحاب ماطرٌ والسحاب ليس بماطرٍ حقيقةً بل الله ينزل المطر من السحاب وانما اسند الى السحاب فلان المطر يقطر من السحاب فلاجل هذه المناسبة اسند المطر الى السحاب ويسمى هذا الاسناد اسناداً امجازياً فكذلك القران كلام الله حقيقةً امكنه اذا القى هذا الكلام الى النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه الصلوة والسلام اسند الله تعالى اليه على طريق المجاز المتعارف عند العرب - ذي قوة - قال الامام الرازي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل عليه السلام ذكر الله قوتك فقال اذا بلغت قال رفعت قريات قوم لوط الاربع على جناحي حتى اذا سمع اهل السماء نباح الكلاب واصوات الدجاج قلبتها ولا يبعد ان يقال ان الملائكة تحدث باسباب مختلفة فتنهار سماوية

ومنها امر ضیة فیجوز ان یکون هذه الزلزلة التشدیدة التی بها
هلکت قوم لوط علیه الصلوٰة والسلام بأشبا بی سماویة حادثة
بقوة جبریل علیه الصلوٰة والسلام ولا مانع فیها - عِنْدَ ذِی
الْعَرْشِ مَکِیْنٍ - والمراد بذی العرش هو الله تعالیٰ والمکین عند ذی
العرش جبریل علیه السلام - والمراد بالعندیة عندیة الاکرام والشرف
ای هو مشرف مکرم عند الله من سائر الملائکة مُطَاعٍ - ای آمر الملائکة
ورئیسهم - ثَمَّ - ای عند ذی العرش - اَمِیْنٍ - ای علی وحی الله تعالیٰ
ورسالاته وَمَا صَاحِبُکُمْ - ای محمد رسول الله صلی الله علیه وسلم
بِمَجْنُوْنٍ - کما قال هؤلاء الظالمون قال الامام فخر الدین الرازی رحمه
الله فی تفسیره واحتج بهذه الآیة من فضل جبریل علیه السلام علی
رسول الله صلی الله علیه وسلم - فقال انک اذا وازنت بین قوله تعالیٰ
انه لقول رسول کریم ذی قوة عند ذی العرش مکین مطاع ثم
امین - وبین قوله وما صاحبکم بمجنون - ظهرت التفاوت العظیم
اقول وهذا القول باطل لانه قد تحقق عند اهل السنة ان الانبیاء البشر
ورسلهم افضل من رسل الملائکة بالاجماع فالقول بافضلیة جبریل
علیه السلام علی رسول الله صلی الله علیه وسلم خرقة - وقد دل قصة آدم
علیه الصلوٰة والسلام علی انه مسجود جمیع الملائکة سواء کانت سماویة
او ارضیة کما یدل علیه قول الله تعالیٰ فتبارک فسجدت الملائکة کلهم
اجمعون فالاستغراق بالالف واللام مع التاکید بقوله کلهم واجمعون
یدل دلالة باهرة علی ان الملائکة کلهم کانوا ساجدین لآدم علیه
الصلوٰة والسلام وظاهر ان المسجود افضل من الساجد فآدم علیه الصلوٰة

وقد من قال ان جبریل علیه السلام افضل من سید رسول الله صلی الله علیه وسلم

والسلام افضل من الملائکة کلهم وثبت بالاجماع ان رسول الله صلی الله علیه وسلم افضل من آدم علیه السلام وجمیع ولده فوجب ان یکون افضل من الملائکة کلهم قطعًا - وبان آدم علیه الصلوٰة والسلام اعلم من الملائکة کلهم والاعلم افضل من غیره قطعًا - اما انه علیه الصلوٰة والسلام اعلم من الملائکة فهو امر منصوص علیه کما قال الله تعالٰی - وعلم آدم الاسماء کلها ثم عرضهم علی الملائکة فقال انبئونی باسماء هؤلاء ان کنتم صادقین - قالوا سبحانک لا علم لنا الا ما علمتنا انک انت العلیم الحکیم - قال یا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لکم انی اعلم غیب السموات والارض واعلم ما تبدون وما کنتم تکتمون - فثبت بهذا ان آدم علیه الصلوٰة والسلام عالم بجمیع الاسماء سواء کانت اسماء المخلوقات او اسماء الخالق وان الملائکة عجزوا فی هذه المعارضة وقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا - اما بیان ان الاعلم افضل من غیره فلقوله تعالٰی یرفع الله الذین اوتوا العلم درجات ولقوله تعالٰی انما یخشی الله من عباده العلماء - فعلة خشیة الله تعالٰی هو العلم وکما انه علة لکمال خشیته فوجب ان یکون العالم افضل من غیره - ولان العلم صفة الله حقیقة فمن اتصف بهذه الصفة علی طریق الکمال لاشک فی کونه افضل من غیره فثبت ان آدم علیه الصلوٰة والسلام افضل من الملائکة فی مرتبة العلم - ثم الاجماع من الصحابة رضی الله عنهم منعقد علی ان رسول الله صلی الله علیه وسلم افضل من آدم علیه السلام ومن جمیع الانبیاء والمرسلین علیهم السلام وجمیع الانبیاء علیهم السلام

افضل من جبریل علیه السلام فی رسول الله صلی الله علیه وسلم افضل من جبریل علیه السلام - اما صفاته المذکورة فی هذه الآیة فهی تدل علی انه علیه السلام افضل الملائکة لانه رسولهم ومطاعهم ولا دلالة لها علی انه افضل من رسل البشر ومحمد رسول الله صلی الله علیه وسلم فلا ینبغی ان یستدل بهذه الآیة علی کونه علیه السلام افضل من رسول الله صلی الله علیه وسلم - ولا یخفی علیک ان المراد بالافضل عند اهل السنة من هو اکثر ثوابا عند الله تعالی والثواب وان کان بدل الاعمال الصالحة لا کنه عندنا اثر فضل الله ورحمته وذلک لان من عمل عملا صالحا فی جمیع عمره بالاخلاص التام وصدق النیة فانه لا یساوی بانعام واحد انعمه الله تعالی علی عبده بفضله الجزیل فاذا کان کذلک لیس علی الله تعالی حق العبد بوجه من الوجوه لکن الله تعالی یعطیه ثواب اعماله بفضله وکرمه ثم الذی یجعل عملا صالحا علی قسمین الاول هو الذی لا یصده احد عن طاعة الله تعالی والثانی هو الذی یصده موانع کثیرة ویعوقه عوائق عدیدة عن الاشتغال فی طاعته فالاول هو الملک فان کلا واحد من الملائکة نور نقی طاهر عن الاوساخ البشریة محض من الشهوات الهیولانیة فلا یسعه مناع الخیر فلا یمتنع من العبادة من الازل الی الابد - والثانی هو البشر فهو المرکب من روح لطیف وجواهر علوی وجسم کثیف وعرض سفلی فلا یزال الی الخیر الا ویعوقه عائق من قوی جسمانیة فیمیله الی شر وشقاء ویوجهه الی خیبة وخسارة فمع هذه الدواعی والموانع ان توجه احد منه الی طاعة الله باخلاص

النیة کان ثوابه عند الله اوفر من ثواب الملك فیکون افضل عند الله باعتبار هذا المعنی - امّا الذی لا یستطیع علی مقاومة النفس ویرضی عن الذی وجّهت الیه ویحبّه یکون خاسرا وشقیا ولنعم ما قال معد یکرب

برانی حبّ من لا استطیع ومن هو للذی اهوی منوع

واما قوله تعالی وما صاحبکم بمجنون - فهو ردّ علی کفار مکة لانهم کانوا یخاطبونه صلی الله علیه وسلم مرّة بالکاهن ومرّة بالمجنون لعنهم الله ویقولون انّ ما قال محمّد صلی الله علیه وسلم لیس کلام الله حقیقة بل هو کلام جعله من عند نفسه وصاغه کما یصوغه العرب العرباء فالله تعالی شانه یردّهم ویقول ان القرآن کلام الله حقیقة اوحاه الله بقول رسوله الکریم الذی هو جبریل الی محمد صلی الله علیه وسلم فما یقوله الظالمون باطل - ولقد رآه بالافق المبین وهو الافق الاعلی من المشرق حیث تطلع الشمس روی انه صلی الله علیه وسلم رای جبریل علیه السلام مرّتین فی صورته الاصلیة مرّة رآه فی جبال عرفات ومرّة عند سدرة المنتهی - وقد ذکرنا فی تفسیر سورة النجم مسئلة رویة النبی صلی الله علیه وسلم فلا نردّها وما هو - ای النبی صلی الله علیه وسلم - علی الغیب - علی الوحی الذی القاه جبریل علیه السلام الی قلبه - بضنین - قری بالظاء قال المبرّد الظنین المتّهم واصله المظنون وهی من ظننت الذی یتعدّی الی مفعول واحد تقول ظننت زیدا ای اتهمت والشاهد لعبد الرحمن بن حسان رض

فلا ویمین الله لا عن جنایة هجرت ولا لکن لظنین ظنین

ونسب ابن بری هذا البیت الی نهار بن توسعة - وفی الحدیث لا یجوز شهادة ظنین ای متهم - وهذه قراءة قرأها ابن کثیر وابو عمرو والکسائی ومجاهد وابن مسعود رضی الله عنه وعائشة رضی الله عنها - واختارها ابو عبید - وقرأ الباقون بالضاد ای بضنین بمعنی بخیل وهو قول ابن عباس رضی الله عنهما - یعنی ان النبی صلی الله علیه وسلم لا یبخل بالوحی ولا یقصر بالتبلیغ والقراءة الاولی مشهورة - قال الفراء وقرأ زید بن ثابت وعاصم واهل الحجاز بضنین وهو حسن یقول یأتیه غیب وهو متفوس فیه فلا یبخل به علیکم ولا یضن به عنکم - ولو کان علی مکان عن صلح او الباء کما تقول ماهو بضنین وقال الزجاج ماهو علی الغیب بخیل ای هو صلی الله علیه وسلم یؤدی عن الله ویعلم کتاب الله ای ماهو بخیل کنوم لما اوحی الیه - وما هو بقول شیطان رجیم وهذا ترد یلا قاویل الکفار لانهم کانوا یقولون ان الشیطان یلقی الکلام الی النبی صلی الله علیه وسلم فنفی الله ذلک عنه - فاین تذهبون - قال الزجاج معناه ای طریق تسلکون ابین من هذه الطریقة - یقال این تذهب والی این تذهب - ان هو ای ما القرآن - الا ذکر للعلمین - الا موعظة للخلق اجمعین والمراد بالعالمین المکلفون - لمن شاء منکم - بدل من قوله للعالمین ان یستقیم - ای لمن شاء منکم الاستقامة علی الحق والایمان والطاعة - وما تشاؤن الا ان یشاء الله رب العالمین - ای وما تشاؤن الاستقامة علی طریق الحق الا بمشیة الله رب العالمین

فظهر لك من ذلك ان الاستقامة على طريق الحق تتوقف على ارادة الاستقامة - وارادة الاستقامة تتوقف على مشية الله فالاستقامة على طريق الحق تتوقف على مشية الله - فبطل مذهب المعتزلة لان المشية الاختيارية المستتبعة للاستقامة شئ حادث وكل حادث قد ثبت فيجب ان يتوقف حدوثه على مشية المحدث وح لا يجوز ان يقال ان العبد فاعل المشية وخالق لفعله - والله اعلم بمراده فالحمد لله القدير والصلوة على نبيه البشير النذير - وعلى اله و اصحابه الذين هداهم للناس كالسراج المنير

سورة الانفطار تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله - اذا السماء انفطرت - اى انشقت - وهذه الاية تدل على ان الفلك يقبل الخرق والانشقاق والفلاسفة ينكرون امكان الخرق على المحدد الاعظم اعنى الفلك الاعلى ويقولون ان الفلك قابل للخرق على المستدير فلابد ان يكون فيه ميل مستدير - والخرق يقتضى الحركة المستقيمة فلابد ان يكون فيه ميل مستقيم - فيجب ان يوجد فيه ميلان متقابلان وقد بين اقليدس في موضعه انه بسيط فالقول بالخرق والانفطار بالنسبة الى الفلك [illegible]

فالفلك ايضاً مركب من الهيولى والصورة وحيث يكون الاجسام كلها متماثلة في كونها مركبة من الهيولى والصورة فيجب ان يصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر فاذا يصح الخرق والالتئام على الاجسام السافلة يجب ان يصح ذلك على الاجسام العالية لان التماثل بين الشيئين يوجب اتحاد الحكم فيهما فمتى صح حكم على واحد منهما وجب ان يصح ذلك على الآخر - واما قولهم ان الفلك لا يقتضي لا الميل المستدير فهو ايضاً منظور فيه لانه يجوز ان يقال ان طبيعة الفلك تقتضي الميل المستدير بشرط الحصول في الحيز الطبعي وتقتضي الميل المستقيم بشرط الخروج من الحيز كما ان الحكماء يقولون ان طبيعة كل عنصر يقتضي الحركة بشرط الخروج من الحيز الطبعي وتقتضي السكون بشرط الحصول في الحيز الطبعي - واذا كان ذلك كذلك يجوز ان يحدث في الفلك مبدأ ميل يقتضي الميل المستقيم بمعنى ان صورته النوعية تقتضي ذلك الميل اذا كان جسم الفلك خارجاً عن حيزه الطبعي وذلك لان الحركة على الاستدارة ليست لازمة له بل الحركة المطلقة ليست من لوازمه لان الجسم الفلكي يقتضي الحركة والسكون كما ان الجسم المطلق يقتضي ذلك - فيجوز له ان يتحرك على الاستقامة فبتقدير الانفطار والانشقاق على تقدير خروجه عن الحيز الطبعي ويتحرك على الاستدارة والانقباض على تقدير حصوله في حيزه - وذلك لان خالقه وهو البارئ عز اسمه فاعل مختار عندنا فيجوز له ان يخرجه من حيزه متى شاء ان لم يفعل ذلك الا ان من مذهبهم فيجوز ان يكون الباري كذلك

وفاسدًا او مُنخرقًا ومُلتئمًا - فالقول بانّ الفلك يقبل الانفطار و
الانشقاق حق - وَاِذَا الكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ - قال الراغب نثر
الشئ بمعنى نَثَرَ - وهو استعارة لانقضاض الكواكب وانما يكون
ذلك لوقوع الفساد فى طبيعة الفلك وصورته وظهور الخرق
والانفطار فيه - فيقع اندثار الكواكب وتساقطها من الفلك الى
الارض - وَاِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ - ويمكن تفجيرها بحدوث الزلازل
العظيمة فى الارض وتصادم الجبال بعضها مع بعض فتتغير البحور
من صورتها الاصلية وتتبدل الصورة الارضية وتنسف الجبال
تلك الرواجف وحينئذ لا يبقى شئ حاجز بين البحر والارض حتى يصير
سائر البحور بحرًا واحدًا - قال ابن عباس رض فجرت بعضها فى بعض
قرأ ابن هلال مبنيًا للفاعل مخففًا من الفجور - نظرًا الى قوله بينهما
برزخ لا يبغيان فلما زال البرزخ بغيا - وقرأ الثورى مبنيًا
للمفعول مخففًا - وَاِذَا القُبُوْرُ بُعْثِرَتْ - اى اثيرت وقُلب اسفلها
اعلاها فيخرج منها الموتى وذلك لشدة وقوع الزلازل الحادثة بنفخ
الصور وهيجان الرياح الهوج - عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَاَخَّرَتْ
والمعنى انها علمته حين نشر الصحف واراد بالنفس كل واحدة
من النفوس فالاعم للاستغراق والمراد بما قدمت الاعمال
الصالحة التى لفوزها وفلاحها او القبيحة التى قدمت منها العذاب لها
وعقابها وما قدمته اخر ..... الى ان اخرت منها فى الدنيا كالولد
الصالح واحياء السنة الحسنة او السيئات التى تاخرت منها كاحداث
البدعة - وقيل المراد بما قدمت تقديم الفرائض والسنن وبما

اخّرت تضييعها - و قال قتادة ما قدّمت من معصية و اخّرت من طاعتها
و قيل روي عن حذيفة رض قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من
استنّ خيرا فاستنّ به فله اجره و مثل اجور من اتّبعه من غير
منتقص من اجورهم - و من استنّ شرّا فاستنّ به فعليه وزره
و مثل اوزار من اتّبعه من غير منتقص من اوزارهم و تلا هذه الآية
علمت نفس ما قدّمت و اخّرت اخرجه الحاكم و روي عن ابن
مسعود رض قال ما قدّمت من خير و ما اخّرت من سنّة صالحة يعمل بها
بعده فان له مثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا
او سنّ سنة سيّئة يعمل بها بعده فان له مثل اجر من عمل بها من
غير ان ينقص من اوزارهم شيئا - و قيل بما قدّمت قبل اشراط
الساعة لانّ ظهورها يوجب عدم افادة العمل فيكون الاعمال
غير نافعة - او قبل احتضار اذا ذاك الموت لانّ بعد احتضارها لا ينفع
العمل و بما اخّرت الاعمال التي صدّرت منه بعد ظهور اشراط
السّاعة او بعد الاحتضار - يا ايّها الانسان - يدل به الكافر
و قيل يعمّ المؤمن و الكافر - ما غرّك بربّك الكريم
الغرور الخداع - اى اىّ شيء خدعك عن ربّك الذى هو ربيك
الى اخر حياتك و يحفظك من كل بلاء الى اخر عمرك و وصفه
بالكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار لوجود الجاه و الاموال و
الاشتغال في تكميل اللذائذ و الشهوات - فاذا كان منعك موصوفا
بصفة الربوبية و الكرم لا يجوز لك ان تجنح الى غيره و تميل الى اللهو
و اللعب لانّه كما هو موصوف بالرحم و الكرم كذلك موصوف

بالقهر والانتقام فكما يرجى برحمه وكرمه كذلك يخشى بقهره
ونقمه قال صاحب الكشاف انّ حقّ الانسان ان لا يغترّ بتكرّم الله
عليه حيث خلقه حيّا لينفعه وبتفضّله عليه بذلك حتى يطمع
بعد ما مكّنه وكلّفه فعصى وكفر النّعمة المتفضّل بها ان تتقمّه اعليه
بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضّل الاول فانه منكر خارج من
حدّ الحكمة - ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ان مرّ
جهله - وقال عمر رضى الله عنه غرّه حمقه وجهله - وقال الحسن
وابن شبرمة انّه اخبث اى زيّن له العاصى وقال له افعل فانت
ربّك الكريم الّذى تفضّل عليك بما تفضّل به اوّلا وهو متفضّل
عليك اخرا حتى وطّأ الّذى خلقك وما كنت شيئا - فسوّاك - اى
جعلك سويّا سالم الاعضاء كامل القوى بحيث تسمع وتبصر وتفعل
ما تريد - فعدلك - اى جعل خلقك متناسب الاعضاء متعادل
الجوارح ولم يجعل بعضها اقصر من بعض بل خلقك مستوى القامة
معتدل الخلقة حسن الصّورة جميل السّمة واعطاك قوى ظاهرة و
باطنة - قرأ الكوفيّون فعدلك بالتخفيف والجمهور بالتشديد
واختار الاولى ابو عبيدة وابو حاتم - قال الفرّاء وابو عبيد دليل
عليها قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم - اى جعلنا
اعضاءه معتدلة لا تتفاوت فيها ومعتدلة ان انتصب لا احتلاف بعضها
فى اىّ صورة ما شاء ركّبك - اى ركّبك - شاء ما مزيدة للتاكيد
والظرف متعلق بقوله ركّبك - ويقال ابو حيان انّه متعلق بعدلك
تعيم وهو ضعيف لانّ قوله اىّ صورة مضاف اليه فلا يعمل

فیھا ما قبلھا - قال مجاھد و معنی قولہ فی ای صورۃ ای فی ای شبہ من اب او ام او خال او عم - قیل و ما زائدۃ - ای فاختارک من بین ھذہ الصور صورۃ عجیبۃ حسنۃ کقولہ تعالٰی - ولقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم - و قیل شرطیۃ و قولہ رکبک جوابھا - و لم یعطف الجملۃ علی ما قبلھا لانھا بیان لعدلک - و المعنی ان اللہ جل شانہ خلقک فی احسن صورۃ و اجمل ھیئۃ و میزک من سائر الحیوانات بتعدیل القوی و تقویم الجوارح لکنک لست شاکرا للہ تعالی بھذہ النعم الجزیلۃ و لم تتامل فیھا یا غرر بحادثات نفسک و تسویلاتھا و ما اطمعت ربک بل افنیت عمرک فی عصیانک

کلا - ردع عن الاغترار بکرم اللہ تعالٰی - بل تکذبون بالدین اضرب الی بیان ما ھو السبب الاصلی فی اغترارھم بکرمہ و ھو التکذیب بالدین و المراد بہ یوم البعث و الجزاء - و ذلک یوجب کون التخلیق عبثا و الامر لیس کذلک لان الحکیم لا یفعل عبثا بل یکون فی فعلہ حکم و مصالح فالحکمۃ فی خلقکم ھو الحث علی اعمالکم

و ان علیکم لحافظین کراما کاتبین - ھذا ایضا من تعرین من عبث التخلیق و تعظیم کتبۃ الصحائف و المعنی کذبتم بالدین مع ان علیکم رسلا بل جعلنا علیکم متاحا فظین و ھم کتبۃ اعمالکم ایاکم ان تکتبوا فی صحفھم افعالکم قبائح و قطمیرا - یعلمون ما تفعلون - من خیر و شر - و المراد بالفعل ھو الذی یصدر من الجوارح فلا یدخل فیہ افعال القلوب کالخطرات و الی وساوس التی تخطر فیھا من جنس الخیرات و السیئات فھی خارجۃ من افعال الجوارح فلا تکتب

فیها - ولا یعلمها الا الله تعالی ولا یخفی ان الله جل شانه یعلم الکلیات والجزئیات سواء کانت مجردة او مادیة فهو یعلمها بعلمه المتعالی عن الزمان والمکان فهو یعلم ما فعل عباده من خیر وشر علی الوجه الجزئی فلیس له تعالی احتیاج الی هذه الکتبة وهذا هو الذی ذهب الیه المعتزلة وجوابه بان الله تعالی - جعل الملائکة حفظة لاعمال العباد لیس لانه لا یعرفه اهل الاعتزال - وهو ان الله تعالی جعل معاملة دار الاخرة مثل معاملة دار الدنیا - وبیانه ان الله جل شانه امر الله نبیه صلی الله علیه وسلم ان لا یقضی قضاء الا بعد شهادة الشهود او قبول المدعی فکان النبی صلی الله علیه وسلم یطلب الشهادة فیسمع بیانهم ثم یفصل الخصومة ویقضیها - فالله تعالی یعامل فی دار الاخرة مثل ما امر نبیه صلی الله علیه وسلم فی هذه الدار والا فلا یعزب عن علمه مثقال ذرة فی السماء ولا فی الارض - فلا اشکال

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ - ای فی نعیم الجنة فیتلذذون منها ویجدون فیها کل شئ یشتهونه - اعلم ان اللذات اما حسیة واما خیالیة واما عقلیة - اما الحسیة فامکانها فی ذلک العالم مثل وقوعها فی هذا العالم فهذه اللذات فیها رغبة لبعض الناس من المؤمنین وهی من الاغذیة کاللبن والعسل واللحم الطری - ومن الملابس کالحریر والاستبرق فهذه الاشیاء تعظم فی اعین بعض المؤمنین وتشتهی غایة الشهوة کما قال الله تعالی - ولکم فیها ما تشتهی انفسکم ولکم فیها ما تدعون - واما الخیالیة فهی کما یلتذ الانسان فی المنام بالجنة مشابهة باللذة الحسیة بحیث لا یفترق الثانی بینها الا انها منقطعة

تفسیر قوله تعالی ان الابرار لفی نعیم

في اليقظة - فلا يبقى اثرها في السامعة والباصرة الا انها مخزونة في خزانة الخيال - واما العقلية فهي اعظم اللذات والمتلذ وزبها هم الانبياء عليهم السلام والاولياء الصديقون فتدوم لهم هذه اللذة غير منقطعة عنهم ابدا فلا يتوجهون الى لذة حسية مثل الوجوه الحسنة والخدود المنضرة والقدود الرشيقة والقصور العالية والحدائق المثمرة والانهار المفعمة من اللبن والعسل وغيرها من اسباب السرور والانشراح والى خيالية لانها منقطعة بانقطاع الخيال عنها فهم لا يتصورون الى سبب السرور بل يريدون نفس السرور وهو قرب الله ومعيته في كل حال - ولهذا القرب مدارج بعضها فوق بعض واعلاها السيد نا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه في حديثه القدسي لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ - وبيانها على وجه الحقيقة وراء طوق العقل والتابعة الاتم المبشر بلسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الله يخترعه الدين كما بدأ امتنا - وهو المهدي الموعود خليفة الله كما روي ذلك في رواية ثوبان رض اخرجه ابن ماجة - وَاِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ - وانما عطف هذه الجملة على ما قبلها لتباينهما باعتبار المفهوم - والمراد بالفجار هم الكفار ولا يدخل فيهم صاحب الكبيرة لان الله جعل الفجور صفة لهم كما قال اولئك هم الكفرة الفجرة فصاحب الكبيرة لا يدخل النار - لانها دار من يكذب بالله ورسوله كما قال الله تعالى على طريق الحصر لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى - فصاحب الكبيرة لا يوجد فيه صفة التكذيب والتولي - فلا يدخل النار ابدا - يصلونها

اى يدخلون النار - يَوْمَ الدِّيْنِ - اى يوم القيمة - وهو ظرف لقوله يَصْلَوْنَ وهو امّا صفة للجحيم - ويجوز ان يكون فى محلّ نصب على الحال - قرأ الجمهور يصلونها تخفيفًا مبنيًا للفاعل وقرئ مبنيًا للمفعول مشدّدًا من التصلية - وَمَا هُمْ - اى الفجار - عَنْهَا - عن النار بِغَآئِبِيْنَ - اى لا يُقَادِرُوْنَهَا ابدًا او لا يغيبون عَنْهَا بل هم فيها ابدًا

وَمَآ اَدْرٰىكَ مَا يَوْمُ الدِّيْنِ ثُمَّ مَآ اَدْرٰىكَ مَا يَوْمُ الدِّيْنِ فيه تعظيم لشأن ذلك اليوم وتفظيع وتهويل للكفّار - والمعنى اىّ شىء اعلمك به وهذا خطاب على وجه الزّجر - كما قال الله تعالى الحاقّة ما الحاقّة وَمَآ اَدْرٰىكَ مَا الْحَآقَّةُ - والتكرير لتعظيم يوم القيامة وتهويله - وتهديد للمخاطب والظاهر انه لا بدّ من الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم - الا ان المخاطب فى الحقيقة هو امّة الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اعلم بشأن ذلك اليوم - يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ - من النفوس وان كانت صالحة - لِّنَفْسٍ - اى اخرى - شَيْئًا من النفع والضرّ فلا يشفع احدٌ لاحد فى شىء من الامور والمراد انه سبحانه من ذا الّذى يشفع عنده الّا باذنه - اقول والمراد بالنفس الاخرى نفس الكافر لانّ الشفاعة ثابتة للرسل والاخيار فى حقّ اهل الكبائر بالكتاب والسنة امّا الكتاب فهو قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى انه من يأت ربه مجرمًا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ثمّ بيّن تلك الشفاعة بقوله تعالى ولا يشفعون الّا لمن ارتضى وامّا السنة فاخبار كثيرة دالّة على ذلك منها قوله صلّى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من امتى - وهو مشهور

بل الاحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى - قرأ ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على انه بدل من يوم الدين او خبر مبتدأ محذوف - وقرأ ابو عمرو في رواية عنه يوم بالتنوين والقطع عن الاضافة - وقرأ الباقون بفتح يوم بتقدير اعني او اذكر فيكون مفعولا به او على انها فتحة بناء لاضافته الى الجملة على رأي الكوفيين وهو في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه بدل من يوم الدين - قال الزجاج يجوز ان يكون في موضع رفع الا انه بني على الفتح لاضافته الى قوله لا تملك - وما اضيف الى غير المتمكن فقد بني على الفتح وان كان في موضع رفع وهذا الذي ذكره انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضي واما الى الفعل المستقبل فلا يجوز عندهما وقد وافق الزجاج على ذلك ابا علي الفارسي والفراء - واكثر هذا هو الذي ذكره ابو حيان - والامر يومئذ لله - والامر هو السلطان والحكم - اي ليس في ذلك اليوم حكم الا لله وحده

ومثله قوله تعالى لمن الملك اليوم لله

الواحد القهار - تم تفسير هذه السورة

بعون الله الكريم الغفار و

الصلوة على نبيه المختار و

على اله الاطهار و

صحبه الاخيار

سورة المطففین هی ستّ وثلاثون آیة

هذه السورة مکیّة وهو قول عبد الله ابن مسعود رضی الله عنه والضحاک ومقاتل - وقال ابن عباس رض وقتادة انّها مدنیة الّا من انّ الذین اجرموا - الی اخرها مکیّ وهی ثمان ایات - وقال ابن عباس نزل امر التطفیف فی المدینة لانّهم کانوا یفسدون فی امر الکیل والوزن فاصلحهم الله تعالی فی هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحیم

وَیْلٌ - کلمة عذاب لمن وقع فی عذاب وهلکة قالوا والمختار فی ویل اذا کان غیر مضاف هو الرفع - قال ابو اسحق ویل بالرفع ابتداء والخبر للمطففین - ولو کانت فی غیر القران لجاز ویلاً علی معنی جعل الله لهم ویلاً - والرفع اجود فی القران واصل الویل فی اللغة العذاب والهلاک یدعی لمن وقع فی عذاب وهلکة یستحقها وهو قول سیبویه ومنه قول الاعشی -

قَالَتْ هُرَیْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا وَیْلِیْ عَلَیْکَ وَوَیْلِیْ مِنْکَ یَا رَجُلُ

ولا یقال ویح فی مثل هذا المقام لانه قد یکون فیه معنی الترحم قال الاصمعی الویل قبوح والویح ترحم وهو قول المازنی وخالفه ابو زید وقال الویل هلکة والویح قبوح والویس ترحم ولم یذکر سیبویه فی الویس شیئاً - لِّلْمُطَفِّفِیْنَ - قال الزجّاج المطفّف هو الذی

ينقص المكيال والميزان وهو قول ابى عبيدة والمبرد فيكون المعنى العذاب للذين ينقصون المكيال والميزان - ذكره صاحب اللسان قال سيبويه فى قوله تعالى - ويلٌ للمطففين ويل للمكذبين - قال لا ينبغى ان يقال ويلٌ دعاءٌ ههنا لانه قبيح فى اللفظ ولكن العباد كلموا بكلامهم وجاء القران على لغتهم على مقاديرهم فكأنه قيل لهم ويل للمكذبين اى هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم ومثله قاتلهم الله اجرى هذا على كلام العرب وبه نزل القران روى ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلاً فنزلت هذه الاية قال الفراء فاحسنوه وجاء فى الحديث خمسٌ بخمسٍ ما نقض العهد قومٌ الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر - الذين اذا اكتالوا على الناس اى اذا اعاملوا الكيل قال الفراء وعلى الناس بمعنى من الناس وهو قول الزجاج - وقال وهما يعتقبان فى هذا الموضع فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكأنه قال استوفيت منك - يستوفون - الاستيفاء اخذ حق نفسه اى اذا اخذوا الكيل من الناس ياخذون حقوقهم وافية تامة وهذا الاكتيال يضر الناس الا انهم لم يرضوا هذه الصفة ولا يعتدون بها شيئاً - وهذه الجملة صفة موضحة لطفيفة الذى يستحقون به الذم والدعاء عليهم بالويل - واذا كالوهم

اَوْ وَّزَنُوْهُمْ - قال الفرّاء والكسائي هذا على لغة اهل الحجاز فانهم يتكلمون على عادتهم بحذف اللام والتقدير اذا كالوا لهم او وزنوا لهم - وقال عيسى بن عمر وحمزة انّ الضميرين في كالوهم او وزنوهم للتاكيد لما فيهما من ضمير الجمع المذكر - ويجوز ان الوقف على الواو - واعترض عليهما الفرّاء والزجّاج بانّه لو كان كذلك لكان في المصحف الفٌ قبل قوله هم واجاب صاحب الكشاف انّ خط المصحف لم يُراع في كثير منه حدّ المصطلح عليه في علم الخطّ قال ابو حيّان ويجوز حذف اللام كقولك نصحتُك ونصحتُ لك وشكرتك وشكرتُ لك انتهى فان قيل انّ الله سبحانه ذكر اوّلًا اذا اكتالوا ثم ذكر واذا كالوهم او وزنوهم فلم لم يذكر الوزن اوّلًا - فجوابه ان الكيل قد يجيء بمعنى الوزن باعتبار الفرائن كما يقال كال الدنانير اى وزنها روى عن ابن الاعرابي خاصّة وانشد لشاعر الكيل هو الوزن -

قَارُوْرَةٌ ذَاتُ مِسْكٍ عِنْدَ ذِيْ لَطَفٍ مِنَ الدَّنَانِيْرِ كَالُوْهَا بِمِقْدَارِ

قال فامّا ان يكون هذا وضعًا واما ان يكون على النسب لانّ الكيل والوزن سواءٌ في معرفة المقادير - ويُقال كل هذه الدراهم يريدون وزنًا - وقال مرّةً كلتُها ووزنتُ فقد كِلتُ وهما بتكايلان قالت امرأةٌ من طيّ -

فَيُفْتَلُ خَيْرُنَا يَا مَرْيُ لَمْ يَكُنْ لَهٗ نِسَاءٌ وَلَا يُرْضِيْ لَهُنَّ بِالدَّمِ

فالاكتيال يتناول الكيل والوزن وغيرهما كما تقدّم قال بعضهم اذا كالوهم او وزنوهم - يُخْسِرُوْنَ - قال الزجّاج الخسران

والاخسار سواء وقال المؤرج معناه بلغة قريش ينقصون - الا
يظن اولئك - اى المطففون الاحتشاء - انهم مبعوثون ليوم
عظيم اى يوم القيامة قيل وضع الاشارة موضع الضمير للاشعار
بمناط الحكم الذى هو وصفهم - وهو ضعيف لان الاشارة قد يكون
الى اسم ذات كقولك هذا زيد - بل هو تنبيه هؤلاء الرقدة
فى الخسران كما ذكر اهل المعانى - والمعنى انهم لا يخطرون
ببالهم ولا يشعرون بقلبهم انهم مبعوثون يوم القيامة
ويحاسبون على مقدار الخردلة والذرة ويجازون على التطفيف
وهو بطفيف فى كل ما يكل ويوزن واذا تأملت فى هذه الايات
قدت انها دالة على ان كل من يوصف بالتطفيف فله الويل سواء
كان مؤمنا او كافرا - اما الويل للاول فلان كل من طفف فى المكيال
والميزان فانه لا يوقن بانه يجازى يوم البعث بالتطفيف فكانه
منكر المحاسبة والمجازاة ولا يبالى بسرقة الشئ الطفيف هو اليسير
ولا يستقن بما اقسم الله تعالى بقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - واما الويل للثانى فلانه
مع كونه كافرا يطفف الناس فى المكيال والميزان - يوم - منصوب
بمبعوثون او بدل من محل ليوم عظيم - يقوم الناس - اى يبعث
الناس من القبور او يقومون بعد البعث فى موقف الحشر لرب
العلمين اى لامر ربهم او لجزائه او لحسابه الذى يذوب به اكباد
ويحترق به افئدتهم الا الذين امنهم الله بفضله وكرمه - كلا
هو ردع للمطففين الغافلين عن البعث والحشر - او بمعنى حقا

اِنَّ كِتٰبَ الْفُجَّارِ لَفِیْ سِجِّیْنٍ ۝ قال ابو عبیدة والاخفش والمبرد والزجاج
فی حبس وضیق شدید - قال بعض اهل اللغة وهو فعیل من السجن
وهو قول ابی عبیدة وقیل هو واد فی جهنم وقیل هو اسفل سبع ارضین
من کل شیء ونبل فی سجین انه حجر تحت الارض السابعة وهو قول
مجاهد واختلف فی ان نونه اصلیة ام لا - فقال الاکثرون انه من
السجن فنونه اصلیة وهذا قول ابی عبیدة والمبرد والزجاج
شر اختلفوا فی انه هل عربی ام لا - قال الواحدی هو لیس بعربی لان
العرب ما کانوا یعرفونه - وقال ائمة النحویین واللغة انه عربی یقول
ضرب سجین ای شدید قال ابن مقبل -

فَاِنَّ فِیَاضَ بُطُوْحًا اِنْ رَاَیْتَ بِهٖ ۝ رُکَّابَهَا وَالْاَفَانِیْنَ
وَرَجْلَةً یَضْرِبُوْنَ الْهَامَ عَنْ عُرُضٍ ۝ ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْاَبْطَالُ سِجِّیْنَا

والعرب تقول سجین مکان سلتین - وسلتین لیس بعربی - وهذا قول
ابی عمرو - وَمَآ اَدْرٰىكَ مَا سِجِّیْنٌ ۝ تهویل لشانه لانه لا یدرک حقیقته
الا بعد البیان من قبل الشارع - كِتٰبٌ مَّرْقُوْمٌ ای مسطور فیه
اعمال الکفار من الجن والانس واعمال ابلیس - لا یقال ان کتاب
الفجار فی کتاب مرقوم فیلزم ظرفیة الشیء فی نفسه لانا نقول
ان المراد بکتاب الفجار کتابة اعمال الفجار فی کتاب مرقوم
وَیْلٌ یَّوْمَئِذٍ - ای یوم القیامة - لِّلْمُكَذِّبِیْنَ بان الذین یکذبون بیوم
الدین والموصول صفة المکذبین وقیل بدل - وَمَا یُكَذِّبُ بِهٖٓ اِلَّا
كُلُّ مُعْتَدٍ - ای متجاوز عن الحد - اَثِیْمٍ مبالغ فی الاثم منهمک فی
الاهواء المحرمة هالک فی المعاصی المهلکة مع کونه مشاهدا لطرق

الهداية - إذا تتلى عليه آياتنا - اى على ذلك المكذب اياتنا الدالة على يوم البعث والجزاء - قال أساطير الأولين - جمع اسطورة وهى الاقاويل التى لا نظام فيها المزينة بالكذب والبطلان - ذكر الله سبحانه للمكذبين - بيوم الدين ثلاثة احوال الاولى هى الاعتداء عن منهج الحق الى الباطل - والثانية المبالغة فى الاثم - والثالثة انكار الاشياء الفاضلة يشتون البعث والجزاء فالموصوف بهذه الصفات هو المكذب بالدين قيل انّ هذه الآيات نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى نضر بن الحارث - والصحيح انها تتناول الذين يتصفون بهذه الصفات فلا شك فى انّهم المكذّبون بيوم الدين واعلم ان الاعتبار بالامور الاخيرة والاعمال فى الاسرار القدسية امر وهبى من الواهب القدوس وهو كحل نور الهى يتجلى به عين البصيرة حتى يرى به سبل الهداية ومناهج الحق فيؤمن بالله ورسوله ويوقن بجميع ما جاء به النبى عليه الصلاة والسلام من ضروريات الدين وهو نور فوق نور العقل فنوره بالنسبة الى ذلك النور كنور السراج على الشمس فلا يبعد ان يقال ان نور العقل حقيقة ذلك النور فهو موهبة عظيمة من الواهب الرزاق فنور العقل لا يقدر على كشف حقيقة الايمان ولذلك يكفر اكثر العقلاء بالله ورسوله - فالذى يعطيه الله ذلك النور يعرف الله ورسوله فيؤمن بهما فيكون من الفائزين - كلا - وهى كلمة ردع اى ليس الامر كما يعقلون - بل ران على قلوبهم - الرين الغطاء والغشاء كالصدأ الذى يغشى السيف ومن قول الشاعر

وكم ران من ذنب على قلب فاجر فتاب من الذنب الذى ران فانجلا

وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ومنه قول الرماح

مخافة أن يرين الوشم فيهم بسكرتهم كل الرسوم

وقال الفراء ان المعاصي كثرت منهم والذنوب فاحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم قال هو العبد يذنب الذنب فتنكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب منها صقل قلبه وان عاد نكتت اخرى حتى يسود القلب فذلك الرين - وقال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين وهو الختم قال ابو عبيد كل ما غلبك وعلاك فقد ران بك وران عليك - وقال الزجاج معناه غطى على قلوبهم والاول هو الذي قاله ابو معاذ النحوي وهو يوافق ما ذكر في الحديث القراء ادغموا اللام في الراء الا من كان سكت على لام بل مثل الامام حفص ففي كتاب اللوامع عن قالون من جميع طرقه اظهار اللام عند الراء نحو قوله بل رفعه الله اليه بل ربكم - وقرأ نافع بل ران غير مدغم - وقال سيبويه اللام مع الراء نحو اسفل رحمة البيان والادغام حسنان - وقال سيبويه فاذا كانت يعني اللام غير لام التعريف نحو لام هل وبل فان الادغام في بعضها احسن وذلك نحو هل رايت فان لم تدغم فقلت هل رأيت شيء لغة لاهل الحجاز وهي غريبة تجانبها انتهى - كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - من الذنوب وهي اسباب الرين غشي القلوب واعلم ان العبد اذا مال الى الذنب وابتدأ فيه سواء كان من اصحابنا

او من الكبائر خشي نفسه بعد صلوره ولا يلتذ به تمام اللذة لكنه اذا اقترفه ثانيا واشتغل فيه لم يفرق نفسه كما فرقت اول مرة فيختار على اقتراف مثل ذلك الذنب لحصول التلذذ فيه في المرتبة الثانية فهذا الالتذاذ يجذبه الى الاشتغال فيه ثالثا - فاذا واظب فيه حصلت له مذكة ظلمانية في نفسه فلا يبالي من احد فيسود قلبه ويحيط به الظلمة من كل جانب ويرخى سدول الضلالة على فؤاده فلا يعقل الارشاد والهداية بل يبقى متحيرا في ظلمات الضلال - ومن ثم يقال الزنى كالكي المشرك فالمداومة على الذنب علة لاجود الشدة في افراده وعدم معالجة الضعف فيها فلذلك توجد مراتبه مختلفة في الظلمة والسواد - كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - اى يوم القيامة - لمحجوبون - فلا يرون ربهم - احتج بهذه الاية من جوز رؤية الله تعالى - وقال ان المؤمنين يرونه تعالى يوم العرض ويؤيده قوله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - والمراد بالوجوه الناضرة هم المؤمنون - والاحاديث الصحيحة المرفوعة تدل على ان المؤمنين يوم القيامة يرون ربهم شفاها - ومن انكر الرؤية جعلها تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على السلاطين او قدر مضافا فامثل رحمة ربهم او نحوه فكان تحقيرا واستخفافا فالهم وافيه نظرا لانه لا يلزم منه عدم الرؤية مطلقا لانه يجوز ان يخرج السلطان من بيته في لا مانع لاحد ان ينظر اليه - والصحيح انها بوجوه الاول ان الرؤية امر متفضل على المؤمنين وهو ليس حظا لهم والثاني ان الكفرة يومئذ يبتلون في الكرب الهائل وقد غشاهم

خوف العذاب واحذهم هول العقاب واحاط بهم ما كسبت ايديهم من كل جهة فلا يقدرون على ان ينظروا الى انفسهم فضلا ان ينظروا الى جلال الله وغضبه لدراك ان يدهشهم الفزع الاكبر فلا يرون شيئا غير العذاب - ولنعم ما قال الشاعر -

أَنْ تَلْقَنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاظِرَةٍ ... تَنْسَ السِّلَاحَ وَتَعْرِفْ جُبْهَةَ الْأَسَدِ

ثم انهم لصالوا الجحيم اى بعد الحرمان لداخلوا النار - ويقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار - يقال صلى اللحم وسلاه اى احرقه بها كقوله

أَلَا يَا سُلَيْمَى يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرٍ ... تَحِيَّةَ مَنْ صَلَّى وَقُوِّمَ إِدَّكِ بِالْجَمْرِ

اراد انه قبل قومها فاحرق فوادها بالحزن عليهم - ثم يقال - اى للكفرة - هذا الذي - اى عذاب النار - كنتم به - في الدنيا - تكذبون - بالبعث والحشر والجزاء - اى لم تكونوا مؤمنين بل كنتم تقولون انها من اساطير الاولين واكاذيب الاقدمين فاذا خلوا عذاب النار وذوقوا ما كنتم به تكذبون - كلا - كلمة الردع والزجر والتكرير للتأكيد - ان كتاب الابرار لفي عليين قال الزجاج هو اعلى الامكنة منقول من جمع علو من العلو - وقال الفراء والزجاج وهو لفظ الجمع ولا واحد له من لفظه نحو ثلاثين فاعرب مثل اعراب الجمع والعليون قيل الملائكة او الموضع العلية من كل موضع - وقيل هو اسم لديوان الخير - قال ابن عباس هو الجنة - قال قتادة هو فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى - والصحيح انه اسم لمقام - وما ادراك ما عليون - كتاب مرقوم - مكتوب فيه - يشهده المقربون - يعني ان الملائكة

يحضرون ذلك المرقوم - إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون
الأرائك هي السرر - اى على الاسرة ينظرون الى عجائب الملكوت
وغرائب مناظر الجنة والرحمة - ثم الناظرون ثلثة على اقسام الاول
هو الذى ينظر الى نعيم الجنة ونضرتها وليس بالائها ونعمائها - والثانى
هو الذى ينظر الى اتساع ملك الله وملكوته وقدرة الله وجبروته
والثالث هو الذى ينظر الى انوار صفات الله وكمالاتها المنعكسة
فى مظاهر الاشياء ومناظر الاكوان فيفرح بغرائب شيونها وسماتها
ويدهش فى تجلياتها - والرابع هو الذى ينظر الى تجليات الذات
وبوارق احديتها فيتحقق فى كمالاتها ويتحير فيها وهو الذى اعطاه
الله العلم السكوتى وهو الانسان الكامل المكمل وعبد الله بل
عبده وليس فى العالم اعلى منه وافضل وهو محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتابعه الاتم الاكمل الذى خصت عليه الاية المحمدية
الخاصة وهو المعبر بالمهدى عليه الصلاة والسلام وهو خليفة الله
رب العالمين وتابعه فى الامة المحمدية هذه هو الصفة الاولى من صفتى
الابرار - والثانية - تعرف فى وجوههم نضرة النعيم والخطاب
للنبى صلى الله عليه وآله وسلم - اى تراه فى وجوههم من النور والبهاء
والحسن والزهرة - قرأ الجمهور تعرف بفتح الفوقية وكسر الراء نصب
نضرة - وقرئ بضم الفوقية وفتح الراء على البناء للمفعول ورفع نضرة
بالنيابة - والثالثة - يسقون من رحيق - قال ابو عبيدة والاخفش
والمبرد والزجاج الرحيق من الخمر ما ليس فيه غش - وقال الخليل
الرحيق اجود الخمر - قال ابن سيده هو من اعتقها وافضلها وقال بعضهم

هو من جود الخمور - مختوم - اى على انائها ختم غير مفكوك
ختامه مسك - اختلف فى معنى الختام الاول الختام اخر كل
مشروب فالمعنى اخرما يجدونه رائحة المسك - والثانى قال
علقمة معناه الخلط - اى خلطه مسك - والثالث قال مجاهد
معناه مزاجه مسك - والرابع قال الفراء الخاتم والختام متقاربان
الا ان الخاتم الاسم والختام المصدر - والخامس قال فى الصحاح
الختام الطين الذى يختم به وهو قول ابن زيد والمعنى الاخير
هو الانسب يعنى ان هذا الرحيق اعتق وقد ختم عليه بالمسك
ومنه قول النابغة

كأن مشعشعا من خمر بصرى ... ثمته البحت مشدود الختام

وفى ذلك - اى فى ذلك الرحيق - فليتنافس المتنافسون التنافس
الرغبة اى فليترغب الراغبون اليه بطاعة الله وعبادته - ومزاجه
من تسنيم - قد ورد فى الحديث ان التسنيم علم لعين تجرى فى
الجنة - والتسنيم من سنم - قال القتيبى السنم بالسين والنوء الماء
العالى المرتفع على وجه الارض ويروى بالشين والباء اى ماء شبم وهو
ماء بارد - ومنه قول المتنبى -

واحر قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمى وحالى عنده سقم

وقال الزجاج اى مزاجه من ماء متسنم عينا تأتيهم من علو تتسنم
عليهم من الغرف - وقيل هو ماء فى الجنة سمى بذلك لانه يجرى فوق
الغرف والقصور - عينا يشرب بها المقربون - قال الزجاج النصب
على الحال - وانما قال والله اعلم ان العين جامدة لانها وصفت بقوله

يشرب بها - وقال الاخفش انها منصوبة بيسقون - وهو قول المبرد
وقال الفراء بتسنيم - وقال الازهري ان تنوي من ماء سنيم عينا
كقولك رفع عينا - وقال ان لم يكن التسنيم اسما للماء فالعين
نكرة وان كان معرفة اسما للماء فخرجت نصبا وهذا قول الفراء
قال ابن عباس اشرف شراب اهل الجنة هو تسنيم لا يشرب بها
الا المقربون والمراد بهم هم الصديقون والانبياء عليهم الصلوة
والسلام لان القرب حقيقة ليس الا لهذا الصنف المقدس الاطهر
ثم المقرب على اقسام الاول هو المقرب برحمة الله تعالى والثاني
هو المقرب باخلاق الله وهذان القسمان يسميان بالموءمنين
الصالحين والثالث هو المقرب بصفات الله جل شانه وهذا القسم
سمي بالنبي فالانبياء عليهم السلام لا يصعدون الا في تلك
الصفات ولا يعلون فوقها - والرابع هو المقرب بذات الله تعالى
وهو سيد الانام محمد رسول الله صلوات الله عليه والسلام -
كما اشار اليه في الحديث الصحيح لي مع الله وقت لا يسعني فيه
ملك مقرب ولا نبي مرسل - ولا يصل الى هذه المرتبة العظمى
من امتيه الا تابعه الا تام الذي يشاركه في دعوة البصيرة كما قال الله تعالى - ادعو
الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني - والمراد به المهدي الموعود عليه

الصلوة والسلام - ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون
والمراد بالمجرمين كفار قريش كابي جهل والوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل واضرابهم من اهل مكة وهولاء هم الذين كانوا
يضحكون على الذين امنوا بالله ورسوله - ويستهزءون منهم فالذين

بانهم لم يميّزوا الكاهن من النبي وقيّد ولم في حبال كهانته نعوذ بالله من هذا الكلام - وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ - الغمز هو الاشارة بالعين والحاجب والجفن وقيل باليد - والمعنى انّ المجرمين اذا مرّوا بالمؤمنين يشيرون بالاعين والحواجب استهزاءً ويتلبّونهم بانهم يقولون بالقول الذي سمّوه لتتبع الرجع ويحرّمون عن التنعّمات التي خُلق الانسان لاجلها واذلك لمنقصة عقولهم وسخافة ارائهم وقيل الاغماز هو الاستضعاف والتصغير منه قول الكميت

وَمَنْ يُطِعِ النِّسَاءَ يُلَاقِ مِنْهَا ... إِذَا أَغْمَزْنَ فِيهِ الْأَوَانِسُ

الاوانس بنات الدهاقين يقول من يطع النساء اذا اعجبنه ونهدن فيه يلاقه الذلّ وهو في المعنى اذا مرّوا بهم يستضعفونهم ويصغّرونهم - وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ - اى هؤلاء الكفار الى محالسهم - انْقَلَبُوا فَكِهِينَ - الفكه الاشر والبجح - اى معجبين بانهم استهزؤا بالمؤمنين وتغامزوا بهم - قرأ الجمهور فكهين - بغير الف وقرئ بها قال الفرّاء وهما لغتان - وَإِذَا رَأَوْهُمْ - اى المؤمنين - قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ - اى الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم - لَضَالُّونَ - معرضون من طريق ابائهم - اولانّ المؤمنين كانوا يترکون التنعّم العاجل ويختارون الثواب الآجل - فهؤلاء الكفار يقولون لهم ان الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قد ترکوا متاع الدنيا وزخرفها وضوا عن لسعتها والى اجابة الاملاق والذلة وهذا الا يزال - نعوذ بالله من هذا المقال - وَمَا أُرْسِلُوا - ما ذكره اى ولم يرسل الكافرون عَلَيْهِمْ - اى على المؤمنين حَافِظِينَ - اى يحفظون عليهم اعمالهم من صلاح وفلاح ويرفعون اعمالهم حسناً وسيئاً ويشهدون بذلك عند من يرسلهم من ضلالهم - وقيل ان ضمير الجمع في وما ارسلوا يعود على المؤمنين فالمعنى انّ المؤمنين لم يرسلوا على الكفار حافظين - والمعنى قال ذهب ابو مسلم الاصبهاني الطبري ومن تبعه وقال انّ الكفار لم يحملوا امانة

على المؤمنين بحيث يحفظون عليهم بل الله كلّفهم الايمان بواحد بنيته والعمل بطاعته وهذا هو الانسب - والثاني اختاره ابو حيّان - وهو بعيد عن سياق الاية - وفي الاية بعض موادعة بين المؤمنين والكافرين - فَالْيَوْمَ الَّذِينَ اٰمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْاَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ - قال كعب ان بين اهل الجنة واهل النار كوى يرون منها حال فظاعة الكفار وشدّة عذابهم وانّهم يصرخون بشدة احراق النار ولا يرحمون ويستغيثون بالعذاب الهائل ولا يغاثون ويدعون ولا يجابون وليس هذا الا معاوضة تكذيبهم بما اخبرهم الله تعالى بيوم البعث والنشور والثواب العقاب - هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ - هذا قول بعض اهل الجنة قيل هل استفهام بمعنى التقرير للمؤمنين اي هل جوزي الكفار والصحيح انها بمعنى قد - كما قال الله تعالى هَلْ اَتٰى عَلَى الْاِنْسَانِ حِيْنٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُوْرًا - وهذا قول ابن عباس والكسائي والفرّاء والمبرّد وبالخصوص صاحب الكشاف وغيرها انّها بمعنى قد وانّ الاستفهام انما هو مستفاد من همزة مقدرة معها وقد قدّمنا في المفصل عن سيبويه والتنوخي هو الحق ومنه قول الشاعر -

سَاَجْزِيكَ اَوْ يُجْزِيكَ عَنِّيْ مُثَوِّبٌ وَحَسْبُكَ اَنْ يُثْنٰى عَلَيْكَ وَتُحْمَدُ

وقرأ الجمهور هل ثوّب بأظهار لام هل والنحويان وحمزة وابن محيصن بإدغامها في الثاء - والمعنى انّ الكفار كذلك لا يجزون الا على ما عملوا من تكذيب الله ورسوله والاستكبار من اطاعة الله وعبادته والله اعلم وعلمه اوفى واتمّ - تمّ تفسير هذه السورة بكرم الله تعالى فالحمد لله اولا وآخرا والصلوة على نبيه الكريم طيّبا وطاهرا وعلى اله الذين طهّرهم الله تطهيرا واصحابه الذين يذكرون الله ذكرا كثيرا

سورة الانشقاق مكية وهي خمس عشرة وثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت - تدل هذه الآية ان السماء جسم يقبل الانشقاق والالتيام وليس ارتفاعا محضا كما زعم بعض الجهلاء - قال الفلاسفة ان كل جسم كائن وفاسد فهذا القول ينبغي ان فيه مبدأ حركة مستقيمة لانهم ذهبوا الى ان المجرد يمتنع ان يكون له مبدأ حركة مستقيمة والا لبطل نظام الزمان لانه مقدار حركته فاذا انقطعت حركته انقطع مقداره فلا يبقى هذا النظام الموجود فاقتضى اعلى المجرد ليس فيه مبدأ ميل مستقيم بل فيه مبدأ ميل مستدير وانتفى بدلائل اقناعية كما هي مذكورة في العلم الطبيعي ولقائل ان يقول ان الجسم المطلق هو الذي يقبل الحركة والسكون فلا بد ان يحصل فيه شرطين مختلفين فاذا زال شرط الحركة حدث شرط السكون - وبالعكس وانما قلنا ذلك لان الفلك اذا كان قابلا لكل واحد منهما لا يكون احد منهما لازما له فيكون مفارقا والعرض المفارق هو الذي يزول اما بسرعة واما ببطوء - فيجوز ان يقبل السماء الانشقاق والانفطار كما قالت منا - وروى المفسرون عن سيدنا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه في الذاريات ان السماء تنشق من الحرة - ومثله قوله تعالى - وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ذكر ابو مجاز وابو عبيدة فراء اذا السماء انشقت بكسر التاء - عبيد عن ابي عمرو - وقال ابن عطية

وقرأ ابو عمر وانشقّت یقف علی التاء کأنه یشمّها شیئًا من الجرّ وکذلک فی اخواتها - قال ابو حاتم سمعت اعرابیًّا فصیحًا فی بلاد قیس یکسر هذه التاء ان وهی لغة انتهی - وذلک ان الفواصل قد تجری مجری القوافی فکما انّ هذه التاء تکسر فی القوافی کذلک تکسر فی الفواصل انتهی وهذا کثیر فی الاشعار - ومنه قول کثیر فی عزّة -

وَمَا أَنَا بِالدَّاعِی لِعَزَّةَ بِالرَّدَی ... وَلَا شَامِتٌ إِنْ نَعَلَ عِزَّةَ زَلَّتِ

وقال معدیکرب

وَلَمَّا رَأَیْتُ الْخَیْلَ زُورًا کَأَنَّهَا ... جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَّتِ

فَجَاشَتْ إِلَی النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... فَرَدَّتْ عَلَی مَکْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتِ

واختلف فی جواب اذا فقال الفرّاء هو قوله تعالی اذنت ولوا ومزیدة وکذا الْقَتْ - والیه ذهب الاخفش والکوفیون الّا انه قال السّماء مبتدأ وانشقت خبره کما هو رأی الکوفیین خلافا للبصریین لانهم ذهبوا الی انّ السماء فاعل بتقدیر الکلام اذا السماء انشقّت السّماء لان اسماء الشرطیة تطلب الفعل وقد ذهب هذا البحث سابقًا قال ابن الانباری الواو لا تکون مزیدة الا مع اذا کقوله تعالی حَتّٰی اِذَا جَآءُوْهَا وَفُتِحَتْ اَبْوَابُهَا - اقول وفیه نظر لانّها قد تزاد بدون اذا قال العلّامة المغنی والزیادة ظاهرة فی قول الشاعر -

فَمَا بَالُ مَنْ أَسْعَی لِأَجْبُرَ عَظْمَهُ ... حِفَاظًا وَیَوْتُوَ مِنْ سَفَاهَةِ کَسَّرِ

وفی قوله

وَلَقَدْ رَمَقْتُکَ فِی الْجَالِسِ کُلِّهَا ... فَإِذَا وَأَنْتَ تَعَرَّضُ مَنْ یَبْغِینِی

وقال صاحب الکشّاف حذف الجزاء لذهاب الوهم الی کل شیء مخوّف

به وج یزداد التهویل و عندی انّ قوله تعالٰی فامّا من اوتی کتابه
جزاء وما بینهما جملة معترضة - واللّٰه اعلم - وَاَذِنَتْ ای سمعت للسّماء
والاذن هو السّمع ومنه قول قعنب -

صُمٌّ اِذَا سَمِعُوا خَیْرًا ذُکِرْتَ بِهٖ وَاِنْ ذُکِرَتْ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ اَذِنُوْا

ای سمعوا

اِنْ یَاْذَنُوْا رِیْبَةً طَارُوْا بِهَا فَرَحًا وَمَا هُمْ اَذِنُوْا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوْا

ای اِنْ یسمعوا شیئًا فیه ریبة - قال ابن عباسؓ اذنت اطاعت -
لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ - ای ثبتت لها الاطاعة والانقیاد لامر ربها والمراد
بالامر الامر بانشقاقها - وَاِذَا الْاَرْضُ مُدَّتْ - من مدّ وبمدّ والمراد
بالمدّ ازدیاد سعتها یوم القیامة - وذلک لوقوف الخلایق المبعوثة
فی الموقف للمحاسبة والمجازاة - وَاَلْقَتْ - الارض - مَا فِیْهَا - ای فی
باطنها من المعادن والدّفائن والموتی علی ظهرها - وَتَخَلَّتْ وَاَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ فلا یبقی
فیها شیئ بطن فیها ومثله قوله تعالٰی - وَاَخْرَجَتِ الْاَرْضُ اَثْقَالَهَا - هذا ما ذهب
الیه الزّجّاج - قال ابو حیّان وهو ضعیف - وقال وهذا یکون وقت
خروج الدّجّال وانّما تلقی یوم القیامة الموتی - اقول وفیه نظرٌ
لانّ القاء الارض جمیع ما فی بطنها یوم القیامة امرٌ ثبت من القران
ولیس فی احادیث الدّجّال شیئ یدل علی انّ الارض تخرج یومئذٍ
جمیع ما کمن فیها وتدل علی انّ الخوارق تخرج من الارض فی مدّته
والحاصل انّ الارض لسطت لانه کان جبالها فصیر الارض اذ ذاک
قاعًا کما قال اللّٰه تعالٰی وتقدس - قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرٰی فِیْهَا عِوَجًا وَّلَا
اَمْتًا - یٰۤاَیُّهَا الْاِنْسَانُ اِنَّكَ كَادِحٌ اِلٰی رَبِّكَ كَدْحًا - الکادح هو النفس

فى العمل حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومنه قول ابن مقبل

وَمَا الدَّهْرُ اِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا اَمُوْتُ وَاُخْرٰى اَبْتَغِى الْعَيْشَ اَكْدَحُ

اى تارة اسعى فى طلب العيش واَدْأَبُ وتارة اكدح فى حصول التنعم واموات - قيل والمراد بالانسان نوعه فَاِنَّ كل انسان يكدح فى معاشه ويكدّ فى حال صلاحه حتى يلاقى ربّه فى حالة كان فيها - فيجب له اَنْ ينقلب الى الله تعالى فى اصلح حاله وهو طلب مرضاة الله - وقيل انّ المراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى انك يا محمد قد جهدت غاية الجهد فى تبليغ احكام الله تعالى وكدّ فى سعى هدايتهم فجهدك مقبول عندنا - فَمُلٰقِيْهِ - اى جزاء كدحك وتبليغك والضمير فى ملاقيه عائد الى الكدح وقيل يعود على قولك ربّك - قال ابو حيان وهذا القول اَبْعَدُ - انتهى والصحيح عندنا ان يراد بالانسان نوعه والمعنى انك يا ايّها الانسان تلقى ربّك بعملك - وقيل فملاق كتاب عملك - فَاَمَّا مَنْ اُوْتِىَ كِتٰبَهٗ - اى صحيفة عمله بِيَمِيْنِهٖ - وهم المؤمنون - فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَّسِيْرًا - اَرَادَ بالحساب - العرض وليس فيه السؤال والجواب والمُنَاقَشَةُ والمعارضة - بل الله تعالى ينظر فى كتاب العبد ويتجاوز عن سيئاته او يسترها برحمته الواسعة ثم يعطى ثواب حسناته ولو كانت يسيرة فيغفره - روى عن عائشة رضى الله عنها - قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ليس احدٌ يحاسب الّا هَلَكَ فقلتُ اليس يقول الله فاَمّا من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا - قال ليس ذلك الحساب ولاكن ذلك العرض - ومن نوقش الحساب هلك - وَيَنْقَلِبُ اِلٰٓى اَهْلِهٖ - اى اهل العمل

الصالح و يراد بهم اهل الجنة او الى اهله الذين كانوا له في الدنيا من الزوج والاولاد وقد ادخلهم الله في الجنة قبله - مَسْرُورًا فرحا بما اتاه الله من رحمته وفضله - وَاَمَّا مَنْ اُوْتِيَ كِتٰبَهٗ وَرَآءَ ظَهْرِهٖ - وذلك لاستخفافه واهانته - وقال قوم من المفسرين يجعل وجهه الى قفاه - وقال الكلبي وذلك لان يمينه مغلولة وشماله اليسرى خلفه - والله اعلم - فَسَوْفَ يَدْعُوْا ثُبُوْرًا - قال الزجاج اى هلاكا واصله بمعنى اللعنة قال ابن الاعرابي المثبور الملعون المطرود المعذب قال الكميت هو بمعنى الهلاك - ومنه قوله -

وَرَأَتْ قَضَاعَةُ فِي الْاٰيَا مِنْ رَأْيِ مَثْبُوْرٍ وَتَابِرْ

قيل فيقال لهم لا تدعوا الى الانسان ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قال الفراء الثبور مصدر يوصف به الواحد والكثير - وقال ابن عباس الثبور الويل - وَيَصْلٰى سَعِيْرًا - اى يدخلها ويقاسي حرّ نارها وشدّتها - قرأ ابو عمر وحمزة وعاصم يَصْلَى بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام - وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديدها - وقرئ بضم الياء واسكان الصاد من اصلى يُصْلِى - اِنَّهٗ كَانَ فِيْٓ اَهْلِهٖ - اى في عشيرته في الدنيا - مَسْرُوْرًا - سكرانا بخمر الجهالة والضلالة اِنَّهٗ ظَنَّ - اى علم - اَنْ لَّنْ يَّحُوْرَ - بقال حار يحور اى رجع يرجع ومنه قول لبيد بن ربيعة -

وَمَا الْمَرْءُ اِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهٖ يَحُوْرُ رَمَادًا بَعْدَ اِذْ هُوَ سَاطِعُ

والمعنى انه كان فرحا منعما بماله بطرا بثروته ثم اما نال ما نال الا بماله اهوال وبالله ولا يفكر بفواد لا عواقب افعاله وخاب بما عمله

فَلَمَّا نوقش فی حسابه یری انّ نعمته کانت بلاء ومحنة وشروته عذابا ونقمة - وتیقّن انّه کان فی الخسران المبین - انّ ربّه کان به بصیرا - ای کان بصیرا بانّه یکفر ویدخل نار جهنّم خالدا فیها فلا اقسم بالشفق - قال الامام الرازی انّ المتکلّمین زعموا انّ القسم واقع بربّ الشفق - وهو ضعیف لانه یلزم منه انّه تعالی یقسم بربّ الشفق - وهذا القول کما تری - ولا زائدة قال الخلیل الشفق هو الحمرة من غروب الشمس الی وقت العشاء الاخرة قال الفرّاء سمعت بعض العرب یقول علیه ثوب مصبوغ کانّه الشفق وکان احمر والاوّل هو قول جمهور المفسرین - قال صاحب الصحاح الشفق بقیة ضوء الشمس وحمرتها فی اوّل اللیل الی قریب العتمة وهو قول ائمة اللغة - ذکر اصحاب الهیئة والنجوم الشفق هو الحمرة التی تبدو عقیب انحطاط الشمس بعد الغروب توضیحه انّه قد علم بالتجربة انّ انحطاط الشمس من الارض عند طلوع الصبح واخر غروب الشفق یکون ثمانیة عشر جزأ من اجزاء فلک البروج کما ذکرنا فی موضعه والحمرة التی توجد فی اوّل الشفق واخر الصبح انّما هی لتکاثف الابخرة فی الافق وزیادة سمکها بالنسبة الی الباصرة لانّ تلک الزیادة فی غلظ الابخرة بقدر ربع دور الارض وهو من التناظر الی الافق الشرقی فی الصبح ومن التناظر الی الافق الغربی فی الشفق فیکون مجموعهما بقدر نصف دور الارض - والّیل - ای اقسم بالیل - وما وسق - والوسق ما دخل فیه اللیل وما ضمّ قال الفرّاء وما وسق ای وما جمع وضمّ قال ابو عبیدة وما وسق ای

وَمَا جَمَعَ من الجبال والبحار والاشجار كأنه جمعها بان طلع عليها كلها فاذا جلل الليل الجبال والاشجار والبحار والارض فاجتمعت له فقد وسقها قال شمر واهل الغرب يسمون الوسق الوقر ومنه قول ضرار ابن الحارث البرجمي -

فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمُ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تُسِقْهُ أَنَامِلُهُ

والليل اذا كان جامعا الخير والشر فمجموعهما وقر عليه كأنه حمل ذلك الوقر - وَالْقَمَرِ - واقسم بالقمر - إِذَا اتَّسَقَ - اى اجتمع نوره وتم وانما يكون ذلك في ليلة اربع عشرة وقال ابن عباس اتسق القمر اذا تكامل واستدار وتم - لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ - قيل الطبق هو الغطاء وقيل الحال - اى غطاء بعد غطاء وحالا بعد حال وقرئ بفتح الباء على انه خطاب للواحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم - قال الشعبي عن مجاهد لتركبن يا محمد سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ليلة المعراج او مرتبة عالية بعد مرتبة اوحالا بعد حال لان حالته اما بشرية واما ملكية واما حقية كما يدل عليها قوله تعالى وَمَا رَمَيْتَ اذْ رَمَيْتَ وَلَاكِنَّ اللَّهَ رَمَى - وقرئ بضم الباء وعلى هذا يكون المراد بها احوال الانسان من كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيا وميتا غنيا او صعلوكا - وبالكسر خطابا للنفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبق اوحال من ضميره لتركبن اى مجاوزا عن طبق او مجاوزين - فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ - بيوم البعث الجزاء وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ - اى اذا قرئ عليهم القرآن يجب لهم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا

اصحاب الفصاحة والبلاغة يعرفون بنالة الكلام وجزالته فيميزون بين المعجز وغيره فلا بد لهم ان يعرفوا اعجازه واذا عرفوا ذلك عرفوا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب طاعة الله ورسوله في جميع الاوامر والنواهي فبعيد منهم ان يكونوا بعد ذلك كافرين واختلف في معنى السجود فقال ابن عباس والحسن ان المراد به الصلوة وذلك لان الكفار كلهم مكلفون بالاصول كذلك مكلفون بالفروع واليه ذهب الامام الاعظم ابو حنيفة رح كما بين في الاصول - وقال ابو مسلم الاصفهاني المراد بالسجود الاستكانة والخشوع والخضوع - وهذا القول اولى من الاول - وقال اخرون بل المراد هو السجود عند آيات مخصوصة - كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم - قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المومنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت هذه الآية - وبه احتج الامام ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ - بالقران لاسيما بما ذكر فيه من يوم القيامة - واهوالها والا يخضعون عند تلاوته واعلم ان الكفار وان كانوا يعرفون الانبياء والخلفاء بالدلائل الواضحة والبراهين اللائحة الا انهم يكذبون بهم وجوه اما الاول فلتقليد الاسلاف واما الثاني فانهم لو اطهروا الايمان لفاتتهم مناصب الدنيا وزخارفها ومنافعها - اما الثالث فهو قد يكون للعداوة كما روي ان ابا طالب بن عبد المطلب انكر نبوته صلى الله عليه وسلم لهذا الوجه والله اعلم بحال قلبه فهو عند الله من امره - اما الرابع فهو للاستكبار والاختيال

كانكار ابى لهب وابى جهل واشباههما - والله اعلم بما يوعون
اى بما يسرون فى قلوبهم من الكفر والنفاق والبغى والعناد
من رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهذه الاية تدل على
ان الله جل شانه يعلم الجزئيات - يقال اوعيت الشئ اى جعلته
فى وعاء كما قال وجمع فاوعى - قرأ ابو رجاء من وعى يعى
فبشرهم بعذاب اليم - والتبشير بالعذاب استهزاء لهم
وهو استعارة من التهديد والتخويف - الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون - قال صاحب الكشاف
الاستثناء منقطع وقال بعضهم انه متصل ومعناه
الا من تاب منهم وعمل عملا صالحا فله اجر
غير ممنون - والمن القطع - اى غير مقطوع
وقيل معناه غير محسوب وقيل معناه اى
لا يمن الله عليهم فاخرا ومعظما كما
يفعل بخلاء المنعمين والاكثرون يقولون انه بمعنى القطع و
منه قول لبيد بن ربيعة

لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب لا يمن طعامها

تم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين - والصلوة على نبيه
افضل الانبياء والمرسلين وعلى اله و
اصحابه الكاملين المكرمين

سورة البروج وهي اثنتان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج - اختلفوا في تفسير البروج الاول هي البروج الاثنا عشر من دائرة فلك البروج - وهي ثلث مائة وستون درجة فكل برج منها يكون ثلثين درجة على ما ذكروا - والثاني هي منازل القمر وهي ثمانية والعشرون والثالث هي عظام الكواكب وهو قول مجاهد والزجاج وانما سميت بروجا لان البرج معناه الظهور والارتفاع - والقول الاول ذهب اليه اكثر المفسرين - وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت - وسميت بابواب السماء لان الحوادث تخرج منها - واليوم الموعود - والمراد به يوم القيامة لانه ميعاد فناء العالم واعادته وشاهد ومشهود - وفي الشاهد اقوال الاول هو الجمع الذين يحضرون يوم القيامة وهو قول ابن عباس والثاني انه يكون الشاهد هو الله تعالى اذ قال تعالى شانه قل اي شئ اكبر شهادة - قل الله والمشهود هو التوحيد - والثالث الشاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم - كما قال الله تعالى - فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - وكما قال تعالى انا ارسلناك شاهدا - والرابع قيل الشاهد الانبياء عليهم السلام بقوله تعالى اذا جئنا من كل امة شهيدا - والخامس هو الموجودات والمشهود

هو الله تعالى - والسادس الشاهد هو الملك بقوله تعالى - وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد - والمشهود عليه هم المكلفون هذا ما ذكره الامام الرازي والسابع الشاهد هو المؤمن الصالح والمشهود هو العمل الصالح - والثامن قائل اهل الحقائق المراد بالشاهد من يرى الله تعالى والمشهود هو الله تعالى - التاسع المراد بالشاهد يوم العرفة وبالمشهود يوم النحر - والعاشر الشاهد هو يوم الجمعة والمشهود يوم العرفة - الحادي عشر الشاهد هو الله تعالى والمشهود هو يوم القيامة - والثاني عشر هو عيسى عليه السلام كما قال الله تعالى - وكنت عليهم شهيدا - والثالث عشر الشاهد هو المهدي الموعود عليه الصلوة والسلام - كقوله تعالى ويتلوه شاهد - والمشهود هو الله تعالى - قتل اصحاب الاخدود النار - قيل هو جواب القسم تقديره والله لقد قتل قال الاخفش وقد تحذف اللام مثل - قد افلح من زكاها - اصله لقد افلح قال الكوفيون في قوله تعالى - بل عجبوا ان جاءهم منذر تقديره لقد عجبوا وكذا في قول عامر بن الطفيل -

وقتيل مرة اثأرن فانه ... فرع وان اخاكم لم يثأر

تقديره لاثأرن - والفرع الهدر - قال الزجاج ان جواب القسم قوله تعالى - ان بطش ربك لشديد - وهو قول المبرد وقال بعض النحويين ان جواب القسم - ان الذين فتنوا المؤمنين - وقوله قتل اصحاب الاخدود - الخ - جملة معترضة - وقيل جوابه محذوف وهو لتبعثن - قال ابو حيان ان جوابه قتل وانما اختاره وحذفت

وقتل اصحاب الاخدود

اللام ای لقتل - والقتل هو للعن - کما قال الله تعالی - قاتلهم الله انی یؤفکون - ویکون الجواب دلیلا علی لعنة الله علی من فعل ذلک وطردہ من رحمة الله تنبیها لکفار قریش - الذین یؤذون المؤمنین لیفتنوهم عن دینهم علی انهم ملعونون بجامع ما اشترکا فیه من تعذیب المؤمنین - ثم الاخدود من الخد وهی الحفرة قال الفرزدق

وبهن فل من فلول سیوفهم ... وترکن کل مثوب اخدودا

المثوب الذی یدعو مسعودیا مرة بعد مرة والاخدود الحفرة الطویلة وجمعه اخادید ومنه قول الشاعر -

رکبن من فلج طریقا ذا القحم ... ضواحی الاخادید اذ اللیل ادلهم

وقصة اصحاب الاخدود اختلفوا فیها فقال اکثر المفسرین روی عن النبی صلی الله علیه وسلم انه کان لبعض الملوک ساحر فلما کبر ضم الیه غلاما لیعلمه السحر والکهانة وکان فی طریق الغلام راهب فسمع منه - فرای فی طریقه ذات یوم دابة قد حبست الناس قیل کانت اسدا فاخذ الغلام حجرا فقال اللهم ان کان الراهب احب الیک من الساحر فاقتلها فقتلها فاتی الغلام بعد ذلک یبصر ومنه خوارق حتی انه ابصر جلیس الملک بعد کونه اعمی فسأله من ابصرک فقال ربی فغضب الملک فعذبه فدل علی الغلام فعذبه فدل علی الراهب فلم یرجع عن دینه فقد بالمنشار - واتی الغلام ان یرجع فذهب به الی جبل لیطرح منه فدعا علی القوم فهلکوا جمیعا ونجا فذهب الی قرقور فطاروا الیه واراد ان یغرقوه فانکفأت بهم

السفينة فغرقوا ونجا - ثم قال للملك لست قاتلي حتى تأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر منه فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت - قال الامام الرازي قال القفال ذكروا في قصة أصحاب الأخدود روايات مختلفة وليس في شيء منها ما يصح الا انها متفقة في انهم قوم من المؤمنين خالفوا قومهم وملكا كافرا كان حكما عليهم فالقاهم في أخدود وحفر - ثم قال واظن ان تلك الواقعة كانت مشهورة عند قريش فذكر الله ذلك لأصحاب رسوله تنبيها لهم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم واحتمال المكاره فيه لقد كان مشركو قريش يؤذون المؤمنين على ما هو المشهور - انتهى - والنار بدل اشتمال من الأخدود ذات الوقود - صفة للنار بالعظمة وكثرة ما يرمى فيها من الحطب - واللام في الوقود للجنس - والوقود الحطب ومعناه التوقد إذا كان مصدرا قال الازهري اعتبار المصدر احسن من ان يكون الوقود الحطب - وقرأ يعقوب ذات الوقود قال الليث الوقود ما ترى من لهبها لانه اسم والوقود بضم الواو مصدر - إذ هم عليها - اي على حافة النار - قعود - اي قاعدون - جمع قاعد كقوف جمع واقف وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود - اي يشهد بعضهم لبعض بانهم فعلوا معهم كما امرهم ولم يقصر وا فيه او هم يشهدون

يوم القيامة حيث يشهد عليهم ايديهم والسنتهم - وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ - قال ابن الاعرابي النَّقْمَةُ والنِّقْمَةُ بالفتح والكسر العقوبة ومنه قول علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه -

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّي بَازِلُ عَامَيْنِ فَتِيٌّ سِنِّي

وقيل النقمة الكراهة عن الشيء مبالغة ومنه قول ابن قيس الرقيات

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

اي ما كرهوا منهم - إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ - قال ابن حيان اي ما عابوا ولا انكروا الا ايمان كقوله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله - كمثل قول الشاعر -

وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ شُكْلَةِ عَيْنِهَا كَذَاكَ عِتَاقُ الطَّيْرِ شُكْلًا عُيُونُهَا

انتهى ومثل قول النابغة -

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

قيل وانما الا ان يؤمنوا لان التعذيب انما كان واقعا على الايمان في المستقبل - ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا فكانه قال الا يديموا على ايمانهم انتهى ثم العزيز هو الغالب الذي لا يقهره احد - قال الغزالي هو الخطير الذي يقل وجود مثله فتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فالمجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز - اقول لو وجد مثله فلبلا لكان مثل البادي تعالى موجودا وهو باطل لقوله تعالى - ليس كمثله شيء - الحميد هو المحمود المثنى عليه والله تعالى هو الحميد بحمده لنفسه ازلا وبحمد عباده له ابدا ويرجع هذا الى صفات الجلال

والعلو والكمال منسوبًا الى ذكر الذاكرين له فانّ الحمد هو ذكر
اوصاف الكمال من حيث هو كمال - الّذي لهُ مُلكُ السّمٰوٰتِ وَ
الْاَرْضِ - وانّما اخّر كونه مالكًا لانّ المالك لا يكونُ الا من هو متصفٌ
بصفات كاملة فذكر اوّلًا الصفتين الكاملتين الجامعتين لجميع
الصفات الكاملة فبعد ذكرهما ناسب ذكر كونه مالكًا فلذا اخّرها
وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ - يعني الله تعالى عالم لكل شيء فعلت تلك
الجبابرة القاهرون في حق المؤمنين الّذين قتلوا بظلمهم فاستشهدوا
في سبيل الله فيجازيهم بادخالهم النّار - اِنَّ الَّذِيْنَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِيْنَ
وَالْمُؤْمِنٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوْبُوْا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيْقِ
اى ذلك لكفرهم واحراقهم في النار او هو حكم عام متناول لمن كان
موصوفا بهذه الصفات الذميمة - والحريق فعيل وهو للمبالغة في الاحراق
فيكون المعنى هو العذاب في الاحراق وقيل المراد بالّذين فتنوا اصحاب
الاخدود وبعذاب الحريق ما روي انّ النّار انقلبت فاحرقتهم كذا
ذكره البيضاوي - اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ جَنّٰتٌ
تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيْرُ - الفوز هو الظفر بالخير
فالّذي فاز بالخير يصغر في عينه نعم الدّنيا وكل غنائمها لانّه يكشف عليه
بعد فوزه انّ متاع الدّنيا وحطامها قليل لا يكفي لصاحبها ولا يفي
لمقاصده فكانّها في عينه اوهام او خيال ليس لها وجود في نفس الامر
اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيْدٌ - البطش الاخذ بالعنف لشديد - اى مضاعف لانّ البطش
اذا وصف بالشدة يتضاعف اخذه - اِنَّهٗ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيْدُ - بالخلق - ويعيد
كما بدأه اوّلًا لان الاعادة اسهل من الابتداء - وَهُوَ الْغَفُوْرُ الْوَدُوْدُ

لمن اطاعه - واعلم ان الغفر هو الستر والمراد به ستر القبائح والذنوب فالغافر هو الذى اظهر الجميل وستر القبيح لان من العباد من هو نظافة فى ظاهره وقذارة فى باطنه وذلك بسبب الذنوب والآثام فالله باعتبار كونه غافرا يستر قذارة باطنه فيتجاوز عن ذنوبه فى الآخرة - والغفار مبالغة فى الغفران - اى يفعل المغفرة متكررة والغفور يبنى عن جودته وكماله واحاطته بالغفران فهو عام من الغفار باعتبار الشمول والتناول - واذا كان من شانه ان يفعل المغفرة باعتبار جوده ورحمته لا يتوقف غفرانه على توبة العبد وانابته مطلقا كما قال الله تعالى - ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء - سواء كان تائبا ام لا - وقالت المعتزلة هو غفور للتائبين وانت تعلم ان عموم الغفران المفهوم من الآية يرد مذهبهم - والودود هو من يحب الخير لجميع الخلق فيحسن اليهم ولا يستدعى اضطرار المحسن اليه واحتياجه الى الاحسان بل يحسن لكمال جوده ولطفه - ذو العرش - اى مالك العرش وقال بعضهم ذو الملك والسلطنة - والعرش لا يحد حقيقته ولا يعلمه الا الله المجيد - قرأ الجمهور برفعه على انه صفة لذو - واليه ذهب ابو عبيد وابو حاتم - لان المجد هو النهاية فى الكبر فلا يليق هذه الصفة الا بذاته عز اسمه - وقرئ بالكسر على انه صفة للعرش - فعال لما يريد - اى يفعل فى غاية الكثرة - هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود - وكل واحد منهما بدل من الجنود اى حديث فرعون وثمود - والمراد بفرعون قومه وانما قدم فرعون لكونه فى نهاية

لطغیان و انما ذکر فرعون و ثمود لان قصتهما مشهورة فی العرب قال
بو حیان الا ترای الی زهیر ابن ابی سلمی و قوله -

اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ اَهْلَكَ تُبَّعًا وَ اَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَ عَادِيَا
وَ اَهْلَكَ ذَا الْقَرْنَيْنِ مِنْ قَبْلِ مَالِكٍ وَ فِرْعَوْنَ جَبَّارًا طَغَى وَ النَّجَاشِيَا

قول قال بعض الشارحین لدیوان زهیر - ان القصیدة التی فیها هذا ان
البیتان لیست من زهیر بن ابی سلمی کما ذکرا الاعلم النحوی فی شرحه قال الاصمعی
هی لیست لزهیر - و یقال هی لصرمة الانصاری و لا تشبه کلام زهیر - و المعنی
قد اتاک حدیث قوم فرعون و ثمود و کان طغاته فی الکفر و عتاته فی الجحود و عادهم
فی الظلم و الضیر - فلما هلکوا لم ینفعهم مالهم و اولادهم - فحال الله بین
کذبوا بک مثل احوال المکذبین الاولین فلا یلزمک ان یحل بکذبیهم ایاک

بَلِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فِيْ تَكْذِيْبٍ - ای انهم یکذبون - وَ اللّٰهُ مِنْ وَّرَآئِهِمْ مُّحِيْطٌ
ای الله تعالی - قد احاط بهم فهم محصورون لا یستطیعون ان یدفعوا ما ینزل
علیهم من القهر و العذاب - بَلْ هُوَ قُرْاٰنٌ مَّجِيْدٌ فِيْ لَوْحٍ مَّحْفُوْظٍ - رد و
ابطال لتکذیبهم و اثبات لما هو حق عند الله - ای لیس الامر کما زعموا بل هو کتاب
مکرم بین الکتب الالهیة و مجید باعجازه فی نظمه و اخباره بالمغیبات و غیر ذلک من
محاسنه القدسیة قرأ الجمهور ان قوله قرآن موصوف و مجید صفته و قرأ ابن ابی عبلة
بالاضافة - قال ابن خالویه سمعت ابن الانباری یقول معناه بل هو قرآن رب مجید کما
قال الشاعر :: وَ لٰكِنَّ الْغِنٰى رَبِّيْ كَفُوْرِيْ :: ای غنی ربی غفوری هذا ما ذکره ابو حیان
و اللوح شیء لا یدرک حقیقته احد الا الله و قالت الصوفیة هی النفوس الکلیة و معنی المحفوظ
محفوظ عن التغییر و التصحیف - ثم تفسیره هذه السورة یتلو الله ملک القدس العین الوقوم و الصراط نصلی
نبیه خاتم الانبیاء صلی الله المحمود و علی آله و اصحابه الذین هو ائمة اصحاب الکرم و الجود

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق - وهو من طرق يطرق طروقا اذا جاء ليلا ثم استعمل في كل ما بدا في الليل قال القراء الطارق النجم لانه يطلع بالليل وما اتاك ليلا فهو طارق - وكذا قال المبرد والزجاج اختلف في هل هو نجم معين او جنس النجم - فقيل هو زحل - وقيل انثريا وذكر صاحب الصحاح هو كوكب الصبح - اقول ومنه قول هند بنت عتبة

نحن بنات طارق ... لا نشتكي لوامق
نمشي على النمارق ... المسك في المفارق
والله في المخانق ... ان تقبلوا نعانق
او تدبروا نفارق ... فراق غير وامق

اى ان ابانا في الشرف والعلو كالنجم المضئ - وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب - المضئ كانه يضئ الظلام بضوئه - وهذا قول الفراء وقيل الثاقب زحل وقيل الثاقب هو الذى ارتفع على النجوم واختار بعضهم القول الاول وقال عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه لتفخيم شانه وهذا ترجيح بلا مرجح - ان كل نفس لما عليها حافظ - قرأ حفص في رواية عن عاصم ان مخففة ولما مشددة وكذا قرأ حمزة والنخعي وقتادة وابن عامر وابو عمرو وراقم في رواية قال ابو علي الفارسي وعلى هذه القراءة تكون ان نافية ولما بمعنى الا وذكر

وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين كل هذا في القرآن ما ادراك فانه اخبر به ومالم يدر فانه لم يخبر به

ابن هشام في المغني انّ لمّا تكون حرف استثناء فتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى ان كل نفس الخ - وعلى الماضي لفظاً لا معنى نحو الشذرك الله لما فعلت اى ما اسألك الا فعلك - قال الشاعر -

قالت له يا ذا البُرَيْدَيْنِ لمّا غَنَّثَ نَفْسًا أو اثنَيْنِ

الغَنَّثُ التنفّس وقيل هي كناية عن الجماع - قال الامام الرازي وروى عن الاخفش والكسائي وابي عُبيدة انّهم قالوا لم نر توجد لمّا بمعنى الا في كلام العرب - قال ابن عون قرأتُ عند ابن سيرين لما بالتشديد فأنكرهُ وقال سُبحان الله سبحان الله - انتهى وذكر الصحاح انّها لا تجيئ - بمعنى الا - اقول وقد ذكر صاحب اللسان وتكون بمعنى الا في قولك سألتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وكذا قوله تعالى - وَاِنْ كل نفس لما جميع لدينا محضرون شدّدها عاصمٌ والمعنى ما كل نفس الا جميع لدينا - وقال الفرّاءُ لمّا اذا وضعت في معنى الا فكانّها لمّا ضُمّت اليها فأضمارها جميعًا ان التي تكون جحدًا فضمارها جميعًا حرفًا وخرجا من حد الجحد وكذلك لما قال ابو منصور ومما يدلّك على انّ لمّا تكون بمعنى الا مع ان التي تكون جحدًا قول الله عزوجلّ ان كل لمّا كذّب ان نسل وهي قراءة الاعمش وقال الفرّاء وقراءة عبد الله ان كلهم كذّب الرسل - قال والمعنى واحد - قال الكسائي وتكون بمعنى الا في مكان تقول بالله لمّا قمت عنّا بمعنى الا عنّا وهو من مذهب الكوفيين وهو لغة هذيل كما قال صاحب اللسان والعَيني وغيره كما اشار اليه ابو حيان وكذا قال الزجاج - انتهى ملخصاً قال العلامة المغني وفيه ردّ لقول الجوهري انّ لمّا بمعنى الا غير معروف في اللغة - وقد جهور

ان مخففة وكل مرفوع ولمّا خفيفة فهي عند البصريين مخفّفة من
الثقيلة وكلّ مبتدأ واللّام هي الداخلة للفرق بين ان النّافية وإن
المخففة وما زائدة وحافظ خبر المبتدأ - وعليها متعلّق به قال ابو حيّان
وحكى هارون انّه قرئ ان با لتشديد وكلّ منصوب فاللام هي الداخلة
في خبر ان وما زائدة وحافظ خبر انّ وجواب القسم هو ما دخلت عليه
ان سواء كانت المخففة او المشدّدة او النافية لانّ كلًّا منها يتلقى
به القسم فتلقّيه بالمشدّدة مشهور وبالمخففة تالله إنْ كدت لتردين
وبالنافية ولئن زالتا ان امسكهما - والمعنى ما من نفس إلّا عليها
حافظٌ يحفظها من الآفات او يحفظ عملها ورزقها واجلها والمراد
بالحافظ هو الملك المسلّط على الانسان وقيل هو الله تعالى حقيقةً لانّ
الملائكة لا يحفظ الانسان إلا بحكمه فهو الحافظ الحقيقي على جميع اموره
وهذا هو الاصحّ - فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ - والمراد به الانسان الذي
مِمَّ خُلِقَ - اي من اىّ شئ خلق - خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ - قال الزّجاج معناه
ذو اندفاق مثل دارع بمعنى ذو درع ونابل معناه ذو نبل وهذا قول
سيبويه والخليل وقال الفرّاء دافقٌ بمعنى مدفوق - لان اهل الحجاز
جعلوا الفاعل بمعنى المفعول وهو قول الاخفش - قال الازهري الدفق
في كلام العرب صبّ الماء وهو متعدّ يقال دفقتُ الكوزَ فاندفقَ
وهو مدفوق اى مصبوب والمراد بالماء ماء الرجل والمرأة - والانسان
مرتولّد منهما على الاكثر - هذا تنبيه على ان الانسان يجب عليه ان
ينظر في بدء خلقه فانّ الله تعالى كيف يحفظه من المعاطب والمهالك
ولا يصيبه شئ من المصائب الّا ما قدّر الله عليه - قال الاطبّاء إنّ

ويقال الماء الدافق والشيء المدفوق والحيوان الحامل والاصباغ في هذه المسألة

النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وهي تنفصل عن الاعضاء وذلك يشابه اعضاء الولد باعضاء الوالدين - قال جالينوس وسائر الاطباء إنّ لكلّ واحدٍ من الذكر والانثى منيًّا والدليل عليه انّه لو لم يكن كذلك لكان خلقة الخصية والمجاري لها عبثًا - ولما خلقت لها هذه الاعضاء لابدّ لها ان يفعل فعلًا مناسبًا كما هو حال سائر الاعضاء والقوى وافعالها - فكذلك تفعل اعضائها المذكورة فعلًا يتولد منها المني الّا انّ منيّها لضعف الاتها ارقّ واشبه بدم الطمث ثمّ الحكماء والاطبّاء اتفقوا على انّ القوّة العاقدة في مني الذكر والمنعقدة في مني الانثى ثم اختلفوا في انّ المنعقدة بل توجد في مني الذكر ام لا والعاقدة هل توجد في مني الانثى ام لا فالحكماء انكروا ذلك والاطبّاء اثبتوه وقالوا انّ العاقدة في الذكر اقوى - واشدّ من عاقدة الانثى وكذا المنعقدة في الانثى اقوى واشدّ من منعقدة الذكر - قالت الحكماء لو وجدت القوتان في مني كان الشيء الواحد فاعلًا ومنفعلًا - وهو ليس بشيء لانّ المراد من الشيء الواحد هو البسيط والمني ليس بسيطًا لانه خارج من اعضاء مختلفة ولذلك يكون مبدأ للاشياء الكثيرة كالقوى المتنوعة والاخلاط المختلفة فهذا الاعتبار يجوز ان يكون فاعلًا ومنفعلًا وذلك بجهتين مختلفتين - فلا استحالة فيه على اصولهم ايضًا - ثم استدل الحكماء على مذهبهم انّه لو كان في مني واحدٍ قوّتان لزم ان يكون احد المنيين كافيًا في التوليد والتالي باطلٌ فالمقدم مثله - امّا بيان بطلان تالي الشرطية بانّه لا معنى للقوّة الّا فاعليّة الاكوان هو امر وجودي التغير في آخر من حيث آخر فاذا تلاقت

القوة الفاعلة المنفعلة من شخص واحد وجب أن يوجد فيهما التغير لأنه لم يوجد فيهما فلم يكن المنيّ الواحد مبدأ للفعل والانفعال وهذا خلف وبطلان التالي يلزم بطلان المقدم - اقول وهذا الاستدلال ضعيف لأن احد المنيين كما لا يكفي في التوليد كذلك التقاء القوتين من ذكر وانثى واجتماع منيهما لا يكفي لانعقاد الولد - لأن كثيرا ما يرى التقائهما منهما من غير ان ينعقد الولد في الرحم وهذا امر لا امتراء فيه عند من له قوة مفرطة وشهوة شديدة على الجماع بل من كان له ملكة في هذا الامر اذا اراد التقاء المائين فعل ولا استصعاب له فيه اصلا وهذا امر لا يعرفه اكثر الناس - ولذلك قال بعض الحكماء ان التقاهما ليست علة تامة له بل هو شرط لانعقاده فيكون المعنى ان الله سبحانه متى اراد تكوين الولد يريده الا بعد التقاء المائين - اقول وكل ذلك اذا كان الباري تعالى فاعلا موجبا اما اذا كان فاعلا مختارا كما يجب ذلك تكوينه بغير هذا الشرط على طريق خرق العادة كما خلق عيسى بن مريم عليهما الصلوة والسلام واذا ثبت ذلك يجب لنا ان نقول ان في كل منهما قوتين فاعلتين ومنفعلتين والتوالد الذي يكون على طريق العادة يتوقف على التقاء مائين من ذكر وانثى لكن التوالد الذي لا يكون على طريق العادة يكفي فيه قوتان من احدهما - واليه مال جالينوس في بعض اقواله - يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ - جمع ترببة وهي موضع القلادة من الصدر قال امرؤ القيس -

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ

هذا هو الذي ذهب اليه جمهور اهل اللغة - وقيل هي عظام الصدر
وقيل ما بين الثديين والترقوتين قال الاعلب العجلي -

اشرق ثدياها عكى التريب لم يعدوا التقليك في التنوب

التقليك ادارة الثدي كالفلكة - والتنوب النهود والارتفاع - وقيل
الترائب اليدان والرجلان والعينان - وقيل الترائب اربع اضلاع
من يمنة الصدر واربع من يسرته - قال سفيان الثوري معناه من
بين صلب الرجل وترائب المراة - قال الاطباء ان المني يغتسل من
جميع الاعضاء فلم يخص الله سبحانه منه بينها الصلب والترائب - قال
الامام الرازي وجه ذلك لا شك ان لاعظم الاعضاء معونة في توليد
المني وهو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب له
شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهو التربية فلهذا السبب
خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلا منهما في كيفية توليد
المني وكيفية نزوله الاعضاء من المني محض الوهم والظن الضعيف
وكلام الله اولى بالقبول - انتهى - وهذه الاية تدل على ان الانسان
من النطفة وهو من اعظم الدلائل على وجود صانع العالم المختار و
كمال قدرته وكذلك على اثبات الحشر والنشر لان اجزاء النطفة
قبل تركيبها كانت بسائط متحللة فلما وقع التركيب في اصل المواليد
الحيوانية ونتائج عللها تقلبات كثيرة حدث بها صورة الانسان فكذلك
اذا بلغ عمره الى لفظه النهاية يجوز ان يتحلل اجزاء بدنه وتتشتت
تشتيتا حتى نصير اجزاء كما كانت اولا - ويجوز ان يعيد الله اياه
ويرد نفسه الى هذه الاجزاء المشتتة فيعيد تلك الاجزاء وينظمها ويجمع بها

نسانًا سويًا كما كان قبل ذلك لأنّ الاعادة ليست مستبعدة من البداية فهذه الآية مع الآية السابقة مصحّحة للثبوت المعاد بالحشر - والله اعلم - ولذلك قال الله سبحانه - إنّه على رجعه لقادر - الرجع من رجعت الشيء اذا رددته الى الحالة الاولى - قال مجاهد والمراد بالرجع أن يردّ الماء في الاحليل - وقال عكرمة والضحاك على أن يردّ الماء في الصلب وروى عن الضحاك انّه قادر على ردّ الانسان ماءً وقال مقاتل قادر على ان يردّ الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا - اقول وهذه الاقوال كلها ظنون واوهام لا طائل تحتها فالصحيح ان المراد بالرجع هو الاعادة - قال ابو حيّان وروى عن ابن عباس وقتادة الضمير يرجع الى الانسان اى على ردّه حيًّا بعد موته اى من انشأه اوّلا قادر على بعثه يوم القيامة انتهى ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى - يوم تبلى السّرائر - الابتلاء الاختبار اى تختبر السّرائر - والسّريرة كالسرّ يقال على عمل السرّ من خير وشرّ - ومنه بيت الاحوص -

سَتَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةُ وُدٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

والمراد بها ههنا الاعمال القبيحة - ومعنى الاختبار ان الاعمال التي يعمل عليها و يعتقد بانّها وسيلة لنجاته وفلاحه و بعمله انّه يستحق الثواب بها فتظهر يومئذٍ في تلك الاعمال لانّه ربما يكون ظاهرها حسنًا ولكن باطنها قبيحًا كما يكون اعمال المرائين على هذه الصفة فيكشف الله عنه حتى تظهر فاذا هي خلاف ما يتوهم يحزن و يأسف عليه نفسه وهذا معنى الابتلاء والاختبار - ومنه معناه

تكشف لان الشئ وقت اختباره يكشف حاله فالاختبار يكون سببا لكشف احوال الاعمال - فاستعمل السبب مقام المسبب على طريق المجاز - فما له من قوة ولا ناصر - اى ليس له قوة فى نفسه على دفع ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره فى الدفع عنه - وهذه الاية من مقسمات منكرى الشفاعة - وجوابه ان شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا لاهل الكبائر - من الامة المحمدية فى اسقاط العذاب عنهم كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من امتى - وقال الله تعالى وتقدس تعليما للنبيه صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمومنات ولاثنتها فى جميع الاوقات

والسماء ذات الرجع - قال ابن عباس الرجع السحاب فيه المطر - وقال بعض اهل اللغة الرجع المطر ومنه قول الهذلى -

ابيض كالرجع رسوب اذا ما ناخ فى محتفل يختلى

يصف سيفا هو كماء المطر فى بياضه وصفائه والرسوب الذى يرسب فى اللحم والمحتفل الاعظم موضع فى الجسد ويختلى يقطع وناخ غاب وانما سمى به لانه يرجع مرة بعد مرة - وقال ثعلب لان السماء ترجع بالمطر سنة بعد سنة - وكذا قال اللحيانى - وقال الفراء نبتدى بالمطر ثم ترجع به كل عام - قال ابو عبيدة الرجع فى كلام العرب الماء وقال ابو الهيثم حاكيا عن الاسدى الرجع الرعد - وقيل الملائكة لانهم رجعوا الى السماء باعمال العباد - وقيل دورانه من الموضع الذى يتحرك منه فترجع الاحوال التى تتعلق بدورانها وتنتظم امور الليل والنهار ومسير الشمس والقمر والكواكب السيارة من برج الى برج

وترتيب الفصول وتنظيمها - وقال ابو حيان وقول الجمهور ان الرجع هو المطر - انتهى وهذا المعنى انسب لقوله - والارض ذات الصدع اى ذات الانشقاق ومثله قوله تعالى فشققنا الارض شقا - قال ثعلب اى تنصدع الارض بالنبات والمعنى اقسم بالسماء التى هى ذات مطر وجو فتنصدع منه الارض وتخرج منها النبات والاشجار والخضر اوات فتنبع منها العيون والانهار وتنبت به زروع وارزاق للحيوان والانسان - انه اى القرآن لقول فصل اى قول مفصل للشرائع والاحكام او قول يفصل الحق عن الباطل - والفصل هو الحكم - وما هو اى القرآن - بالهزل اى ليس فى باطنه هزل ولا فى ظاهره لهو - لانه كلام الله كله فهو جد مملوء بالحكمة والموعظة يوردث لقاريه عزا ووقارا ولسامعه خشية وانكسارا - انهم اى كفار مكة - يكيدون اى يحتالون - كيدا - احتيالا لاحين احتشدوا فى دار الندوة وتشاوروا فيما بينهم لاضرار رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقال الزجاج يحتالون النبى صلى الله عليه وسلم ويظهرون خلاف ما يسرونه - وقيل معناه يمكرون بالناس فى دعوتهم الى خلاف القرآن ويصدونهم عن سبيل الله - واكيد كيدا - قال الزجاج كيد الله لهم استدراجهم من حيث لا يعلمون - قال ابو بكر وكاد جاء بمعنى اراد ومنه قول الاقوه

فان تجمعوا اوتادا واعمدة وساكن بلغوا الامر الذى كادوا

اى ارادوا - وقال فى معناه -

كادت وكدت وتلك خير ارادة لو كان من لهو الصبابة مامضى

قال معناه ارادت واردت فيكون المعنى انهم يريدون اضراره

وانّي اريد اضرارهم وهو عذاب الاخرة - وقيل معناه اجازي جزاء كيدهم فانتقم منهم في الدنيا بالخزي والخسران وفي الاخرة بالنكال والنيران - فمهّل الكافرين - اي لا تستعجل في دعاء تعذيبهم وتنكيلهم - امهلهم رويدا - ومثله قوله تعالى واملي لهم انّ كيدي متين - قيل وكبير رويد روذ لضم الراء يقال فلان يمشي على رود اي على مهل قال الجموح الظفري -

كأنّ دلاثم البطحاء وطأتها كأنّها ثمل تمشي على رود

وقال ابو عبيدة نكبيره رودٌ بفتح الراء ومنه الارواد ومعناه الامهال ولذلك قالوا رويدا بدل من قولهم ارواداً الّذي بمعنى اتئد اي امهل فكأنّه تصغير الترخيم بطرح جميع الزوائد - قال ابن سيده وهذا مذهب سيبويه في رويد وفي هذه الكلمة ثلاثة اقوال - احدها ان تكون اسما للفعل وهو قول سيبويه قال وقالوا رويدا اي امهله والدليل لم يُثنّ ولم يجمع ولم يؤنث والثانية قال سيبويه وقد يكون رويد صفة فقولون سار واسيرا رويدا ويجعلونه حالا له - قال الازهري ومن ذلك قول العرب ضعه رويدا اي وضعا رويدا والثالثة انّها تجيء مضافة الى ما بعده كما سائر المصادر من ضرب الرقاب - ومنه قول الشاعر -

رويد بني شيبان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سعوان

قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه امهلهم امهالا رويدا ابن قريبا وقال قتادة قليلا وعلى هذا تكون رويد وصفا لمصدر محذوف وتقديره

فی القول الثانی - وقال صاحب الکشاف - ای امهلهم امهالا یسیرا بسیرا - وکرر بغیر لفظ الاول للتسکین والتصریر - وقال ابوحیان الاول مطلق والثانی مقید - وقرئ ومهلهم رویدا - والله اعلم وعلمه اکمل واتم - ثم تفسیر هذه السورة فالحمد لله رب العالمین والصلوة علی محمد رسول الله خاتم النبیین وعلی اله الطیبین واصحابه الظاهرین

سورة الاعلی تسع عشرة آیة مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم

سبح اسم ربک الاعلی - ای نزهه عن النقائص والعیوب قال ابن عباس رض صل باسم ربک العظیم - کما تقول ابدأ باسم ربک العظیم - وانما قال ذلک لان التسبیح قد یکون بمعنی الصلوة والذکر کما روی ان عمر رضی الله عنه جلد رجلین سبحا بعد العصر ای صلیا ومنه قول الاعشی -

وسبح علی حین العشیات والضحی ولا تعبد الشیطان والله فاعبدا

یعنی الصلوة بالصباح والمساء وعلیه قوله فسبحان الله حین تمسون وحین تصبحون - ای یأمرهم الله تعالی فی هذین الوقتین - والمشهور فی التسبیح هو التنزیه امر الله سبحانه نبیه صلی الله علیه وسلم ان ینزهه تعالی عما لا یلیق بشانه فلا یجوز ان تدخل الا بالاسماء

التي وردا التوقيف بها فيجوز أن يقال انه كليم ولا يجوز أن يقال انه ناطق فقس على هذا اثر التنزيه على اقسام الاول تنزيه ذاته تعالى عما لا يليق بها - فهو لا يخصل الا في مرتبة الاحدية لان الذات في هذه المرتبة منزهة عن كل شان واعتبار واسم وصفة فلا يطلق في هذه المرتبة انها باطنة او ظاهرة وسميت هذه المرتبة عند الصوفية مرتبة اللاتعين والثاني التنزيه باعتبار وحدته عن اعتبار الكثرة وهي عبارة عن اتصافها بجميع الاسماء والصفات وهو التعين الاول عند اهل الحقائق - والثالث هو التنزيه باعتبار الالوهية تعالى وفي هذه المرتبة تنزه ذاته تعالى عن الصفات الاضافية كالخلق والتكوين مثلا وسميت هذه المرتبة بالواحدية والرابع هو التنزيه عن الصفات الامكانية كالجوهرية والعرضية والجسمية وعن كون ذاته مكانية وزمانية وغيرها ومعناه ان يعتقد بان صفاته الحقيقية كلها ازلية ليست بمحدثة ولا بمتناهية ولما جمع اجمالي في المرتبة الالوهية والخامس هو التنزيه باعتبار الاسماء اي لا يطلق عليه تعالى اسم لم يرد في الشرع - بل يجب ان يقف على اسمائه التي نطق بها الشرع واختلفوا في ان الاسم هل هو عين المسمى والتسمية ام لا - قال بعضهم ان الاسم هو المسمى ولا شك انه غير التسمية وقال بعضهم هو غيره ولا شك انه هو التسمية وقد يكون بعضهم قد يكون عين المسمى كقولنا الله تعالى انه ذات موجود وقد يكون غير المسمى كقولنا انه خالق ورازق فانهما يدلان على الخلق والرزق وكل واحد منهما غير ذاته وقد يكون لا هو

والاخبار كقولنا انه قادر وعالم فانهما يدلان على قدرة وعلم
ومنشأ كل واحد منهما هو ذاته تعالى - فالامر بالتسبيح يتعلق بالاسم
فالمسمّى عند من ذهب الى عينهما ويتعلق المسمّى عند من ذهب
الى غيريتهما - ويتعلق بها من جهتين مجازيتين عند من ذهب
الاهي عليه والاهي غيره ويفصيل هذا المسئلة مرّ مضى في سورة
واما قوله الاعلى فمعناه انه الاعلى باعتبار
من كل شئ او باعتبار
اعلى باعتبار القدرة والصفات
وكل ممكن فطرفاه
جائز الرجوح لامرجح
للّا ان يكون واجبا للرجحان جانب وجوده
محتاجا اليه بامكانه
اعني من المحتاج - وكذا
الواجب تعالى - انما
قيام العالم
وهو باطل
بحسبها
لو عاد الله تعالى
في موضعه وهو باطل
بعدا مجردا عن المادة والصورة
السطح الظاهر من الجسم المحوي وكل واحد منهما باطل اما الاول فلانه

لو وجد البعد مجردًا عن المادة لكان له غناء من كل وجه فلا يجوز
ان يكون محلًا لشئ اذ لو كان محلًا لبطل غناءه وبينا في تجرده بطلان
يكون المكان بعدًا مجردًا - واما الثاني فهو ظاهر البطلان بالنسبة
الى الله تعالى - لانه يلزم به جسميته وكونه في جهة وزمان - قال الامام
الرازي ان المكان بهذا المعنى اما ان يكون متناهيًا واما ان يكون
غير متناهٍ فعلى الاول ان يكون فوقه متعاليًا من الباري تعالى - فلا
يكون الاعلى من كل شئ من المكان - وعلى الثاني فالقول ببعدٍ
غير متناهٍ محال - اما الثالث فان معنى قولهم انه تعالى - اعلى باعتبار
المكان هو ان مكانه اعلى من جميع الاماكن وهذا القول يستلزم
ان يكون له مكان فيلزم كونه مكانيًا وهو باطل لانه لو كان مكانيًا
لكان محتاجًا الى المكان لان المتمكن يستحيل ان يوجد بدونه فيلزم
ان يكون الباري ممكنًا وهو باطل - والرابع لو كان مكانيًا فهو اما
ان يتمكن في بعض احياز المكان او يتمكن في جميعه وكلاهما باطل
اما الاول فلتساوي الاحياز في انفسها فلو حصل في بعضها دون بعضٍ
لزم الترجيح بلا مرجح - وهو باطل ولو حصل في جميع الاحياز يلزم
تداخل المتحيزات لان بعضها مشغول بالاجسام سوى الواجب تعالى
وتداخل المتحيزات باطل وايضًا يلزم مخالطة الواجب تعالى بالقاذورات
تعالى الله عنه فثبت ان الواجب تعالى ليس له مكان روي انه لما نزل
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعلوها في ركوعكم ولما نزل سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى - قال اجعلوها
في سجودكم - وكانوا يقولون في الركوع الهي لك ركعت وفي

السجود للّٰهم لك سجدت ثم الاعلى يجوز ان يكون صفة لربك وان يكون صفة لاسم فيكون منصوبًا - الّذي خلق فسوّى - صفة اخرى والّذي قدّر فهدى - اى خلق الموجودات فسوّاها والمراد بالتسوية ان الله تعالى اوجدها على حسب ما يقتضيه علمه وارادته ولم يترك شيئًا من نظامها واتقانها فسوّاها على شان منتظم ونهج بديع وقدّر احوالها فهدى اليها - قال الفرّاء اى قدّر فهدى واضلّ - اى قدّر منافع كل مخلوق ومضارّه ثم هداه الى اكتساب تلك المنافع والاجتناب عن تلك المضرات - قرأ الجمهور قدّر مشدّدة وانكسائى مخفّفة - فعلى الاول يكون المعنى انه تعالى قدّر كل شئ على مقدار معلوم فهداه اليه - وعلى الثانى يكون معنى قدّر ملك والملك يلزمه التصرف فيكون المعنى تصرف فيه على ما شاء فهداه الى منافعه ومصالحه وهذا المعنى يتناول كلّ مخلوق - وقال الزّجاج خلق الانسان مستويًا اى معتدلًا فى كلّ خلق وقوة - كما قال الله تعالى الّذي خلقك فسوّاك فعدلك - فالمراد بالتسوية انه جعل قامته مستوية معتدلة واعطاه حسنًا وجمالًا وصورة ومعنى حسن الصورة تناسب اعضائه وتناسق اجزائه واحسن المعنوى تزيينه بالعقل والشعور والقدرة والارادة فبهذه الفضائل الجليلة والوصف الجميلة حصل له الكرامة والفضيلة على كثير من المخلوقات ولذلك قال كرّمنا بنى آدم على كثير ممن خلقنا واعلم انّ هذه الآية مع الآيتين تتناول كثيرًا من الفوائد - قال الامام الرازى وتفصيل هذه الآية مما لا يفى بشرحه المجلدات - والّذي اخرج المرعى فجعله

غُثَاءً أَحْوَى - قال الفرّاء اذا صار النبت يبساً فهو غثاء والاصل فيه ان الغثاء بالضم والمدّ ما يحمله السيل من القمش وكذلك الغثاء وهو ايضا الزبد والقذى وحدّه الرياح وقال الزجاج الغثاء الشيء البالي من ورق النبت الذي اذا خرج السيل رأيته هنا لك مزبدة - ومنه قول امرئ القيس

كان ذرى رأس المجيمر غدوة ... من السيل والغثاء فلكة مغزل

وأحوى من الحوّة ومعناها سواد الى الخضرة - وقيل حمرته الى السواد وهذا قول الاصمعي - ومنه قول ذي الرمة -

ظباء في تشليه حوّة لعس ... ني الثنايا وفي أنيابها شنب

وقال ذهير بن ابي سلمى -

فقان نسيا حوّة إذ تباشرت ... بنفرة نستاسل نفربان حوّ مسائله

لتساوي لونه - والمستأسد ما طال من النبات والقرمان محاري الماء الى الرياض - ومعنى انه تعالى اخرج المرعى في النضارة والخضرة ثم جعله غثاء - ان سأل سائل ما وجه قوله من العتق والقدم - ثم يقلبه ثم يخرجه ... ان يجعل الكلام بعضه على بعض والمعنى اي اسود لان الغثاء - فاول ما يبدأ ... ثم يصير اسود وانشد ابو زيد الاحمري - وسود ... على الدهر ... ولم يك ... الا من المرعى واجعل الثاني صفة الاخضرار كقوله ... - سنقرئك - قال المفسرون ان الامر بالله سبحانه قول له سنعيذك الا تنسى الا بالقراءة فنسخ الله ذلك بان القراءة تاتيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحاف

في نفسه حين ينزل عليه القرآن من نسيانه وكان يتعجل
في القراءة كما يلوح لك من قوله تعالى - لا تحرك به لسانك لتعجل
به - واسئل الله سبحانه هذه الآية تبشير الرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى انك يا محمد لا تتعجل بالقراءة فانا سنقرؤك ما نوحي اليك
بعد فراغة جبرئيل عليك او نجعلك قارئا بالهام فلا تنسى قط ولما
كان النسيان صفة ردية نفاها الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم
وقال - فلا تنسى الا ما شاء الله - قال الامام الرازي - قال الكلبي
انه عليه السلام لم ينس بعد نزول هذه الآية قط - وقال ان هذا
الاستثناء غير حاصل واذكر انه قال الفراء انه تعالى ما شاء ان
ينسي محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان المقصود من ذكر
هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يجعله ناسيا لقدر على
ذلك كما قال ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا
لا نجد لك به وكيلا الا رحمة من ربك - وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم
لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك
البتة - وبالجملة فالمقصود من هذا الاستثناء ان الله تعالى عرفه ان
حتى يعلم ان عدم النسيان من فضله واحسانه لا من قوته ونفسه
ومن ههنا قال الله تعالى - وانا له لحافظون - واذا كان الامر
كذلك فحفظه لا يجوز ان ينساه رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد كقوله سنقرئك فلا تنسى - وقال واغرغن ذنبك واستغفر
لذنبك كما يقول الرجل لصاحبه انت سهمي فيما املك فلا سهم
له ولا نصب - سنقرئك فلا تنسى وهي من اسنعمال العرب يقول احدهم

انتهى وهذا قول جماعة من النحويين - وقال بعضهم ان لا تنس للنهي والالف فيه للفاصلة - قال ابو حيان وهذا القول ضعيف - اقول ومثل هذا موجود في القرآن - كما قال الله تعالى - فاضلوا السبيلا وهذه قراءة عاصم وحفص - فما قال ابو حيان باطل - قال البيضاوي وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه عليه الصلوة والسلام اسقط اية في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها - انتهى قال الزجاج الا ما شاء الله ان ينسى فانه ينسى ثم يتذكر بعد ذلك فلا ينسى نسيانا كليا دائما - انه يعلم الجهر وما يخفى - اى ما ظهر من احوال الكون وما بطن - او المراد انه يعلم ما تجهر بالقراءة مع جبريل عند خوف التفلت وما تقرأ في نفسك ويعلم الذي يعدك اياه مخافة ان ينسى الذي انزله الله اليك - فمن هو موصوف بهذه الصفة قادر على حفظه في نفسك - وهذه الاية تدل دلالة باهرة على انه تعالى عالم بالجزئيات سواء كانت منشخصة في الخارج او في الذهن وذلك لانها معلولة له تعالى - وان كانت معلوليتها بالوسط كما ذهب اليه الفلاسفة - ونيسرك لليسرى - حكى عن سيبويه ييسره اى وسع عليه وسهل والتيسير يكون في الخير والشر فنيسرك لليسرى - فهو في الخير - وقيل التيسير الموافق اى وفقه للخير - وقال الفراء التيسير العود الى العمل الصالح - ان قال وان قال وانا لا كيف كان نيسر للعسرى - وهل في العسر تيسير - اقول هذا كقوله تعالى وبشر الذين كفروا بعذاب اليم فالبشارة في الاصل الفرح فاذا جمعت في كلامين احدهما خير والاخر شر حاز التيسير فيهما والمبشر به يسر

قال ابن سيده هذا قول اهل اللغة - قال سيبويه اليسرى من المصادر التي جاءت على لفظ مفعول ونظيره المعسور - وقيل معناه نوفقك للطريقة التي هي السير واسهل في حفظ الوحي - وقيل للشريعة الحنيفية السهلة - وهو عطف على قوله - سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر فجملة معترضة - فذكر - بعد ما استبنت لك الامر - ان نفعت الذكرى هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله تعالى - وما انت عليهم بجبار - ولذا لم تاتي صحيحة - واستبعاد تاثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا امكن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى - وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شأنه اراءة الطريق والمراد به تبليغ ما انزل الله عليه فلما بلغ هو الاحكام المنزلة واهداهم الى الجادة السوية زاد فيهم الحرص والاستكبار فحينئذ لا ينفعهم هدايتك ولا يفيدهم رشادتك ومع ذلك ان ترجو هدايتك فيهم - فذكر ان نفعت الذكرى وقال قطرب وهو من تلاميذ سيبويه ان ان بمعنى قد اى فذكر قد نفعت الذكرى اذ به يحصل ايمان كثير من الخلائق فلا يجوز ذلك ان تقتصر على ايمان من امن اذ النبي مأمور بالتذكير مطلقا وعلى هذا الرأى يكون المعنى عظ يا محمد نفعت ذكراك او لم تنفع سيذكر من يخشى - من عذاب الله في اليوم الاخر فانه يطيعك بذكراك - ويتجنبها - اى الذكرى - الاشقى الذي يصلى النار الكبرى - اى في الطبقة الهائلة من النار - قال عليه

الصلوٰة والسلام هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم - ثم لا يموت فيها - فيستريح - ولا يحيىٰ - حياة تنفعه - قد افلح من تزكىٰ - اى من تطهر من الكفر اوكثر من التقوى - فنال الفوز والفلاح - وقيل المراد بالتزكى صدقة الفطر او الزكوٰة وقيل المراد بالتزكى هو التطهر عن الشرك - وذكر اسم ربه فصلىٰ - قيل اى صلىٰ صلاة عيد الفطر - هذه الآيات تدل على وجوب صلوٰة عيد الفطر وصلوٰة عيد الاضحىٰ لان الفلاح معلق على اداتهما - والمراد بالذكر تكبيرات صلاة العيد - ويحتمل ان يقال ان الفلاح موقوف على حصول طهارة القلب عن الشرك وذكر الله والصلوٰة ومتى اجتمع هذه الاشياء حصل الفلاح بل انتم تؤثرون - يا ايها الكفرة - الحيوٰة الدنيا على الآخرة مع ان الدنيا فانية - وجهنم اساس كل خطيئة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - الدنيا جيفة وطالبها كلاب - والذين يعملون لها يستأنسون فهم في سكر الكلاب ليس لهم حظ من العقل والشعور ثم محروسون من نعيم الآخرة - ولذلك امر الامام المهدى الموعود بالصلوٰة وترك بغض الدنيا ومتاعها فمن تركها وودعها وعاش في التعب الرحيم فقد اجتلب النعمة الابدية وبقي في رضاء الله ورحمته الله اعلم بحقيقته والآخرة خير وابقى - فان نعيمها ملذ بالذات خالص من الغوائل - فلا انقطاع له - ان هذا لفي الصحف الاولىٰ - اى ذكر البعث والنشور وقيل قوله تعالىٰ - قد افلح من تزكىٰ الخ - صحف ابراهيم وموسىٰ - بدل من الصحف الاولىٰ - تم تفسير هذه السورة بحمد الله رب العلمين - والصلوٰة على رسوله سيد المرسلين وعلى اله واصحابه الكاملين

سورة الغاشية وستون وآية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى - هل أتاك حديث الغاشية - قال بعضهم الغاشية من اسماء القيامة لانه يغشى الجن والانس بالاهوال والشدائد - وانما ابتدأ احنا بهذا لاستفهام لان القيامة وان اعلمها الله رسوله عليه الصلوة والسلام لا كن اخفى اليها التصديقية واهوالها المحوفة كانت مخفية عليه فذكرها في هذه السورة وفي مواضع شتى من القران لاطلاع رسوله وامته وقيل هل بمعنى قد وقد ذكر بجزئه سابقا - وجوه يومئذ - اى يوم القيامة - خاشعة عاملة ناصبة شرح في اوصاف الاشقياء بان لهم ثلاث صفات الاولى الخشوع والمراد به الذلة والصغار - والثانية العمل والمراد به العمل الجسماني كجر السلاسل والاغلال المفضلة - والخوض معها في النار والصعود في تلالها وعقباتها - والثالثة نصبهم في غاية التعب وقيل معناه انهم يخشعون بحمل العذاب ويعملون في النار ما يعذبهم وقيل ان المراد بهؤلاء هم العباد من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس والمعنى انها خشعت الله تعالى وعملت الاعمال الصالحة ونصبت فيها الصوم الدائب واتعبها الواصب الا انهم لم يوحدوا الله تعالى بل اشركوا فيه ولم يعبدوا الله تعالى بل عبدوا الماء وسوست اليه اهوائهم الزائغة فجعلوا له اندادا فلا جرم ان لا منفعة من تلك

العبادات الشاقة تصلی نارًا حامیة - قرأ ابو عمرو ویعقوب وابوبکر تُصْلَیٰ من اصلاہ اللہ - وقرأ بالتشدید مبالغة ای تدخل نارًا صفتها انها متناهیة فی الحر والاحراق یقال حمیت النار حمیًا اذا اشتد حرها - تسقی من عین آنیة - یقال انی الماء اذا سخن وبلغ فی الحرارة ویقال آنی الحمیم ای انتهی حره فیکون معنی عین آنیة متناهیة فی شدة الحر ای تسقون من عین - لها فی الحر نهایة - لیس لهم طعام الا من ضریع - الضریع نبات اخضر منتن خفیف یرمی به البحر واله جوف وقیل هو یبیس العرفج وقبل ما دام رطبا فهو ضریع اذا یبس فهو الشبرق وهو مرعی سوء لا تعقد علیه السائمة ولا تسمن فیها شحمًا ولا لحمًا قال الفراء الضریع نبت یقال له الشبرق واهل الحجاز لا یسمونه الضریع اذا یبس - وقال ابن الاعرابی الضریع الهشیم الرطب فاذا جف فهو هشیم فاذا ذوی فهو الحریز وذهب بعض اهل اللغة الی ان الضریع النبت الخبیث قال قیس بن عزارة الهلالی یذم قومًا ویصف مرعاها -

لا یسمن فی حزم الضریع ذکاؤها حدباء دامیة الدفین حرود

ویجوز ان یکون الضریع شجرة ذات شوک یقال لها الشبرق - وقال بعض المفسرین الضریع طعام اهل النار وهذا لا یعرفه العرب - لا یسمن - ای لا یبرئ من ذلک الضریع السمن بل یولد الهزال فی البدن - ولا یغنی من جوع ای لا یسد الجوع وقال اهل التفسیر ان الکفار قالوا ان الضریع لتسمن علیه الابل فقال الله تعالی لا یسمن ولا یغنی من جوع وقیل المراد بالجوع اضطرارهم عند اضطرام النار فی ابدانهم واحتراقهم

في يحتاجون بل يضطربون الى شئ يطفى هذه النار والصحيح ان الحمل على الحقيقة اولى - واعلم ان الله تعالى شرع بعد احوال الاشرار احوال الاخيار فقال وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ - اى يوم تعشى الناس هول القيامة - نَّاعِمَةٌ - اى ذات بهجة وبهاء من نضارة النعيم كما نال الله سبحانه تعالى - تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ لفضل الله تعالى ولطفه - ومنه قول زهير -

وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُونَ مَتْنَهُ عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ

لِّسَعْيِهَا - اى لسعيهم فى الدنيا وهو تزكية انفسهم وتصفيتها بالمجاهدات النفسانية والرياضات المتعبة فى الاعمال الصالحة - رَاضِيَةٌ فى الاخرة لتوفير ثواب اعمالهم وحسن جزائهم - فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ باعتبار الشرف او باعتبار المكان لان فى الجنة درجات بعضها فوق بعض لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً - قرأ الجمهور بفتح الفوقانية - ونصب لاغية وقرأ نافع لا تُسْمَعُ على البناء للمفعول ورفع لاغية والتقدير لا تسمع الساقط قال الفراء والاخفش لا تسمع فيها كلمة لغو - وقال مجاهد هو الشتم - وقال الفراء ايضا واراد بالنفى الكذب اى لا تسمع فيها حالفا يحلف بكذب - قال المفسرون ان كلام اهل الجنة ذكر وثناء على الله تعالى على ما رزقهم بالتعيم لا بلغو ولا بمعصية بكلام ليس فيها حكمة ومصلحة - قال ابن عباس لا تسمع فيها اذى ولا باطلا - فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ - اى فيها عيون كثيرة لان لفظ العين يدل على الكثرة - واطلاقها للذهاب الوهم الى كل شئ من المياه واللبن والشراب - فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ - اى عالية

مرتفعة السمك حتى يبلغ الجالس بها فى اى مكان يشاء - وأكواب جمع كوب وهو الكوز قال الفراء الكوب الكوز المستدير الرأس لا اذن له قال عدى بن زيد -

مُتَّكِئًا تَصْفِقُ اَبْوَابُهُ يَسْعَى عَلَيْهِ الْعَبْدُ بِالْكُوبِ

وقال آخر

يَصُبُّ اَكْوَابًا عَلَى اَكْوَابِ تَارَّةً مِنْ مَّائِهَا الْجَوَانِبِ

مَوْضُوْعَةٌ - على مافات العيون فى غاية النظام ليست كبيرة ولا صغيرة بل هى متوسطة بينهما - وَنَمَارِقُ - النمرق والنمرقة والنمرقة بالضم والكسر الوسادة وقيل وسادة صغيرة وربما سموا النطفسة التى هى فوق الرحل والجمع نمارق قال محمد بن عبد الله بن عبد القيس

اِذَا لِبِسَاطُ الْهَوْ مُدَّ وَقُرِّبَتْ لِلذَّاتِيَةِ اَنْمَاطُهُ وَنَمَارِقُهُ

وقال الفراء هى الوسائد واحدها نمرقة بضم النون وكسرها ومنه قول زهير

كَهُوْلٍ وَشُبَّانٍ حِسَانٍ وُجُوْهُهُمْ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوْفَةٍ وَنَمَارِقُ

وفى حديث هند زوج ابى سفيان -

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمْشِى عَلَى النَّمَارِقِ

مَصْفُوْفَةٌ - بعضها مع بعض - اينما يريد الجالس يجلس مع وسادة ويستند الى الاخرى - وَزَرَابِيُّ - وهى جمع زربية ويراد بها كل ما يبسط ويتكئ عليه - وقيل هى الطنافس - وقال الزجاج الزرابى البسط - وقال الفراء هى الطنافس لها خمل رقيق وروى عن المؤرج ان زرابى النبت اذا اصفر واحمر وفيه خضرة - وقال ابن زيد فلما

راوا الالوان في البسط الفرش شبهوها بزرابي النبت وكذلك العبقري من الثياب والفروش مبثوثة اي مبسوطة كل منزل ومكان في غاية الحسن والبهاء - واعلم ان هذه الايات تمثيل وتشبيه للاشياء التي وجدت في الدنيا وطبائع المخاطبين مستأنسة بها لان التحريص لاحد لا يكون الا في شيء يراه ويميل اليه ولا يمكن ان يحصل له وكذلك المخاطبون كانوا يرون هذه الاشياء في قصور السلاطين والامراء ويتمنونها ولا يحصلونها فبقوا في لواعج اشتياقها مضطربين - وكذلك الاحاديث الصحيحة التي ثبت بها نعم الجنة ونضرتها من هذا القبيل - والحق ان نعيم الابدي الذي اعده الله للمؤمنين شيء فوق المخائل والخطران بل لا يعقله المعقول - افلا ينظرون الاستفهام للتقريع والتوبيخ والمراد به المنكرون لقدرته التامة في ايجاد المخلوقات التي تنطوي بعجائب الحالات وغرائب الصفات والنظر هو التامل في الشيء لادراك ما فيه من خواصه - من المنافع والمضار فمن تامل في مخلوقه وتفكر في ملكه وملكوته راى عجائب قدرته وبدائع حكمته على حسب فهمه وادراك عقله - الى الابل كيف خلقت الجملة في محل الجر لانها بدل اشتمال من قوله الى الابل - واختلف في معنى الابل - قال المبرد الابل في هذه الاية هي القطع العظيمة من السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذا تاتي ارسالا كالابل وتزجى كما تزجى الابل وهي في هيئتها احيانا تشبه الابل وروى عن ابي عمرو وابي جعفر والكسائي وقالوا انها السحاب رووا ذلك عن قوم من اهل اللغة - قال صاحب الكشاف وانما راى المبرد السحاب مشبهة بالابل

وفي نسخة الواو والنون في وخلقت وفي نسخة بدون الواو

لانہ کان کثیرًا فی اشعارھم فجوّز ان یرید بھا السحاب علی طریقۃ التشبیہ والمجاز انتہی۔ اقول والذی ذھب الیہ ابو العباس المبرّد بان المراد بالابل السّحاب مناسبٌ لقولہ تعالٰی الّذی بعدہ وھو الی السّمآء کیف رفعت۔ لانّ بینھما ادنیٰ تناسبًا وتناسبًا باعتبار کونھما فی جھۃ العلو ولیس ذلک التناسب اذا اُرید بھا الجمال۔ والغرابۃ الکائنۃ فی تکوّن السحاب وفی ایداع خلقہٖ ظاھرۃٌ لاخفاء فیھا اذ لو لا خلق اللہ السحاب لبطل المخلوق الذی لہ الماء کالغذاء الابل کالروح کالنبات والنجم والشجر والزرع والحرث وفی عالم النبات فی عالم الحیوان والانسان۔ وقال اکثر المفسرین المراد بالابل الحیوان المخصوص الذی یحبّہ العرب انا نشھر وذکرانھم شبابھم وکھلھم۔ وفوائدہ غیر خفیّۃ۔ قال الامام الرازی الاولی منھا ان الابل من الحیوانات التی یوکل لحمھا۔ والثانیۃ انّ لبنھا قابلۃ للشرب والثالثۃ انّھا طائعۃ للرکوب فی الحروب والاسفار والرابعۃ انھا موضوعۃ لحمل الاثقال والاوقار والخامسۃ انھا تصبر علی العطش علی خلاف اکثر الحیوانات والسادسۃ انّھا تاکل من العلوفات التی لا تاکلھا کثیر منھا۔ والسابعۃ انّھا یھتدی الضالّین الی الطریق والثامنۃ انّھا منقادۃٌ للراکب وان کان ضعیفًا کالصبی فانّہ یقدر علی ان یجرّھا بخطامھا من حیث تشاء۔ وروی عن بعض الحکماء انّہ حُدّثت عن البعیر وقد نشأ فی بلادٍ لا ابل فیھا فتأمّل وقال لابدّ ان تکون طوال الاعناق فھذہ الصفات الکثیرۃ النافعۃ لا توجد فی کثیر من الحیوانات۔ ثم الابل امّا ان تکون حلوبۃً او رکوبۃً

او تواضحا وحمولة - وهذه الخلال الاربع توجد فيها ولا توجد في غيرها فهي انفع الحيوانات بهذه الوجوه وهي اسم جمع لا واحد لها وحكى سيبويه ابلون قال لان ابلا اسم لم يكسر عليه وانما يريد قطيعين - قال ابو الحسن انما ذهب سيبويه الى الايناس بتثنية الاسماء الدالة على الجمع فهو يوجهها الى لفظ الاحاد ولذلك قال انما يريدون قطيعين - واقل ما يقع عليه اسم الابل الصرمة وهي اثنى جاوزت الواحد الى الثلاثين ثم الجمعة اقلها الاربعون الى ما زادت ثم هنيدة وهي مائة من الابل - والى السماء كيف رفعت - اى رفعا بعيدا ابلا امساكها وعمدها وما فيها من عجائب الملك الملكوت التي يتحير بها ناظرها - ولا يدرك ما فيها من بدائع صنعه وحكمته ومناظر غرائب خلقه وقدرته سوى ان يعترف بجلال كماله وعظمته وهكذا في كل سماء من السموات من العجائب والفوائد التي لا يحصرها عقول العقلاء كفوائد الشمس مثلا فانها ينبوع الحرارة والضياء ومبدأ احياء النباتات والحيوانات وبها يظهر النهار حين ما تقع اشعتها على نصف كرة العالم - ويرخي الليل سدوله حين ما تغيب تلك الاشعة والاضواء عنها - وبحصل من سيرها في المنازل المعتدلة الفصول الاربعة اعني الربيع والصيف والخريف والشتاء وغيرها من الفوائد الشاملة والمنافع العامة التي لا تحصر اكثرها وكذلك كل كوكب من الكواكب له فعل خاص ينتفع به اهل الارض كما بين في الطبعي والنجوم - ولا نريد بهذا البيان ان هذه الاجرام العلوية تفعل افعالا مستقلة بانفسها لان هذا قول شنيع ومذهب

بحثت بل نريد بها انها الآت تصدر منها صنائع قدرة الله وحكمته على ما يشاء مشيئة وارادته لان جميع الممكنات مستندة اليه باعتبار مدبراته الذين هم الملائكة وهذه الاشياء الآتيهم بها تصدر الافعال باعتبار الظاهر - واليه اشار الله سبحانه فالمدبرات امرا - وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ - اى نصبا ثابتا انها راسخة لا تميل ولا تنزول - ثم الجبال وهى ارتفاعات وهى سطوح الاجزاء الصلبة من الاراضى المختلفة - ترى عالية من سطوح الاراضى المنخفضة ولا يوجد الاستواء فيها لوجود التلال والربوات المرتفعة ويوجد فى بعضها سهول عظيمة وغابات جبلية - وسطوح هذه السهول ربما تكون محددة بوادية كثيرة محدودة بتلال مهابطها تنبت فيها نباتات مختلفة وخمائل متنوعة وهذه التلول تاخذ فى الارتفاع تدريجا حتى تقرب لان تكون عقبة عظيمة تخفى فى اقطار السحاب من الجو - ثم ان الجبال اما ان تكون على سطح الارض مجتمعة او مسلسلة او منعزلة - فالمجتمعة تظهر على هيئة ارتفاعات عظيمة مطبقة فى محل واحد وينبعث من تلك العقبات اطراف حادة مرتفعة جدا ومن قاعدتها سلاسل جبال تمتد الى مسافات مختلفة - والجبال المتسلسلة هى التى لا تنقطع سلاسل عقباتها الواقعة على اراضى بعيدة والمنعزلة هى اطواد متباعدة بعضها من بعض وهى سلاسل متوازية او متقاطعة تقاطعا ضليبيا وتفصيل الكلام فى هذا الباب لا يليق بهذا المقام وفوائدها جمة منها جرى الانهار المتنوعة بمياه حارة وباردة على اقسام مختلفة - ومنها حدوث نباتات كثيرة فى سطوحها

وبيان اطوار الجبال

واطرافها - ومنها حدوث الاحجار والبراري ومنها الشجار عظيمة تصلح
من اصول افنانها اهوية مفسدة لانها تجذب الى انفسها مواد فاسدة
ومنها حدوث العقاقير النافعة والنباتات الصالحة التي استعملها
الاطباء في معالجاتهم - ومنها سطوح التلوج التي تجري في فصل
الصيف كالادوية - ومنها العيون والينابيع النابعة في اصولها وفروعها
ومنها تكون المعادن تحتها وغيرها من الفوائد التي ذكرها اهل طبقات
الاراضي والمعادن - وَاِلَى الْاَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ - بعد ما دحاها الله
تعالى على صورة السطح الكري - قال اهل الهيأة والنجوم انّ التضاريس
النابتة في سطوحها لا تخرجها عن كرويتها لعدم اعتدادها بالنسبة
الى هذه الكرة العظيمة - وهي ليست على طبيعة واحدة بل هي مركبة
بطبائع كثيرة يوجد اختلافها بعد التجربة والمشاهدة واليه اشار
النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال انه تعالى قبض من جميع الارض
سهلها وحزنها فخلق منها فلانا يأتي بنوه اخيافا - اي مختلفين في
الهيئات والاشكال والالوان والاحوال ولذلك ترى فيهم قوى
متبائنة مستعدة لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات - وقد وقعت فيها تقلبات كثيرة وتغيرات
مرة بعد اولى وكرة بعد اخرى وربما تعرف تلك التغيرات بكونها غير
مسطحة باعتبار الحقيقة وباحوال الكهوف والمغارات - قال اصحاب
الطبقات انّ الارض كلها في الابتداء سائلة ثم جمدت باسباب
خارجية كتموج الاهوية مثلا ذكر الشيخ الرئيس ابن سينا في الشفاء
انّ للارض ثلاث طبقات - منها طبقة تميل الى محوضة الارض وهي

وفي بيان احوال الارض

الارضية الاصلية - ومنها طبقة مختلطة من الاراضي الاصلية ومن الاجزاء النباتية والحيوانية والمائية وتسمى طبقة طينية - ومنها طبقة مدكشفة عن الماء مجاورة من الهواء وهي ممتزجة اشد امتزاجا من الموالية الثلاثة وهي منبت النبات ومقر الحيوانات - هذا ملخص ما ذكره الشيخ وليس هذا مقام التفصيل - وكل هذه الاشياء تدل على ان صانعها هو العليم الحكيم القادر على ابداع مثل هذه المخلوقات فمن تفكر فيها وتامل في عجائبها وحادث نفسه في احوال ابداعها اهتدى الى ان يعترف ان للعالم صانعا حكيما عليما خلق الاشياء على ما اراده وكونها على ما شاءه - فذكر - ابداع هذه الاشياء لانها دلائل على صنعته - انت مذكر - فانك لست هاديا بل بعثت ناصحا ومذكرا - فذكرهم من المواعظ والشرائع واحوال المعاد واهواله لست عليهم - اى على الناس بمصيطر - والمصيطر بالصاد والمسيطر بالسين المسلط على الشئ ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر - لان الكتاب مسطر - وقد تقلب السين صادا لاجل الطاء وقال الفراء في قوله تعالى ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون كتابتها بالصاد وقراءتها بالسين - وقال الزجاج هم الارباب المسلطون - وقال الليث هو الرقيب الحافظ على الشئ - وقرأ هشام بالسين على الاصل - وحمزة بالاشمام - والمعنى لست عليهم بمسلط بان توصلهم الى الهداية والارشاد اكراها وقسرا انت لست منصوبا على هذا المنصب بل بعثت لاراءة مناهج الهداية وتبليغ ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام ومثله قوله تعالى - انا انت

تكرهوا الناس حتى يكونوا مؤمنين - قال اكثر المفسرين انها منسوخة بآية القتال وهو ليس بصواب لان القتال لم يشرع للاكراه على الايمان بل للدفاع عن حوزة الاسلام وقت الضرورة ولنعم ما قال نهير ابن سليمان المعنى ومن لا ان ادع حوضه ليسلاجه ؛ يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

الا من تولى وكفر - الا استثناء ومنقطع - اى لاكن من تولى عن الحق وكفر بالله ورسوله - وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتالهم تسلط عليهم وكأنه اوعدهم بالجهاد - فيعذبه الله العذاب الاكبر - هو عذاب الاخرة قيل والمراد به هو العذاب في الدرك الاسفل من النار - وقرئ الا من تولى بحرف التنبيه قيل وهو ابن عباس رضى الله عنه وزيد ابن علي ان الينا ايابهم - قدم الجار والمجرور لافادة الحصر - قرأ الجمهور ايابهم بتخفيف الياء مصدر آب يؤوب - وقرأ ابو جعفر بتشديد الياء مصدر فيعل على وزن فيعال وهو قول الزجاج واصله ايواب فانقلبت الواو ياء ثم ادغمت الياء في الياء - وقال الفراء هو بتخفيف الياء والتشديد فيه خطأ - وقال الازهري لا ادري من قرأ ايابهم بالتشديد والقراء على ايابهم

ثم ان علينا حسابهم - اى يوم الحساب - وقيل يوم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد - وثم للتراخي وليس تراخيا زمانيا بل هو تراخ في الرتبة والله اعلم وعلمه اتم - تم تفسير هذه السورة فالحمد لله ذي الفضل والاحسان - وصلى وسلم على النبي الذي هو سيد الانس والجان - وعلى آله واصحابه الذين هم ائمة اهل الدين والايمان

سورة الفجر مكية وهي ثلاث وثلاثون عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفجر

والفجر - اى اقسم الله بالصبح او اقلاقه - وهو مثل قوله تعالى والصبح اذا تنفس - او بصلوة الفجر - والصبح قسمان - صادق وكاذب - اما الصادق فهو ياطلع فوق الارض اذا لقى من سير الشمس الى دائرة الافق اثنا عشر درجة من دائرة منطقة البروج - ونوره بيد وعريضا في الافق الشرقي نشر يترائد ساعة فساعة حتى يجلى دائرة الغبار - وقال بعضهم ان المراد به صلاة الفجر - وانما اقسم بها لان وقتها مبارك يجتمع فيه ملائكة الليل وملائكة النهار واليه اشار الله سبحانه ان قران الفجر كان مشهودا - وقال بعضهم هو الفجر من يوم النحر وقيل فجر ذى الحجة وقيل فجر المحرم - وقيل اراد بالفجر فجر العيون - وقيل فجر عرفة وقيل فجر عشر الاواخر من رمضان ذكر ابو حيان قيل والاظهر قول ابن عباس رض للحديث المتفق على صحته قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل في اواخر رمضان شد مئزره واحيا ليله - وايقظ اهله - قال التبريزي اتفقوا على انه العشر الاواخر من رمضان لم يخالف فيه احد لتعظيمه مناسب لتعظيم القسم وليال عشر - قال صاحب الكشاف والمراد بها عشر ذي الحجة انتهى لانها اوقات الفربات والكرامات وانما نكرها لانها مخصوصة بفضيلة وهي تحصل بالتنكير - والشفع والوتر - ذكر وافيها اقوالا - الاول هو

الذی روی عن ابی ایوب رضی اللہ عنہ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم الشفع یوم عرفۃ والاضحی والوتر لیلۃ النحر والثانی ما روی عن جابر رضی اللہ عنہ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم الشفع صلوٰۃ الفجر والوتر صلوٰۃ المغرب والرابع ان المراد بالشفع ھو المخلوق وبالوتر ھو الخالق - قرأ حمزۃ والکسائی الوتر بکسر الواو والباقون بفتحھا والیل اذا یسر - قسم بجنس اللیل ویسری معناہ یذھب ومثلہ قولہ تعالیٰ واللیل اذا ادبر - قال الاخفش وابن قتیبۃ - ان قولہ یسری مثل قولنا لیلۃ نائمۃ ونھارہ صائم - قیل ویراد بہ لیلۃ القمر قرأ الجمھور بحذف الیاء فی الوقف والوصل - وقرأ نافع وابو عمرو البصری بحذفھا وقفا واثباتھا وصلا - وقرأ ابن کثیر ویعقوب وابن محیصن باثباتھا فیھما - وذھب الخلیل الی اسقاطھا موافقۃ لرؤس الآیات - وقال الزجاج اسقاط الیاء احب الی من اثباتھا لانھا فاصلۃ - قال الفراء العرب ربما تحذف الیاء اکتفاء بکسرۃ قبلھا ھل فی ذلک قسم لذی حجر - الاستفھام لتقریر تعظیم القسم وفیہ نھایۃ تعظیم لمن یقسم بھذہ الاشیاء - قال الامام الرازی والمراد بہ التاکید - کمن ذکر حجۃ باھرۃ ثم قال ھل فیما ذکرتہ حجۃ والمعنی ان من کان ذا لب علم ان ما اقسم اللہ تعالیٰ بہ من ھذہ الاشیاء ففیہ عجائب ودلائل علی التوحید والربوبیۃ فھو حقیق بان یقسم بہ لان فیہ علی خالقہ انتھی - قال مقاتل ھل ھنا فی موضع جواب القسم تقدیرہ ان فی ذلک قسما لذی حجر - انتھی قال ابو حیان وھو قول لم یسبق الیہ ولم یصدر عن تأمل لانہ علی ھذا القول یبرأ من قسم بلا مقسم

عليه لان هذا القول المقدر لا يصح ان يكون مقسما عليه انتهى
والصحيح هو الذي ذكره الامام الرازي وهو الذي ذهب اليه ابو حيان
وهو قول صاحب الكشاف - قال الجمهور الحجر هو العقل وهو قول الفراء
ومنه قول الشاعر

فاخفيت مالي من صديق يقيني وانه لذو نسب داني الي وذو حجر

اي ذو عقل - والحاصل ان من كان ذو لب وحجر اذا تامل في هذه
الآيات ومعانيها اذ دجروا اعتبر بها وعلم ان الاشياء التي قسم بها الله
سبحانه وان كانت من ذكر ذاته لا كن فيها فوائد دينية ودنيوية
تحض البصير الحازم الخبير على شكره فيقر بربوبيته ووحدانيته
وينجي من ضلال نفسه وكفره الم تر كيف فعل ربك - الاستفهام
للتقرير والرؤية بمعنى العلم قيل ومنه قول زهير بن ابي سلمى -

الم تر ان الله اهلك تبعا وا هلك لقمان بن عاد وعاديا

قال الاصمعي وليس هذا الشعر من كلام زهير بل هو لصرمة الانصاري
وقد تكون بمعنى الرؤية بالعين - فعلى المعنى الاول تتعدى الى
المفعولين وعلى المعنى الثاني تتعدى الى مفعول واحد - والخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم - وقيل عام يتناول كل واحد من الناس وهو ضعيف
لان دليل الخطاب ياتي عن ذلك وهو اضافة الرب الى الكاف بعاد
ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد - وفي ارم اقوال
الاول ارم جد عاد الاولى - والثاني قال مجاهد وقتادة ارم قبيلة
قبل عاد ومنهم عاد - والثالث ان ارم اسم لبلاد عاد والرابع هو اسم
مدينة عظيمة لعاد كانت باليمن وهو قول الجمهور ثم اختلف فيها

وبيان ما وجد ان العماد والبيت في وجودها

فقال محمد بن كعب هي الاسكندرية - وقال سعيد بن المسيّب هي دمشق - واختلف القرّاء في عاد فقرأ جمهور القرّاء على الانصراف وارم بكسر الهمز وفتح الراء غير منصرف لسببين التانيث والعلميّة وذلك لانّه اسم القبيلة - وعاد وان كان اسم القبيلة الاّ انّهم جعلوها بمعنى الحيّ فمن قرأ منصرفا جعله عطف بيان او بدلا والحسن منع صرفه مضافا الى ارم وعلى هذا يكون جد القبيلة او مدينة وقرأ ابن الزّبير بعاد ارم بالاضافة بفتح الهمز وكسر الراء وهي لغة في معنى المدينة وقرأ الضحّاك منصرفا وغير منصرف وروي عن عباس رضي الله عنه ان قوله ارم فعلا ماضيا معناه بلى يقال رمّ العظم وارمّ - وحكي عن مجاهد ارمرما رمى هلك يهلك - هذا ما ذكره المفسرون والصحيح ان ارم اسم قبيلة كما مرّ واختلف في ذات العماد على اقوال الاول ما روي عن ابن عباس رض هي كناية عن طول ابدانهم ومنه رفيع العماد - بمعنى انّ قدودهم مشبّهة بالاعمدة يقال رجل عماد وعمدان اي طويل القامة وعلى هذا القول تكون ذات الياء صفة لعادٍ وهو قول المبرّد - وابي عبيدة والثاني معناه ذات البناء الرفيع المعمّد ومنه قول عمرو بن كلثوم

وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ عَلَى الْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا

والثالث قال الفرّاء انّهم كانوا اهل عمد ينتقلون الى الكلاء حيث كان لقربهم الى مناذلهم والرابع قال ابن زيد اعمدة بنيانهم اي ابنيتهم ذوات اعمدة - واذا كانت صفة لمدينة يراد بها اعمدة الحجارة التي بنيت بها - وذكر المفسرون انّها مدينة بناها

شدّاد ابن عاد لمّا سمع ذکر الجنّة و وصفها و کانت مزیّنة غایة التزیّن - و الیه اشار الله سبحانه التی لم یُخلق مثلها فی البلاد و کانت عاد فی قوّة و شکیمة لم یخلق مثلهم فی البلاد - و المعنی انّ قوم عادٍ لم یکن مثلهم فی البلاد فی القوّة و الجلادة و اسباب المعیشة و ذکروا انّه کان لعاد ابنان شدّاد و شدید فلمّا مات شدید خلص امر الحکومة لشدّاد فعلی امره فی الدنیا و استولی بحکمه علی ملوکها فطغی و استکبر فخضعت الجبابرة لسطوته و دانت العالقة کلهم لشوکته و عظمته - فسمع ذکر الجنّة و قال ابنی جنّة فی الدنیا التی لا یوجد فیها مثلها فبنی بستان ارم فی صحراء فسیحة من صحاری عدن و هی مدینة عظیمة قصورها من الذهب و الفضّة و عمدها من الزبرجد و الیاقوت و حصباءها اللآلی و جواهر و ترابها بادق المسک و غرس فیها اشجارا مثمرة ثمارها اطیب اجری الانهار التی کان ماءها احلی و اصفی و اعذب فلمّا تم تعمیرها سار الیها باهل ملکه فلما کان علی مسیرة یوم و لیلة بعث الله علیهم صیحة من السماء فهلکوا اجمعا هذا هو الذی ذکره اعاظم المفسرین کالطبری و صاحب الکشاف و الامام الرازی و من تبعهم و خالفهم اخرون کما ذکر ابن کثیر فی تفسیره انّ هذه المدینة تنتقل فتارة تکون بارض الشام - و تارة بالیمن و تارة بالعراق و تارة بغیر ذلک من البلاد - فانّ هذا کله خرافات الاسرائیلیین من وضع بعض زنادقتهم لیختبر بها بذلک عقول الجهلة من الناس ان صدّقوهم فی جمیع ذلک و قال و ذکر الثعلبی و غیره ان رجلا من الاعراب و هو عبد الله بن قلابة فی زمان

معاوية ذهب في طلب أبا عرّاله شردت فبينما هو يتبه في اتباعها اذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور ذو أبواب فدخلها فوجد فيها مما ذكرناه من صفات المدينة التي تقدم ذكرها وانه رجع فاخبر الناس فذهبوا معه الى المكان الذي قال فلم يروا شيئا قال وليس بصحيح اسناد هذه الرواية ولو صح فيمكن ان لقب ان ذلك الاعرابي فقد يكون اختلق ذلك او انه اصابه نوع من الهوس والخيال فاعتقد ان ذلك له حقيقة في الخارج - وذكر ابن خلدون في تاريخه وابعد من ذلك في قولهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة الفجر في قوله ارم ذات العماد فيجعلون لفظة ارم اسما للمدينة وصفت بانها ذات عماد اي اساطين وهكذا وكذا ذكر ذلك الطبري والثعالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها الى آخره وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شئ من بقاع الارض وصحاري عدن التي زعموا انها بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه منعا قبا والادلاء تقص طرقه - ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من مر - ولو قالوا انها دست فيما درس من الاثار لكان اشبه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان عادا ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم الى انها غائبة وانما يعثر عليها اهل الرياضة والسيمياء ومزاعمهم كلها اشبه بالخرافات - اقول ان الحديث الذي روي عن ابي قلابة رض موقوف غريب جدا ان ثبت اسناده اليه فلا يفيد الا الظن بعد كون رواته عدولا اولى ثقة

ومثل هذا الحديث يجب أن لا يكون مخالفًا للدراية ان كان من باب المعاملات والاخبار والقصص وكذا لا يكون مخالفًا لما ثبت من الدلائل العقلية القاطعة - فاذا كان الخبر الواحد على هذه الصفة يحتج به والا فلا - والاعتناء بأنتقال هذا البلد من موضع الى موضع يخرجه من الضعف الى الوضع والاختراع - واخفاؤه لكونه غريبًا في الصنعة باطل لان كل شئ فان ذلك البلد ونمقه هو الذي خلقه الله تعالى وكل شئ من هذه الاشياء ظاهر غير خفي عن اعين الناس فلا معنى لخفائه بهذا الوجه ثم الذي ظهر لنا من هذه الآية ان المدينة التي سميت بارم كانت اكبر واحسن من جميع مدائن الدنيا ولذلك قال الله تعالى - لم يخلق مثلها في البلاد - ولا كن كونها موجودة الى هذا الان لم يثبت بالكتاب والسنة لجواز خرابها واندارسها بعد مرور من الزمان - والله اعلم - وثمود الذين جابوا الصخر بالواد - هم قوم صالح عليه السلام - وكان جدهم ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام - فسموا باسم جدهم - وكانوا يسكنون بين الحجاز وتبوك ويعبدون الاصنام مثل عاد - وكانوا اصحاب القوة عظيمة يستأنسون بالغابات والعقبات والجبال والمضيقات - قرأ الجمهور ثمود بمنع الصرف على انه اسم للقبيلة ففيه المعرفة والتانيث - وقرأ يحيى بن وثاب بالصرف على انه اسم لجدهم والجوب القطع - والخرق - يقال جبت المدينة والارض اى قطعتها ومنه قول الشاعر -

وَلَا رَأَيْتُ قُلُوصًا قَبْلَهَا حَمَلَتْ ستِّينَ وَسْقًا وَلَا جَابَتْ بِهَا بَلَدًا

والمعنى حرقوا الصخور والاحجار واتخذوا منها بيوتا كما قال الله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا - وقيل هم اول من نحت الجبال والصخور والرخام - وروى انهم بنوا الفا وسبع مائة مدينة كلها من الاحجار وهذا القول كما ترى والواو متعلق بجابوا اى جابوا الصخر حال كونها بالواد فهو حال بقوله الصخر والمراد بالواد وادى القرى وقد يحذف المضاف اليه كما في قول الاعشى -

مَنَعَتْ قِيَاسُ الْمَاسِخِيَّةِ رَأْسَهَ بِسِهَامِ يَثْرِبَ اَوْ سِهَامِ الْوَادِي

والمراد به وادى القرى - وهو موضع بقرب المدينة والوادى ممر بين الجبال والتلال والاكام سمّي بذلك لسيلانه فيكون مسلكا للسّيل ومنفذا له لان معنى الوادي هو السّيلان - قرأ الجمهور بالواو بحذف الياء وصلا ووقفا - وابن كثير باثباتها فيهما - وقرأ بعضهم باثباتها في الوصل دون الوقف - وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا في البلاد - وهذا هو فرعون موسى عليه السلام والوتد بالكسر والفتح وهو ما يثبت في الحائط او الارض من الخشب وغيره والمراد بالاوتاد اوتاد خيام الجنود وقيل اراد بالاوتاد جنوده ويؤيده ما روي عن ابن عباس رض الاوتاد الجنود الذين يشدّون امره - وقال كثير من المفسّرين وانما سمّي ذا الاوتاد لانه كان يعذّب الخلق بين اوتاد يشدّ اليها ايديهم وارجلهم ثم يعذّبهم او يقتلهم وقيل لانه عذّب امراته وكانت مومنة بين الاوتاد للاربع حتى هلكت وماتت وقيل كذا عذب زوجة حزقيل عليه السلام وكانت ممن امن موسى عليه السلام - قيل وكانت

ما شطة بنت هذا الطاغي فهي ذات يوم كانت ترجل رأسها - إذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله - فقالت بنت فرعون وهل لك إله غيري ابي - قالت الهي والهك وإله ابيك والله السموات والارض هو الله واحد لا شريك له - فنقمت وادخلت على ابيها باكية - وقال فرعون من يبكيك فقالت ما جرى بينها وبين الماشطة فارسل اليها وسألها - فاجابته كما ذكر - فحثها واخرصها على ان تؤمن به فقالت معاذ الله فانكرت - فشدها بين اوتاد وذبح بنتها الكبيرة على صدرها ثم قال لأقرين بالوهيتي - فابت وكرهت - فوضع بنتها الصغيرة على صدرها وكانت ترضعها - وقال لتقرين او لاجعن - فاصرت على ما كانت عليه - فلما اراد ان يذبحها جزعت المرأة فانطق الله الصغيرة فقالت يا أمة لا تجزعي لان الله تعالى بنى لك قصرا في الجنة فاصبري فذبح الصغيرة - فارتعدت المرأة وماتت - الذين طغوا في البلاد - صفة لعاد وثمود وفرعون اطغت هؤلاء كلهم حين بعث الله تعالى اليهم رسله فتمردوا وكفروا - ويجوز ان يكون الموصول خبر لمبتدأ محذوف اي هم الذين او منصوب على الذم فاكثروا فيها - اي في ديارهم الفساد - بالكفر والمعاصي فصب اي افرغ - عليهم ربك سوط عذاب - السوط خلط الشيء بعضه ببعض ومنه قول كعب بن زهير -

لكنها خلة قد سيط من دمها فجع ووله واخلاق وتبديل

اي كأن هذه الاخلاق قد خلطت بدمها - وسمي السوط سوطا لانه اذا سيط به انسان او دابة خلط الدم باللحم - وقولهم ضربت

ذيقًا اسوطًا اى ضربته ضربةً بسوطٍ - اى صبّ الله عليهم عذاب يوم لهم مثل ضرب السوط وقد يُراد بالسوط الشدّة - فيكون المعنى اشدّ عذاب - قال الفرّاء هذه الكلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب يدخل فيه السّوط جرى به الكلام والمثل - ويروى انّ السّوط من عذابهم الذى يعذبون فجرى لكل عذاب اذ كان فيه عندهم - غاية العذاب - ويجوز ان يقال انّ السوط هو العذاب بمعنى ان السّوط كما يضرّ من السيوف كذلك هذا السّوط ضرر من اجزاء العذاب فصار السوط هو العذاب ففيه تشبيه بليغ يدلّ على غاية العذاب - واليه ذهب الزجّاج - حيث قال جعل سوطه الّذي ضرّ به العذاب - انّ ربّك لبالمرصاد - قال ابو منصور معناه على كل طريق فيكون المعنى اى بالطريق الّذى مرّ عليه ومنه قول عدي -

وانّ المنايا للرّجال بمرصد

وقال الزّجّاج اى يرصد من كفر به وصدّ عنه بالعذاب - وقال ابن عرفة اى يرصد كلّ انسان حتى يجازيه بفعله - قال ابن الانباري المرصاد الموضع الذى ترصد الناس فيه كالمضمار الذي يتضمّر فيه الخيل من ميدان السّباق - وقال الاعمش في تفسير هذا القول ان المرصاد ثلاثة جسور خلف الصراط جسر عليه الامانة - وجسر عليه الرحم وجسر عليه الربّ والحاصل انّ الله يرصد اعمال العباد خيرًا وشرًّا ثم يجازي على حسبها وهذه الاية تدلّ على كونه تعالى عالمًا بالجزئيات سواء كانت ماديّة او غير ماديّة

بحيث لا يفوت منها شئ - واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه السورة ثلاث قصص الاولى قصة عاد - والثانية قصة ثمود والثالثة قصة فرعون وظاهر ان هؤلاء كانوا في غاية العتو والطغيان وغاية الاشراك والكفران فبعث الله عليهم القهر والعذاب فهلكوا جميعا حلوا في عذاب الله فيا ايها المشركون ويا ايها الكافرون اعتبروا بهذه القصص وما فيها من التهديد والانذار فلا تكونوا كالذين دمرهم الله ودخلوا في جهنم داخرين - فاما الانسان متصل بقوله تعالى - ان ربك لبالمرصاد - اى انه تعالى يرصد اعمال الناس فلا يبدو الا سعى الانسان في العمل الصالح - لكنه لا يرومه - بل يحاول الدنيا وزينتها - فقال الله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه - اى اختبره بالمال والثروة - فاكرمه - عند الناس باسباب الدنيا وذخارفها وامتعتها - ونعمه - بالجاه والمرتبة العالية - والنعمة الدنيوية - فيقول ربي اكرمن اى فضلني بما اعطاني من النعم الجزيلة بين اكفائي ومجدني بين امثالي وقرنائي فهو راض عني - والامر ليس كما يزعمه لان الله تعالى لا يرضى عن كدهم وجهدهم في الدنيا الا سعيهم في الامور الاخروية ومكابدتهم في ترك امور الدنيا وزبرجاتها لانها سبب خسران الانسان واقتحامه في النيران - والفاء في قوله فيقول للجواب لان اما تتضمن معنى الشرط - واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه - اى ضيقه - فيقول ربي اهانن - قرأ الجمهور بحذف الياء في اكرمني واهانني وصلا ووقفا

والاصل هو الاثبات لكونها اسمًا - وقرئ باثباتها وصلًا وحذفها
وقفًا قرأ الجمهور قدر بالتخفيف وقرئ بالتشديد وهما لغتان
وقرأ أوس بسكون الياء وقرئ بفتح الياء واما معنى اهانن
فاذ لتنى وتقدير الرزق قد يكون موجبًا لكرامة الدارين وقد
يكون سببًا للشقاوة في الكونين فان الانسان اذا استيخل الدنيا
وكد في تحصيلها وسعى في الامور العاجلة فقد لا يكون فائزًا
اذا كان مخالفًا لارادة الله فيصير في الخيبة والحسران فيقول
في نفسه ان ربي خذلني وافقرني - وهذا القول لقصور نظره في الامور
الاخروية والحياة الابدية ولو لا ذلك لاتوجه الى ثروة الدنيا
ونعمها ولم يلتفت الى كثرة الاموال والامتعة واعلم ان العاقل
يعقل انه لا استلزام بين سعة الرزق والكرامة لان الاعلى قد
تجد بدون الثانية كالكافر المتمول وكذا الثانية قد توجد
بدون الاولى كالولي المقتر وقد توجدان معا كالمومن المتمول وكذا
لا استلزام بين ضيق الرزق والهوان - كما بينا فليس قوله ربي
اهانن الا بالنظر الى حب الدنيا - كلا - هي كلمة ردع وزجر - قال
الفراء ان كلا في هذا الموضع - بمعنى انه لم يكن ينبغي للعبد
ان يكون هكذا - والمعنى ان توسعة الرزق وتقديره ليس سببًا للاكرام
والاهانة - قرأ ابن عامر الشامي وعاصم وحمزة والكسائي اكرمن
واهانن بغير الياء في الوصل والوقف وكذا قرأ ابو عمرو وقراء
نافع في الوقف مثل الكوفيين - وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد
بل لا تكرمون اليتيم - بالنفقة والمبرة ولا تحسنون اليه

ترحمًا وشفقة على حاله - وَلَا تَحٰٓضُّوْنَ عَلٰى طَعَامِ الْمِسْكِيْنِ اى لا تحثون اهلهم على ان يطعموه - والمسكين هو المفتقر الذى يخفى حال فقره - مرضاة الله تعالى وهو على ممن ليس على هذه الصفة قرأ اهل عاصم والاعمش بالالف وفتح التاء وقرأ نافع وغيره من اهل المدينة ولا يحضون بالياء وبغير الالف وقرأ الحسن ولا يتحاضون بالتاء وبغير الالف وقرأ بعضهم ولا تحاضون برفع التاء والالف قال الفراء وكل ذلك صواب - فمن قرأ تحاضون - فمعناه يحافظون ومن قرأ تحاضون بفتح التاء فمعناه يحض بعضكم بعضا اى يحث - ومن قرأ تحضون فمعناه تامرون باطعامه وان شئت يحضون بالياء - وَتَاْكُلُوْنَ التُّرَاثَ - اى الميراث والتراث تاؤه بدل من واو كالتكلة من توكلت والتخمة من وقيت وعدة قول سعد بن ناشب الحماسى -

فَاِنْ تَهْدِمُوْا بِالْغَدْرِ دَارِىْ فَاِنَّهَا ... تُرَاثُ كَرِيْمٍ لَا يُبَالِى الْعَوَاقِبَا

وقال عمرو بن كلثوم

وَعَنَّابًا وَكُلْثُوْمًا جَمِيْعًا بِهِمْ ... نِلْنَا تُرَاثَ الْاَكْرَمِيْنَا

والوراث للمال والارث للحسب كما قال الشاعر -

فَاِنْ تَكُ ذَا عِزٍّ حَدِيْثٍ فَاِنَّهُمْ ... لَهُمْ اِرْثُ مَجْدٍ لَمْ تَخُنْهُ ذَوُوْفِرَهْ

قيل كانوا يأكلون ما جمعه الميت وهم عالمون بذلك فيجمعون بين الحلال والحرام ويسرفون فى الانفاق - وكانوا لا يورثون النساء ولا صغارا ولا ولدا فيأكلون نصيبهم ويقولون لا يأخذ الميراث الا من يقاتل ويحمى بيضة - اَكْلًا لَّمًّا - قال الفراء اللم الجمع ومعنا

اكلاً شديداً - وقال الزجاج تأكلون تراث اليتامى لمّاً اى بجميعه وفى الصحاح اكلاً لمّاً اى نصيبه ونصيب صاحبه قال ابو عبيدة يقال لمَمْتُه اى جمعته - حتى اتيت على آخره - وفى حديث المغيرة تأكل لمّاً وتوسع ذمّاً اى تاكل كثيرا مجتمعاً - قال الفرّاء اصله لمّاً فلما كثر ضيف الميمات حذفت منها - وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا - قال ابو عبيدة اى كثيراً ومنه قول ابى خراش الهذلى -

إِنْ تَغْفِرِ اللّٰهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ∴ وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

وحاصل معنى هذه الآية انّ ما زعمه الانسان ان نعيم الدنيا وسعة الرزق اكرام من الله تعالى لعبده وافتاره فيها اهانته وصغاره باطل بل الاكرام لا يحصّل للعبد الّا بفضل الله عليه ويجمعه مع الاقتار او بنعيم الدنيا - كما قدّمنا والمعتبر فى الهوان هوان الآخرة - وكذا القول فى نعيم الدّنيا لانّهما تقبلان الفناء والزوال فلا اعتبار لهما وفى الآية امور الاوّل عدم اكرام اليتيم والثانى الحثّ بالارادة على غصب طعام المسكين والثالث حبّ المال - وعلّة حدوث هذه الامور استحباب الدنيا ومؤاثرتها على الدّين فمن اتصف بها لم يفرق الحلال من الحرام وحينئذ لا يبالى ان يكتسب الحلال التى بيّن الشارع حرمتها بالدلائل القاطعة والبراهين اللامعة فلا مرية فى كفره - قال مقاتل نزلت فى اُميّة ابن خلف فانّه كان يدفع حق اليتيم الذى فى حجره ويرغب الى طعام المسكين ويأكل ميراث الغير - كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا - دكّ الارض والجبال زلزلتهما - ومثله قوله تعالى وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً - والمعنى سوّى

صعودها وهبوطها - وقيل صادت بالزلازل كأنها رمل وقيل كانت هباءً منبثًا - والمعنى انّ الارض اذا زلزلت اندكّت فنفسد كل شئ كان على ظهرها بالتقلع والقطع والكسر والبتر - وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا - اى وجاء امر ربك والملائكة مصطفّون صفًّا صفًّا يطوفون الجن والانس من كل جانب ويحتمل ان يكون معناه وجاء وعد ربك بالحشر والنشر - وَجِآیْٓءَ یَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ - روي عن عبد الله بن مسعود انه قال تُقاد جهنّم يومئذٍ بسبعين الف زمام بيد سبعين الف ملك لها فيرى ولها غيظ وتتغيّظ تضرب عن يسار العرش فيخاف من يكون من اهل العرض من سطوة اشتعالها وشدّتها - اقول ويمكن ان يقال ان المراد من مجيئها بروزها وانكشافها حيث يراها من كان من اهل العرض ومنه قوله تعالى وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرٰى والله اعلم - يَوْمَئِذٍ - وهو بدل من قوله اذا دكت الارض - اى يوم القيمة - يَتَذَكَّرُ الْاِنْسَانُ - اى الكافر ويتذكّر قبائح معاصيه وخبائث سرائره فيخاف بها ويندم على ما فات منه وَاَنّٰى لَهُ الذِّكْرٰى - اى اين ينفعه الذكرى اى التعاظ - واستدلّ به من عدم قبول التوبة وقت مشاهدة العذاب ومن قال مطلقا فقد لغا - قالت المعتزلة انّ قبول التوبة واجب على الله تعالى وهو باطل لانّ قبولها تفضّل منه - وهو ليس بواجب على الله تعالى - يَقُوْلُ - اى الكافر - يٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيٰوتِى - اى اعمالا صالحة فى الدنيا - فهذا التمنّى محال بالنسبة الى المتمنّى وان كان ممكنا فى نفسه فيندم حين لا ينفعه الندم لانّ دار الآخرة دار النتيجة - ودار العمل - انّما هى الدنيا فاذا المرء يتوجّه فيها الى طاعة الله واسترضائه لا بدّ له

ان یبقی خاسرًا فی دار النتیجة لان الدنیا مزرعة الاخرة استدلت المعتزلة بهذه الآیة علی انّ العبد قادر علی ایتان افعاله وصدورها معلق بارادته والّا لما یستقیم معنی قوله تعالی - یٰلَیْتَنِیْ قَدَّمْتُ لِحَیٰوتِیْ واجیب انّ قوله تعالی - یلیتنی قدّمت لیس قول الله تعالی حقیقة بل هو قول الکافر یقله الله تعالی عبرة للمؤمنین - فاستدلالهم باطل والعجب من صاحب الکشاف بانه کیف یخفی علیه هذا المعنی مع کونه عوّاصًا فی بحر المعانی - فَیَوْمَئِذٍ - ای فی یوم المجازاة - لَّا یُعَذِّبُ - قرأ الجمهور مبنیا للفاعل - عَذَابَهٗٓ - ای عذاب الله تعالی اَحَدٌ - من الملائکة المؤکلین علیه والمراد بهم الزبانیة والمعنی انه لا یملک احدٌ من الزبانیّة مثل عذاب الله - وقیل الضمیر فی عذابه یعود علی الکافر ای لا یعذب احد من الزبانیّة مثل ما یعذبون الکافر لانه یدخل نار جهنّم فعذابه اکبر واعظم من عذاب غیره وهو الذی لا یدخل النار کالمؤمن الفاسق الذی مات بغیر التوبة فانّه یمکن ان یعذبه الله فی القبر او فی موقف من مواقف الحشر لانّ الایمان بالله ورسوله وبما جاء به النبی صلی الله علیه وسلم من ضروریات الدین ینجیه من عذاب النار - فمثل هذا الایمان هو الشیء العظیم والخیر الکثیر فاذا کان الخیر القلیل ینفع صاحبه کما قال الله فمن یعمل مثقال ذرّة خیرًا یرَه - فکیف لا یکون الخیر الکثیر الذی هو الایمان ینجی صاحبه من النار - فلا یدخل المؤمن الفاسق النار - وقد قال الله جلّ ذکره - لَا یَصْلٰىهَآ اِلَّا الْاَشْقَى الَّذِیْ کَذَّبَ وَتَوَلّٰى وَاَکَّدَ ظهرا ان المومن الفاسق لیس ممّن کذّب وتولّی - وَلَا یُوْثِقُ وَثَاقَهٗٓ اَحَدٌ

اى ولا يوثق بالسلاسل والاغلال احد مثل وثاقه - ويجوز فيه الاحتمالان المذكوران - وقرأ الكسائي ويعقوب وابن سيرين لا يعذب ولا يوثق مبنيا للمفعول - قرأ ابو جعفر ونافع وثاقه بكسر الواو والجمهور بفتحها - روي ان هذه الآية نزلت في ابي ابن خلف وقيل في امية ابن خلف والجمهور على ان المعذب هو الكافر فيدخل تحت عمومها كل كافر وهو الاصح - واما ذكر الله سبحانه تعالى شيئا من احوال الكافرين شرع في احوال المؤمنين فقال - يا ايتها النفس المطمئنة - ويحتمل ان يكون المنادى هو ذلك يأمره الله ان يقول للانسان يا ايتها النفس المطمئنة الخ - والظاهر ان المنادى هو الله تعالى - كما يدل عليه قوله - فادخلي في عبادي وادخلي جنتي - وهذا هو الصحيح - قرأ الجمهور - ايتها بتاء التانيث وقرأ زيد بن علي بدونها يعني ايتها النفس قال ابو حيان ولا ادعاء احدا - ذكر انها تذكر وان كان المنادى مؤنثا الا صاحب البديع وهذه القراءة شاهدة بذلك والذلك وجه من القياس - وذلك انه لم يثن ولم يجمع في نداء المثنى والمجموع فلذلك لم يؤنث في نداء المؤنث انتهى - ثم النفس هي هو لطيف يتعلق بالبدن تعلق التدبير والاصلاح وهي ماهية نوعية عند الحكماء الالهيين خلافا للامام الرازي فانه ذهب الى ان نفس زيد مباينة لنفس عمرو في الحقيقة وعندهم حقيقتهما واحدة لانك تجدهما تفترقان عندهم بالعوارض التي تلحقها بواسطة البدن - واما القرن فهو يدل على ان النفس جسم لطيف من عالم القدس يتصف بالصفات الجسمانية كالدخول في الجسم بالنفخ - كما قال الله تعالى - ونفخت فيه

بيان تعريف النفس واقسامها

مِنْ رُوحِي - وكما قال ونفخنا فيه من روحنا - وكخروجها من البدن بحكم الله الى العالم العلوى وكرجوعها الى ربها - كما قال الله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية - وكدخولها في الجنة - كما قال الله تعالى - وادخلي جنتي - وكارسالها الى البدن وامساكها الى مدة معينة - كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى - وغيرها من الايات فالنفس عند اهل الشرع هي التي يتصرف بها الصفات لا كما ذهبت اليه الفلاسفة الالهيون وقد فصلنا هذا البحث في بعض رسائلنا كرسالة علم النفس ورسالة الشهادة وهي على اقسام الاول هي التي لا تصدر منها الا الشرور والقبائح وهي تسمى الامارة كما اخبر الله سبحانه بحالها وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء - والثاني هي التي يصدر منها الخير والشر الا انها تندم بعد ارتكاب الشر وتلوم وتسمى النفس اللوامة - كما قال الله تقدس - لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة - وهي نفس عامة المؤمنين - والثالث هي المؤمنة الموقنة المصدقة بما قال الله تعالى - الخاشعة لامر الله وطاعته الخاشعة بوعيده ونقمته - الراضية بقضائه المبتغية لرضائه فهي النفس المطمئنة التي قال الله في شانها - لا خوف عليهم ولا هم يحزنون - والرابع هي التي الهمها الله اليها من الامور الواقعية الثابتة في علم الله لافادة الناس وهدايتهم الى طريق الفلاح وتزكيتهم بالاعمال الروحانية ترشدهم الى مرضاة

الله و تسمى النفس الملهمة و هى نفس النبى ان كانت ماذونة
لتزكية نفوس الناس، و نفس الصديق و الولى ان لم يكن ماذونة بها -
ارجعى الى ربك راضية - اى الى موعد ربك او الى مرضاة ربك
مرضية - قال المبرد و الاصل مرضوة لانه من الرضوان - و المعنى
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى موعد ربك راضية بما اعطيت من
الثواب و مرضية عنها بعملها لانه كان سببا لرضوان الله تعالى كلمة ارجعى
تشير ان الى النفوس الناطقة مخلوقة قبل الابدان و كانت تحاور الملئكة
عند حظيرة القدس ثم نفخت فى الابدان و لما خرجت منها نادى الله
كلا منها ارجعى الى ربك اى الى محل كنت فيه - روى انه اذا توفى المؤمن
الصالح الذى اطمئن قلبه بذكر الله تعالى - ارسل الله تعالى اليه
ملكين بتحفة من الجنة يهدى اليه الله تعالى - قائلين بان
ربك راض عنك و اعمالك مرضية عنده فارجعى يا ايتها النفس
الى ربك راضية مرضية - فادخلى فى عبادى - الصالحين
المقربين و كونى منهم لانك صالحة زكية - وادخلى جنتى
معهم - قيل يقال لها ارجعى الى ربك راضية
مرضية - اذا خرجت من الدنيا و يقال لها
فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى
يوم القيمة - تم تفسير هذه السورة بعون الله و كرمه
فالحمد لله رب العالمين - و الصلوة على سيد المرسلين
و اله الطاهرين و اصحابه
الكاملين

سُورَةُ الْبَلَدِ عِشْرُونَ وَآيَةٌ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

قال الله عز وجل - لَآ أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ - لا زائدة وزيادته مطردة في القسم وقد تزيد في غير القسم كقول الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ... وكاد صميم القلب لا يتصدع

اي يتصدع - ومن ذلك - قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد اي أن تسجد وقال مجاهد انّ لا ردٌّ على من انكر البعث ثم ابتدأ وقال أقسم لك ليس لامر كما زعمتم من انكار البعث وقرئ لأقسم - قال الاخفش في البلد كل موضع مستخبر من الارض عامرًا وغير عامر خال ومسكون والطائفة منها بلدة - قال المفسرون والمراد بالبلد مكة وفضائلها معروفة - اوّلها ان الله تعالى جعلها حرمًا امنًا فقال ومن دخله كان امنًا - وثانيها انّه تعالى جعل ذلك المسجد قبلة لاهل المشارق والمغارب فقال وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره - وثالثها انّه تعالى شرف مقام ابراهيم كما قال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ورابعها انّه تعالى امر الناس بحج الكعبة وهي في ذلك البلد كما قال ولله على الناس حج البيت - وقال تعالى في البيت اذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنًا - وخامسها انّه تعالى حرّم فيها الصيد - هذا ملخص ما ذكره الامام الرازي - وقيل ان السورة مدنية والمراد بالمدينة مدينة الرسول عليه السلام - والاول هو الذي ذهب اليه

اكثر العلماء وهو يذكر ويؤنث وجمعه بُلدان وبلاد - ثم ذكر في مزية فضلها وقال - وَاَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ - الحِلُّ والحلال والمحل واحدٌ اى انت حالٌ فيه - ذهب الجمهور الى انّ المراد بالحل فيه هو الحل بعد الفتح قال البيضاوى - وقيل هو بحلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارًا بان شرف المكان بشرف اهله انتهى فيكون المعنى ان مكّة وان كانت فى غاية الفضيلة والكرامة الّا ان البلدة التى انت فيها صارت افضل البلاد واشرفها لحلّك فيها - وقال بعضهم انّ المراد بالحل حِلُّ القتال اى حلال لك ان تفعل ساعة من النّهار ما تريد - قال بعض المفسّرين وفيه تهديد للمشركين وذلك لانّهم كانوا يكرمون هذا البلد ويعظمون البيت الحرام ويحرّمونه ويحترمونه بالاتفاق ثم انهم يزعمون على ايذائك ويجمعون على اضرارك ويحرصون الناس على ضربك وقتالك لانهم لا يقدرون على هذا لانّ الله يحرسك ويصونك عن اعدائك وَوَيْلٌ لهم انهم كانوا ياتفون عن قتل الصيد ويحرّمونه على انفسهم ثم يستحلون قتلك وانت تحرّم عن عضد الشوك من ارضه ويستحلون قتل النبى صلى الله عليه وسلم - وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ - قيل والمراد بالوالد آدم عليه السلام وبما ولد ذريته من الصالحين لان الطالحين لا حرمة لهم - وقيل المراد ابراهيم عليه الصلوة والسلام وبالوالد سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم - والتنكير للتعظيم وانما قال ما ولم يقل من لانشاء التعجب كما فى قوله تعالى - وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وقال ابو حيان وقال الفرّاء صلة ما للناس كقول الله تعالى مَا طَابَ لَكُمْ

وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ - قال الامام الرازي ؒ - قال بعض المفسرين اقسم الله بهما لانهما اعجب ما خلق الله على وجه الارض لما فيهما من البيان والعقل والتدبير واستخراج العلوم وفيهما الانبياء والاولياء والصالحون والدعاة الى الله والانتصار لدينه وكل ما في الارض مخلوق فهو لاجلهما وامر الملائكة بالسجود لادم عليه السلام وعلمه الاسماء كلها فيكون قد اقسم بجميع الادميين صالحهم وطالحهم انتهى - وكذا ذهب ابن جرير الى انه عام في كل والد وولده - وخص بعضهم الصالحين من ولده ومن كان له نفس لوامة - لانه تعالى - قال ولا اقسم بالنفس اللوامة - والمراد بها المومن فاسق - قد تاب الى الله فهو داخل في عموم مفهوم القسم اما غيرهم من الكافرين فليس لهم حرمة ولا شرف فلا يدخلون في عموم مفهوم الوالد والوالد ويؤيده ما قال الله تعالى - في قصة نوح عليه الصلوٰة والسلام مخاطبا له في شان كنعان والده انه ليس من اهلك - لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ - هذه الجملة جواب القسم والمراد بالانسان نوعه - قال الزجاج والمعنى اقسم بهذه الاشياء - لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ يكابد امر الدنيا والاخرة - والكبد الشدة والمشقة - قال الفراء ومعناه خلقناه منتصبا ومعتدلا ويقال في كبد اي انه خلق يعالج ويكابد امر الدنيا والاخرة وقيل في كبد اي خلق في بطن امه ورأسه قبل رجليها فاذا اراد تعالى ولادته انقلب الى رجليه الى اسفل واصل هذا التاء بدل هو الذي قال المنذري سمعت ابا طالب يقول الكبد الاستقامة والانتصاب - وجاء في الحديث قال بلال ؓ اذنت في ليلة باردة فلم يات احد - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اکبدھم البرد ای شق علیھم وضیق من کبد یکبد الفیروھی الشدۃ الضیق منہ قول لبید -

یا عین ھلا بکیت اربد اذ قمنا وقام الخصوم فی کبد

ای فی شدۃ وعناء والمعنی ان الانسان یکابد الحزن والمشقات ویتضرر فی الاحزان والمضرات ویقاسی اقسام الشدۃ الدنیویۃ ویتحمل انواع الکرائہ والجنایع فاذا کان بالسعادات العاجلۃ والنعم الھالکۃ یختال علی اخیہ ویھینہ ولا یشعر انھا زائلۃ بائدۃ لا یلیق لصاحبھا الافتخار بھا - وفیہ تسلیۃ للنبی صلی اللہ علیہ وسلم بما کان یکابدہ من اولی قرابتہ ومن قریش - ایحسب - والضمیر یرجع الی الانسان الشدید المختال والاستفھام للانکار - ان لن یقدر علیہ احد ان مخففۃ من الثقیلۃ واسمہ ضمیر وھو محذوف ای انہ لن یقدر علیہ احداً - ای ھو لشدۃ شکیمتہ وجلادتہ یتخیل فی نفسہ انہ قوی عزیز - لا یقاومہ احداً - ولا ینازع من یدہ شیٔ لکونہ مستعصیاً بقوتہ وعدتہ قیل ان ھذہ الآیۃ نزلت فی اسید بن کلدۃ فانہ کان جلداً قویاً - کان یبسط لہ الادیم عکاظی فیقوم علیہ ویقول من ازالنی فلہ کذا - فیجذبہ عشرۃ فلا ینزع منہ الا قطعۃ مقطرعۃ منہ ولا یزال قدماہ - وقیل نزلت رجل من بنی جمح وقیل فی الحارث بن نوفل وقیل فی الولید بن المغیرۃ - یقول - علی سبیل الافتخار - اھلکت مالاً لبدا - ای مجتمعاً بعضہ علی بعض - قال الفراء اللبد الکثیر وقال بعضھم واحدتہ لبدۃ ولبد جمع وقیل ھو علی زنۃ قیم وخطم واحد وعلی الوجھین معناہ الکثیر - وقرأ ابو جعفر مالاً لبداً -

بالتشدید فکانہ اراد مالاً لبداً وما لان لبدان واموال لبد - والاموال والمال قد یکونان بمعنی واحد - وقرأ زید بن علی لبداً بسکون الباء ومجاهد وابن ابی الزناد بضمهما - وکان اهل الجاهلیة اذا انفقوا مالاً کثیراً فی عداوة احداء فی میسر او خمر یتباهون بها ویسمونه مکارم - قیل ان الحارث بن نوفل اذا جنی جنایة - اتی النبی صلی الله علیه وسلم - ویقول جنیت فقل لی کفارة فیامره بالکفارة فقال لقد اهلکت مالاً لبداً فی الکفارات والتبعات منذ تبعت محمداً صلی الله علیه وسلم - هذا ما ذکره ابو حیان ولم یذکر ثقات المفسرین علی انه خلاف دراية - أَيَحْسَبُ - ایظن ذلک الانسان أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ - ای لم یره الله من این کسب ذلک المال وفی ای موضع انفقه او لم ینفقه اهو صادق فی هذا القول ام کاذب الاستفهام للانکار بلی یری الله سبحانه انه انفق ما انفق فی عداوة بنیه ایذاءً له - أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ - یبصر بهما ما حوله من الاشیاء وَلِسَانًا - ینطق به - وَشَفَتَيْنِ - یستر بهما اسنانه اذا اطبقهما علیه ویستعین علی تکلم بعض الحروف وجعلهما زینة لوجهه قال الزجاج لم تفعل به ما یدل علی ان الله تعالی قادر علی ان یبعثه - والشفة محذوفة اللام واصلها شفهة بدلیل شفیهة والجمع شفاه بالهاء قال ابو منصور والعرب تقول هذه شفة فی الوصل وشفهٔ فمن قال شفة قال کانت فی الاصل شفهة فحذفت الهاء الاصلیة وبقیت هاء العلامة للتانیث ومن قال شفهٔ بالهاء ابقی الهاء الاصلیة - وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ - النجد الارض المرتفعة ومنه شعر امرئ القیس

غَدَاةَ غَدَوْا أَسَارَى نَظْمَ نَخْلَةٍ وَأَحْرَزَهُمْ جَارٍ نَجَادٍ كَنَجْدِ

قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما النجدان الخير والشر وكذا روى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وعكرمة أبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني قال ابن أبي حاتم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما - ان النجدين هما الثديان - لانهما كالطريقين لحياة الدر ورزقه - قال صاحب اللسان قيل النجدين الطريقين الواضحين - لان النجد اذا اريد به الشيء المرتفع وقد سمّ النجدان بالخير والشر بالنظر الى كون الشر مرتفعاً وهو غير ملائم - واما اذا اريد به الثدي فلا يحصل تناسب المعنى وتناسبه لانه تعالى ذكر نبأه عن الانسان وشأنه وشغفه إلاّ انّ الانتفاع بهذه القوى لا يحصل الا بعد ان يكون مرزوقاً من رزق الله فقال وهذا لا يعلم الا الله الذي يرزق منهما ما رزقه الله من فضله فبعضي وقوي بشكر الله تعالى عمل القوى على ذلك وقال بعضهم ان القول الاول هو الانسب وهو ان يراد بالنجدين الخير والشر لان الله تعالى - قال مجاهد الى ثديي الدهر وهو قول ضعيف - انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً - ويمكن ان يراد بهما [illegible] من عمل [illegible] الاوبرام هو الله [illegible] ومعه [illegible] على الله [illegible] صلة

والجمع في لا في قوله فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة

وقال إنّ للخصومة قحماً - ومنه قول ساعدة بن جؤيّة

والشّيب داءٌ مخبسٌ لا دواءَ له ... للمرء كان صحيحاً صاب أو قحما

فيكون معنى الاقتحام هو الدخول في الأمور العظام - العقبة واحدة عقبات وهو الجبل الطويل - يعرض للطريق فيأخذ فيه - وهو طودٌ بالٌ صعبٌ شديدٌ وإن حزمت بعد ان تسند وتطول في السّماء فهي صعود وهبوط أطول من النقب وأصعب من نقبي - وقيل هو طريق وعر في الجبل - وما أدراك ما العقبة - استفهام لعظم بيان الذي بأنى بعد وهذه الجملة معترضة - فكّ رقبةٍ - هذا هو تفسير العقبة والمعنى فلا هو اقتحم العقبة والعرب إذا أنّثت لا تعلّق تكرارتها كما قال الله تعالى فلا صدّق ولا صلّى - ولم يكرّرها هنا لأنّه أضمرها فعلاً دلّ عليه سياق الكلام كأنّه قال فلا آمن ولا اقتحم العقبة والدليل عليه قوله تعالى - ثم كان من الذين آمنوا - هذا ما ذهب إليه الفرّاء والزّجاج - وقال صاحب الكشاف هي بمعنى لا منكرة في المعنى لأن المعنى فلا اقتحم العقبة فلا فكّ رقبةٍ ولا أطعم مسكيناً ألا ترى أنّه فسّر اقتحام العقبة بذلك انتهى واعترض عليه أبو حيّان وقال ولا ينبغي له هذا إلّا على قراءة من قرأ فك فعلاً ماضياً - وفي ابن كثير والنحويّان فك فعلاً ماضياً ورقبةً منصوبة أطعم فعلاً ماضياً وباقي السبعة فكّ مرفوعاً ورقبة مجروراً وإطعامٌ مصدر معطوف على فكّ انتهى فيكون على قراءة ابن كثير والي عمرو البصري وابن عامر فكّ وأطعم بدلاً من قوله فلا اقتحم وعلى قراءة باقي السبعة وهي فكّ بالرّفع وكذا إطعام يكون بدلاً أو نفسير

الاقتحام العقبة والتقدير وما أدراك ما اقتحام العقبة فهو فك رقبة او اطعام مسكين - فالمعنى الذي ذكره صاحب الكشاف لا يتم على قراءة بالفتح السبعة - هذا اذا اعتبر لمعناها حقيقة - امّا اذا جعلت بمعنى لم كما ذهب اليه المبرد - وابو علي الفارسي لم يحتج الى تكلف الا النفي لانّ ذلك من خواصّ لا وهو قول مجاهد - قال صاحب اللسان ومنه قول الشاعر -

اِنْ تَعْفِرِ اللّٰهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَاَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا اَلَمَّا

انتهى وهو قول الزجّاج ويرجع الى هذا التاويل قول ابي عبيدة وهذا الشعر لابي خراش الهذلي - قالها حين يطوف الكعبة - والمعنى لم يلمّ - اقول والقول هو الذي قاله الفرّاء واليه ذهب ابن هشام في المعنى - قيل لا دعائية دعاء عليه ان لا يفعل خيرا وقيل انها للتحضيض والاصل فالّا اقتحم - قال ابن هشام وهذا ضعيف - وقال ابو حيّان ولا يعرف انّ لا وحدها تكون للتحضيض وليس معها الهمزة واختلف في تفسير العقبة قال الحسن هي جهنّم لا ينجى منها الا هذه الاعمال - وقال ابن عباسٍ ومجاهد وكعب هي جبل في جهنّم - قال قتادة هي قحمة شديدة في جهنّم - وقال ابن عباسٍ العقبة اثنا عشر الف درجة - وايضا روي عن كعب وقتادة هي نار دون الجسر - وايضا قال الحسن هي مجاهدة نفسه وهواه وعداوة الشيطان - وقال الضحاك الكلبي هي الصراط الذي يضرب على جهنّم كحدّ السيف والقول الاخر للحسن هو المرضي عندنا الفكّ تخليص الشيء من الشيء - ومنه قول الحارث ابن حلزة اليشكري -

وفكاكنا غل امرئ القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء
وفك الاسير فكاكه فصله من الاسر وجاء في الحديث عودوا المريض
وفكوا العاني اى اطلقوا الاسير ويجوز ان يريد به العتق فيكون معنى
فك رقبة اطلاق ربقة العبودية من الرقبة اى عتقها - او اطعم
في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة - قال ابن عباس مسغبة مجاعة
على مفعلة وهو قول الفراء وقال النخعي في يوم ذي مسغبة اى عزيز
فيه الطعام - يقال اسغب الرجل اذا دخل في الجوع وقيل لا يكون
السغب الا مع التعب وذي مسغبة صفة يوم اى في يوم ذي مجاعة
ويتيما مفعول الاطعام - قال ابن عباس يقال ذو قرابة وذو مقربة
واليتيم الفرد ويقال اليتم واليتيم لفقد ان الاب قال ابن السكيت
اليتم في الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الام ولا يقال لمن
فقد الام من الناس يتيم ولا كن منقطع قال ابن بري اليتيم الذي
يموت ابوه والعجي الذي تموت امه والطليم هو الذي يموت ابواه -
قال اللبث الذي مات ابوه فهو يتيم حتى يبلغ فاذا بلغ زال عنه اسم
اليتم ويقال للمرأة يتيمة - قال ابو سعيد يقال للمرأة يتيمة لا يزال
عنها اسم اليتم ابدا - وقال ابو طالب بن عبد المطلب في قصيدة
انشدها في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم -

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقال ابو عبيدة تدعى يتيمة ما لم تتزوج فاذا تزوجت زال عنها
اسم اليتم ويؤيد ما ذهب اليه ابو سعيد المفضل -

انا طحرانى ها لك فتلبثنى والا تجزعى كل النساء يتيم

الاقتحام العقبة والتقاعس وما ادراك ما اقتحام العقبة فهو فكّ رقبة او اطعام مسكين - فالمعنى الذي ذكره صاحب الكشاف لا يتم على قراءة بالف السبعة - هذا اذا اعتبر لا بمعناها حقيقة - اما اذا جعلت بمعنى لم كما ذهب اليه المبرد - وابو علي الفارسي لم يحتج الى تكلف ان النفي لان ذلك من خواص لا وهو قول مجاهد - قال صاحب اللسان ومنه قول الشاعر -

ان تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما

انتهى وهو قول الزجاج ويرجع الى هذا التاويل قول ابن عبيدة وهذا الشعر لابي خراش الهذلي - قاله حين يطوف الكعبة - والمعنى لم يلمم - اقول والقول هو الذي قاله الفراء واليه ذهب ابن هشام في المغني - قيل لا دعائية دعاء عليه ان لا يفعل خيرا وقيل انها للتحضيض والاصل فلا اقتحم - قال ابن هشام وهذا ضعيف - وقال ابو حيان ولا يعرف ان لا وحدها تكون للتحضيض وليس معها الهمزة واختلف في تفسير العقبة قال الحسن هي جهنم لا ينجي منها الا هذه الاعمال - وقال ابن عباس ومجاهد وكعب هي جبل في جهنم - قال قتادة هي قحمة شديدة في جهنم - وقال ابن عباس العقبة النار وايضا روي عن كعب وقتادة هي نار دون الجسر - وايضا قال الحسن هي مجاهدة نفسه وهواه وعداوة الشيطان - وقال الضحاك الكلبي هي الصراط الذي يضرب على جهنم كحد السيف والقول الاخير للحسن هو المرضي عندنا الفك تخليص الشيء من الشيء - ومنه قول الحارث ابن حلزة اليشكري -

وفككنا غل امري الذي عنه بعد ما طال حبسه والعناء
وفك الاسير فكاكة فصله من الاسر وجاء في الحديث عود والمريض
وفكوا العاني اي اطلقوا الاسير ويجوز ان يراد به العتق فيكون معنى
فك رقبة اطلاق رقبة العبودية من الرقبة اي عتقها - او اطعم
في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة - قال ابن عباس مسغبة مجاعة
على مفعلة وهو قول الفراء وقال النخعي في يوم ذي مسغبة اي عزيز
فيه الطعام - يقال اسغب الرجل اذا دخل في الجوع وقيل لا يكون
السغب الا مع التعب وذي مسغبة صفة يوم اي في يوم ذي مجاعة
ويتيما مفعول الاطعام - قال ابن عباس يقال ذو قرابة وذو مقربة
واليتيم الفرد ويقال اليتم واليتيم لفقد ان الاب قال ابن السكيت
اليتم في الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الام ولا يقال لمن
فقد الام من الناس يتيم ولا كن منقطع قال ابن بري اليتيم الذي
يموت ابوه والعجي الذي تموت امه واللطيم هو الذي يموت ابواه -
قال اللبث الذي مات ابوه فهو يتيم حتى يبلغ فاذا بلغ زال عنه اسم
اليتم ويقال للمرأة يتيمة - قال ابو سعيد يقال للمرأة يتيمة لا يزول
عنها اسم اليتم ابدا - وقال ابو طالب بن عبد المطلب في قصيدة
انشدها في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم -

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقال ابو عبيدة تدعى يتيمة ما لم تتزوج فاذا تزوجت زال عنها
اسم اليتم ويؤيد ما ذهب اليه ابو سعيد المفضل -

أفاطم اني هالك فتذكري ولا تجزعي كل النساء يئيم

وقد يقال اليتيم هو الذي مات ابوه كما قال قيس بن الملوح العامري
الى الله اشكو فقد ليلى كما شكا الى الله فقد الوالدين يتيم
او مسكينا ذا متربة - يقال طرب تربا اذا لزق في التراب وهو
المصدر على مفعلة وكذا امغربة - وقيل لصق بالتراب من الفقر -
وفي حديث فاطمة بنت قيس - واما معاوية فرجل ترب لا مال له
اى فقير - وقيل المسكنة والفاقة فيكون المعنى او مسكينا ذا مسكنة
وفاقة لاصق بالتراب - وقال مجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس
ولا غيره - وقال عكرمة هو المدبون - وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
الذي ليس له بيت - ثم كان من الذين امنوا - عطف عن المنفي بلا
وجاء ثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام لانه اصل لجميع الطاعات
ولانصح بدونه - وتواصوا بالصبر - اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر
على المكاره او على طاعة الله او على مخالفة اهل البغي والعناد - وتواصوا
بالمرحمة - اى بالرحمة بين المؤمنين لانهم اخوان في الدين
وهو مصدر على مفعلة - اولئك اصحاب الميمنة - اى الموصوفون بالايمان
والتواصي بالصبر والمرحمة اصحاب اليمن اى يعطى صحايفهم في ايمانهم - او من
اليمن اى يمن اصحاب البركة - والذين كفروا بايتنا - من كتاب الله وسائر ما نزل
قاطبة - هم اصحاب المشئمة - اى اصحاب الشؤم وهم الذين يعطى صحايفهم في شمائلهم
والذين لا يفضي الضبة داخلة فيهم - عليهم نار مؤصدة - من وصدت الباب
اذا اطبقته واطبقته - قال ابو عبيدة يقال اصدت واوصدت اذا اطبقت قرأ ابن كثير
موصدة بالواو وقرأ الباقون بالهمز - قال ابن عباس معناها مغلقة الابواب - ثم تفسير هذه الاسوة
فالحمد لله العظيم وصلى الله على نبيه الكريم وعلى آله واصحابه الذين رشد الناس الى الصراط المستقيم

سورة الشمس هي خمس عشرة آية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا - قال ابو حيان قد تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة و اقسم ههنا بشئ من العالم العلوى والسفلى وبما هو آلة التفكر في ذلك وهو النفس انتهى والمعنى اقسم الله تعالى بالشمس وضحاها - وهو قول الزجاج فيلزم تقدير الكلام - وربّ الشمس وكذا قال ابو البقاء وهو ليس بشئ لان المعنى على هذا التقدير يكون ان الله تعالى اقسم برب الشمس وكذا قال ابو البقاء وهو لغو محض وكفر صريح - والشمس كوكب سيّار مضئ على الفلك الرابع يفيض تنويره الموجودات التى تكون تحت فلك القمر - وضحاها ضوءها وقال مجاهد هو ارتفاع الضوء وكماله وقال مقاتل حرّها - وقال قتادة هو النهار - قال ابو حيان وهذا ليس بجيد لانه قد اقسم بالنهار - وقيل والضحى حين تطلع الشمس فيصفو ضوءها - والضحاء بالفتح والمد اذا ارتفع النهار واشتد شعاع الشمس - اما الضحوة فهو الارتفاع اوّل ذلك انتهى - الضحى بالضم والقصر فوقه وبه سميت صلوة الضحى - من قد قال ضحى لفحة في الضحاة الشاعر -

ظربت وهاجرة كأن سمومها ... نمل بأيديها عصوف يوالع

قال ابو حيان الضحى مقصور وممدود مذكر - قال ابو حيان والفلاح عن اسرّه من ان الضحى مشتق من الضحى هو لو ان الشمس والالف مقلوبة

من الحاء الثانية - وكذلك الواو في ضحوها مقلوبة عن الحاء الثانية لعله مختلق عليه لأن المبرد اجل من ان يذهب الى هذا وهما تان مادتان مختلفتان لا تشتق احداهما من الاخرى - اقول ذكر صاحب اللسان - قال ابو الهيثم الضحى نقيض الظل وهو نور الشمس قال واصله الضحى فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء - وقالوا الضحا قال ومثله القن اصله قنى من القنية ثم ذكر وقال الازهري والصواب ان اصله الضحى من ضحيت الشمس - وقال الازهري في كتابه وكذلك الفحة اصلها الوفحة فاسقطت الواو وابدلت الحاء مكانها فصارت فحة بحاءين - انتهى فما اعترض ابو حيان على المبرد وهو امام الادب والنحو باطل - وهذا الرجل ليس من اهل اللغة والادب ثم اقول والظاهر ان النور ليس ضياء كما قال الله تعالى جعلنا الشمس ضياء والقمر نورا - لان الضياء هو الاشراق الذي فيه احراق وحرارة والنور ليس فيه احراق وحرارة - فهما شيئان متغايران - والقمر اذا تلاها - وهو كوكب يطلع في فلك الدنيا ونوره ينفع ما كان تحت فلكه - قال الزجاج يقال تلى القمر اذا استدار وكمل نورها وقال الفراء تلاها اخذ منها يعني ان القمر ياخذ من ضوء الشمس وكان لها تابعا للمنزل والضياء والقدر لانه ليس في الكواكب شيء يتلو الشمس في هذا المعنى غير القمر - وقال قتادة انما ذلك البدر تغيب هي فيطلع هو - والمعنى ان القمر يتلو بعد غروب الشمس فيكون قائما مقامها في افادة النور والمنافع الاخر - وانها اذا جلتها - قال الزجاج اي اضاءها لان الشمس عند انبساط النهار تجلي تماما الانجلاء

فکانّه جلّاها - وعلی هذا التقدیر یرجع ضمیر المؤنث الی الشمس
وقیل انّه یرجع الی الظّلمة او الی الارض او الی الدنیا وعلی هذه
التقادیر الضمیر فی جلّاها یعود علی النّهار - قال الفرّاء معناه اذا جلّی الظلمة
فجازت الکنایة عن الظلمة ولم تذکر فی اوّله لانّ معناها معروف
الا تری انک تقول اصبحت باردة وامست عریة وهبّت شمالا
فکنّی عن مؤنثات لم یجر لهنّ ذکر لانّ معناها معروف - والنّهار
هو مدّة تکون المخروط الّذی هو ظل الارض تحت الارض - والتجلّیة
هی الاظهار - واللّیل اذا یغشاها - ای یغشی الشمس فیذهب ضوئها
ویظلم الافاق وقیل والضمیر عائد علی الارض والاوّل اشبه ان یعاد
جمیع الضمائر علی الشمس - ویؤیده ما ذکره القفال وقال ان القسم
بالشمس باعتبار اوصاف اربعة - ضوءها عند ارتفاع النّهار - وتلوها
القمر لها باخذه الضوء - ولتکامل اضوائها فی النّهار وغیابها بهجی اللیل
هذا ملخص ما ذکره ابو حیّان - والسّماء وما بناها - وقال ابو حیان
وما فی قوله وما بناها وما طحیها وما سوّاها - بمعنی الّذی قاله الحسن
ومجاهد وابو عبیدة واختاره الطبری - قالوا لانّ ما تقع علی اولی
العلم وغیرهم - وقال المبرّد والزّجاج وغیرهما انها مصدریة وقالوا
انها لا تقع علی اولی العلم - اقول وتفصیل الکلام فی هذا الباب انّه
اختلف فی ما فی قوله وما بناها وما طحیها وما سوّاها - فقال بعض المفسرین
انها مصدریة وهو قول القاضی والمبرد والزجاج وذلک لانّ قوله
وما بناها - لا یجوز ان یکون المراد منه هو الله تعالی لانّ ما لا تستعمل
فی خالق السّماء الّا علی ضربٍ من المجاز ولانّه لا یجوز منه تعالی

أن يقدم قسمه بغيره على قسمه بنفسه ولأنه لا يكاد يذكر مع غيره على هذا الوجه فاذن لا بدّ من التاويل وهو مع ما بعده في حكم المصدر فيكون التقدير والسماء وما بناها - واعترض عليه صاحب الكشاف وقال لو كان الامر كذلك لزم من عطف قوله فالهمها عليه فساد النظم - قال الامام الرازيّ هذا الاعتراض حقّ - فذهب عليه صاحب الكشاف والامام الرازيّ الى انها موصولة - واجابه ابو حيّان وقال ولا يلزم ذلك لانّا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام فيبنا ضمير عائد على الله تعالى اى بناها هو الله تعالى اقول انها اذا كانت مصدرية كان المعنى والسماء وبنائها فلا يكون فيه الضمير العائد على الله تعالى - واما ما قال ابو حيّان انّ ما ومن ليس فيهما معنى الوصفية فهو مخالف لما ذهب اليه ائمة النحاة فانهم ذهبوا الى انّ الواصفية ليست في معنى من بخلاف ما فانه يوجد فيها معنى الوصفية والتفصيل في كتب النحو وهو مذهب صاحب الكشاف - واما ما يلزم من تعديم القسم بغيره على قسمه بنفسه تعالى فلتوجيهه على ما ذكره الامام الرازيّ - وهو الذي يخطر ببالي في الجواب عنه انّ اعظم المحسوسات هو الشمس فذكر سبحانه مع اوصافها الاربعة الدالة على عظمها ثم ذكر ذاته المقدسة بعد ذلك ووصفها بصفات ثلاثة وهي تدبيره سبحانه للسماء والارض والمركبات وتنبّه على ذلك بذكر اشرفها وهي النفس والغرض من هذا الترتيب هو ان يتوافق العقل والحسّ على عظم حرم الشمس ثم يحتج العقل الساذج بالشمس بل بجميع السماويات والارضيات والمركبات

علی اثبات مبدئ لها فی لا یخطئ العقل ههنا بادراک جلال الله وعظمته
عند ما یلیق به والحس لا ینازعه فیه فکان ذلک کالطریق الی جذب
العقل من حضیض عالم المحسوسات الی یفاع عالم الربوبیة وبلاء کبریاء
الصمدیه فسبحان من عظمت حکمته وکملت کلمته - والارض وما
طحاها - یقال طحی الشئ یطحه طحیا ای بسطه - قال الازهری الطحو
کالدحو وهو البسط وفیه لغتان طحا یطحو وطحی یطحی - قال الفراء طحاها
ودحاها واحد - قال شمر ومعناه ومن دحاها فابدل الطاء من الدال
قال ومعناه وسعها - قال ابن سیده واما قراءة الکسائی طحیها بالامالة
وکذا فی قوله تعالی تلاها - وان کانت من ذوات الواو فانما جاز
ذلک لانها جاءت مع ما یجوز ان یمال وهو یغشاها وبناها علی انهم
قد قالوا مظلة مطحیة فلولا ان الکسائی امال تلاها - من قوله والقمر
اذا تلاها - لقلنا انه حمله علی قولهم مظلة مطحیة - ونفس وما سواها
قال صاحب الکشاف - فان قلت لم نکرت النفس قلت فیه وجهان احدهما
ان یرید نفسا خاصة من بین النفوس وهی نفس آدم علیه السلام کأنها
قال او واحدة من النفوس والثانی ان یرید کل نفس وینکر للتکثیر
علی الطریقة المذکورة فی قوله علمت نفس اعترض ابو حیان علی التقدیر
الاول وقال وهذا فیه بعد للاوصاف المذکورة بعدها فلا تکون
الا للجنس الا تری الی قوله قد افلح من زکاها - وقد خاب من دسّاها -
کیف یقتضی التغایر فی المزکی والمدسّی - اقول قال الامام الرازی
قدس سره فی توجیه ما قاله صاحب الکشاف وبیانه انه یجوز ان یرید
نفسا خاصة من بین النفوس وهی النفس القدسیة النبویة - وذلک

لانّ كل كثرة فلا بدّ فيه من واحد يكون هو الرئيس فالمركبات جنس تحته انواع ورئيسها الحيوان والحيوان جنس تحته انواع ورئيسها الانسان والانسان اصناف ورئيسها النبي والانبياء كانوا اكثرين فلا بد ان يكون هناك واحد يكون هو الرئيس المطلق فقوله ونفس هو اشارة الى تلك النفس التي هي رئيسة لعالم المركبات رياسة بالذات انتهى - واقول ان النوع لا يدل الا على حقيقة واحدة فلا كثرة فيه باعتبار هذا المعنى فهذه الحقيقة اما ان تصدق على فرد واحد كالشمس او تصدق على افراد شتى - مثل انسان مثلا فان له افرادا كثيرة يقال على كل واحد منها انه انسان الا انه لا يصدق على جميع الافراد في حالة واحدة لانه لا عموم فيه فلا يراد بقولنا جاء انسان جاء كل واحد من الانسان او جاء جماعة منه - ولا يتاتى ذلك الا بعد ان يدخل عليه ال او يقدر قبله كل فتحقق بهذا ان الاصل فيه هو الوحدة ولذلك قال صاحب الكشاف قلت فيه وجهان احدهما ان يريد بها نفسا خاصة الخ وبهذا اندفع ما قال ابو حيان فالهمها اى الهمها الله - فجورها وتقواها - والمراد بالالهام هو الافهام بان احد الشيئين حسن والآخر قبيح ومنشأ هذا الافهام هو العقل فالله تعالى وتقدس لما اعطاها العقل فقد اعطاها الافهام فالواجب على الانسان ان يتفكر في التقوى والفجور ويختار منهما ما شاء هذا ما ذهب اليه المعتزلة - هذا اذا اريد بالالهام الافهام والاعقال كما ذهب اليه صاحب الكشاف - قال ابو حيان وفيه وسيسة الاعزال ولم يقل غير هذا في جوابه اقول لا نسلم ان الالهام هو الافهام لان

الالهام في الاصل هو الابتلاع - قال صاحب اللسان وهذا قول اللّيث ومنه الالهام وهو ما يُلقي الله في النفس امرًا يبعثها على الفعل او على الترك وهو نوع من الوحي وهو غير مختص بفرد من افراد الانسان بل يكون لكل فرد من افراده - وهذا الالقاء من جملة قضائه وقدره - فاذا كان ايمان المومن وكفر الكافر من قضائه وقدره كان الهام التقوى - في نفس المؤمن والهام الفجور في نفس الكافر ايضًا من قضائه وقدره فيُلقى توفيق الايمان في نفس المؤمن والخذلان في نفس الكافر - على ان الله تعالى - لما قال خالق كل شيء فاعبدوه والهام التقوى شيء من الاشياء فاذا كان كل شيء مخلوقًا لله تعالى - كان الهام التقوى والفجور مخلوقًا لله تعالى - نعم الافعال الاختيارية وان كانت موقوفة على اختياره - الا ان الاختيار اما ان يكون واجبًا واما ان يكون ممكنًا والاول محال فثبت الثاني وهو كونه ممكنا فاذا كان ممكنًا وجب ان يكون محتاجًا في وجوده الى الله تعالى فيكون الاختيار ايضًا مخلوقًا لله تعالى - فاندفع ما قال صاحب الكشاف - اما ابو حيان فلعله لا يعرف سوى النحو والقراءات فما وجدناه في تفسيره سوى مقاصد هذين العلمين - قد افلح من زكّيها - اي قد فاز من زكّى نفسه - واصل الزكوة - في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح - والزكوة وزنها فعلة كالصدقة فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها انقلبت الفًا فيكون المعنى على هذا التقدير قد فاز من انماها وطهرها من ادناس الذنوب - قال الشيخ الاكبر في تحفة السفرة الاية تدل على الوصول الى المقامات ولا تحصل الا بتزكية النفس و

تصفية القلب وتجلية الروح والمقصود بالذات هي تجلية الروح
ولا يحصل تجلية الروح الا بتصفية القلب وتصفية القلب لا تحصل الا
بتزكية النفس فالتزكية هي الواجب - انتهى فالصفات النفسانية
مبتدعها هو عصيان النفس عن اطاعة الله فمتى ازداد عصيانها عنها
ازداد سواد القلب حتى يسود بالكلية فاذا اسود كله انسد عليه
ابواب الفيوض الالهية - قال الشيخ الاكبر اما انجلاء سواده فلا
يكون الا بنور الايمان - روى عن علي رضي الله عنه انه قال الايمان
بيد واللطمة كالنكتة البيضاء في القلب فمتى ازداد الايمان
ازداد اللطمة - ثم الايمان وان كان هو التصديق الا ان كماله
لا يحصل الا بالعبادات كما هو مذهب اهل التحقيق - وافضلها معرفة
قول لا اله الا الله فاذا حصلت معرفته لا يبقى في الوجود الا الله وهذا
هو حق اليقين عند اهل المعرفة نسئل هذا العارف يعرف معنى قوله
عليه الصلوة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة واختلف في ان
قوله قد افلح من زكاها - هل هو جواب القسم ام لا قال الزجاج وغيره
هذا جواب القسم وحذفت اللام لطول الكلام والتقدير - لقد افلح
وقيل الجواب محذوف تقديره لتبعثن - وقال صاحب الكشاف
تقديره ليدمدمن الله عليهم اي اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم - كما دمدم على ثمود لاشتراكهم في اصرار الكل عليه السلام
اما قوله تعالى - قد افلح من زكاها - فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها
وتقواها - على سبيل الاستطراد - وليس من جواب القسم في شيء انتهى
قال ابو حيان والظاهر ان فاعل زكى ودسى ضمير يعود على من قاله

الحسن وغيره ويجوز ان يكون ضمير لله تعالى وعاد الضمير مؤنثا باعتبار
المعنى من مراعاة التانيث - وفي الحديث ما يشهد لهذا التاويل كان
عليه السلام اذا قرأ هذه الاية - قال اللهم اٰت نفسي تقواها وزكها
انت خير من زكاها انت وليها ومولاها - وفي هذا الاستدلال بحث
واقال الزمخشري واما قول من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى
وان الضمير المؤنث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس
القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو برئ منه ومتعال عنه
ويحبون نبايهم في تحمل فاحشة ينسبونها اليه تعالى انتهى - قال
ابو حيان ان فجرى على عادته في سب اهل السنة وقائل هذا هو بحر العلم
عبد الله بن عباس رض والرسول صلى الله عليه وسلم - وهو قوله وزكها
انت خير من زكاها - انتهى قيل وعلى تقدير كون ضمير زكى ودسى عائدا
على الله تعالى يكون تحقيقا لما ذهب اهل الحق ذلك لان العبد ليس
في اختياره شئ لان كل ما سوى الله تعالى - فهو واقع بقضائه وقدره
وداخل تحت ايجاده وتكوينه - اقول ان الهام التقوى والفجور في
قلب العبد لا يستلزم ارادتهما منه بل قد تقع في قلبه ليس الا امتحانا
وتكليفا كما قلنا فمن مال الى التقوى يكون مومنا ومن مال الى
الفجور يكون كافرا فالميل هو الذي كان مناط ثوابه وعقابه فافهم
وقد خاب من دسّاها - دسّاها اصله دسسها ابدلت السين بالياء
فصار دسّاها والتدسيس الاخفاء - قال ثعلب سألت ابن الاعرابي
عن تفسير هذه الاية فقال معناها من دسّ نفسه مع الصالحين
وليس هو منهم قال وقال الفراء خابت نفس من دسّاها الله عز وجل

قال الازهري اراد الله عزّ وجلّ بهذا الموؤدة التي كانوا يدفنونها وهي حيّة - اقول وهو القول ما قال الفرّاء - وفيه ردٌّ لما ذهب اليه صاحب الكشاف وهو الذي ذكرناه آنفًا - فان قلت ان تزكية النفس اذا اسندت الى النفس بلا واسطة تدنّ مذهب المعتزلة لانهم ذهبوا الى ان افعال العباد مخلوقة لهم وكذا القول في التدسيس قلت ان ميل النفس هو شيء من الاشياء فهو داخل في عموم معنى قوله تعالى - خالق كل شيء فاعبدوه فيكون ميل نفس العبد مخلوقًا لله تعالى وكذا مشيّته العبد لكنه تخرج من القوّة الى الفعل الا بمشية الله كما قال الله تعالى - وما تشاؤن الا ان يشاء الله - في تزكية النفس تدسيسها الا قصد من العبد الا بمشية الله تعالى - أمّا نفس الميل الى الشيء فهو مسند الى العبد والله اعلم وذلك قد يكون من الله واعني وهي ايضًا مخلوقة لله تعالى - لاكن الميلان هو الاصل في باب الثواب والعقاب وتمام هذا القول بقضّه وقضيضه ذكرناه في محلّه - كذّبت ثمود بطغواها قرأ الجمهور بطغواها بفتح الطاء وهو مصدر من الطغيان - وقرأ الحسن بضمّ الطاء كالرجعى - قال الزجّاج اصل طغواها طغيانها الا ان فعلى اذا كانت صفة تقلب الياء ابدًا لت في الاسم واو ليفصل بين الاسم والصفة تقول تقوى وانما هي من تقيت وبقوى وهي من بقيت - وقالوا امرأة خزيا لانه صفة - اذ يقال خاء طغيًا - قال ابو بكر الطاغي البغي والكفر والمعصية -

وان ركبوا صعبًا شرورًا وعلّموا ... فليس على آبائهم بلائم

قال الفرّاء معنى بطغواها الطغيان الا ان الطغوى في اشكال رؤس الآيات

فاختير لذلك والمعنى أن ثمود كذبوا بالله ورسوله بطغيانهم في نعم الدنيا ونسوا الله فاهلكهم الله - إذ انبعث أشقاها - يقال انبعث فلان لشانه اذا ثار ومضى ذاهبا لقضاء حاجته اى خرج لعقر الناقة - والناصب لاذ كذبت - والمراد بالاشقى قدار بن سالف قال ابو حيان وقد يراد به الجماعة - لان فعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة جاز افراده وان عنى به جمع - انتهى - فقال لهم رسول الله - الضمير في لهم يرجع الى ثمود - وقيل يجوز ان يعود على اشقها - اذا اريد به معنى الجمع - والمراد برسول الله صالح عليه السلام - ناقة الله - قرأ الجمهور ناقة الله بالنصب وهو منصوب على التحذير اى اتقوا ناقة الله - وهو قول الفراء وقال الزجاج ذروا ناقة الله - وسقياها معطوف على قوله ناقة الله - اى ذروا سقيا يا - ولا تحفروا عهدكم وهو ان لها شرب يوم ولهم شرب يوم - السقى مصدر والسقيا اسم - فكذبوه - تحذير من عليه السلام - فعقروها - اى قتلوها قال الفراء عقرها اثنان منهم - اقول وكذا روى احمد بن حنبل في مسنده - فدمدم عليهم ربهم بذنبهم - قرأ الجمهور فدمدم مخففا - وابن الزبير فدهدم بهاء بينها - يقال دهدم الشئ اذا قلب بعضه على بعض - وهذه قراءة شاذة قال ابن الانباري دمدم اى غضب وقال ابو زيد معناه دمر ومنه قول الاعشى -

ساق شعري لهموما قافية ... وعليهم صار شعري دمدمه

وقال بعض المفسرين معنى دمدم ارجف الارض بهم - وقال ابو اسحق معناه اطبق عليهم العذاب يقال دمدمت على الشئ اى اطبقت عليه

وكذلك دمدم عليه القبر اي سوّيت عليه - قال صاحب الصحاح
معناه الزق عليهم يقال دمدمت الشيء اي الزقته بالارض - بذنبهم
اي بسبب عقر الناقة والاستكبار عن الله ورسوله - فسوّيها الضمير
المؤنث يعود على ثمود وعشيرتهم اي فاهلكهم جميعًا وسطح صغيرهم
وكبيرهم وذكورهم ونساءهم وهذا قول الفرّاء - قال المفسرون
ولم يقلت منهم الا من كان مع صالح عليه السلام - ولا يخاف عقبها
قيل والضمير في يخاف يرجع الى الاشقى الذي عقر ناقة الله فهو لا يخاف
عقبى نفسه لانّه لم يلتفت الى وعيد الله - بل كذّب به - وقيل يعود
على الدمدمة - اي لا يخاف عاقبة الدمدمة - او عاقبة هلاك
ثمود غيره بقي بعض الاشقياء - وعلى هذا التقديرين يرجع الضمير في قوله
لا يخاف الى الله فيكون الخوف بالنسبة الى الله تعالى من الصفات
السلبيّة - وقيل الضمير في لا يخاف يعود على صالح عليه السلام يعني
انّ صالحًا عليه السلام - لا يخاف عاقبة اهلاك قومه لانّه قد
انذرهم قبل والظاهر انّ في قول الاوّل والثالث انتشار
الضمائر لان فاعل دمدم هو الله تعالى - وفاعل لا يخاف صالح
عليه السلام - فالقول الثاني هو الاولى - وهو قول اكثر المفسرين
وهذه الجملة حال من فاعل دمدم - قرأ الجمهور بالواو ونافع
وابن عامر بالفاء اي فلا يخاف عقبها - تمّ تفسير هذه السورة
فالحمد لله ربّ العالمين - والصلوة على محمّد سيد المرسلين
وعلى اله الكاملين المكملين وعلى اصحابه
الفاضلين المتفضّلين

سورة اللیل مکیة وآیاتها احدی وعشرون

بسم الله الرحمن الرحیم

سورة اللیل

واللیل اذا یغشی - اقسم الله سبحانه باللیل الذی فیه سبات ما سکون لکل حیوان یتردد فی النهار لتحصیل ما یفتقر الیه ومفعول یغشی محذوف وهو النهار وکل ما یواریه بظلامه واللیل عبارة عن کون المخروط الذی هو الظل فوق الارض ویسیر الشمس تحتها فیسیر الظلمة علی وجه الارض فهذه الظلمة تعبر باللیل - والنهار اذا تجلی بطلوع الشمس او بزوال الظلمة وتجلی النهار ای انکشف وقرأ ابن مسهر تجلی فعلا ماضیا - فاعله ضمیر النهار - وقرئ تجلی بضم التاء وسکون الجیم ای الشمس - وما خلق الذکر والانثی - اختلف فی ما فقیل مصدریة وقیل بمعنی الذی - والظاهر عموم الذکر والانثی - وقیل یراد بهما بنو آدم - وقال ابن عباس رضی الله عنهما والکلبی والحسین هما آدم وحواء - والثابت فی مصاحف الامصار وهی القراءة المتواترة وجاء بجر الذکر والانثی کما روی فی الصحیحین وهذه القراءة نقلت من آحاد قال ابو حیان وذکر ثعلب ان من السلف من قرأ وما خلق الذکر بجر الذکر - قال صاحب الکشاف وعن الکسائی وقد خرج علی البدل من ما علی تقدیر والذی خلق الله - وقد یحتج علی ان ما هی المصدریة ای وخلق الذکر والانثی کما قال الشاعر -

تطوف العفاة بآتوابه کما طاف بالبیعة الراهبن

یحرّم الراهب علی نوهم النطق بالمصدر ای کطواف الراهب بالبیعة
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى - جمع شتیت - من شتّ الامر یشتّ شتًّا و شتاتًا
تفرّق - و الشتیت المتفرّق - و منه قول رؤبة یصف ابلًا -
جَاءَتْ مَعًا وَاطْرَقَتْ شَرِيتًا وَهِيَ تَثِيرُ السَّاطِعَ الشَّخْتِيتَا
و قیل للمختلف شتی لتباعد ما بین بعضه و بعض و سعیکم مصدر
مضاف فیفید العموم فهو جمع معنیً ای مساعیکم مختلفة فی الکتسا
جزائکم - ای ان سعی الانقاذ نفسه عن النّار فلعلّ الله یقبل عنها
و ان سعی فی اقتحام نفسه فی النّار - فیدخله الله فیها کما روی
ابو مالک الاشعری عن رسول الله صلی الله علیه و سلم - انه قال
کل الناس یغدو فبایعٌ نفسه فمعتقها او موبقها - ای مهلکها
و المراد بسعی الانسان فی الشیء ارادته فیه لانّ کل شیء مخلوق
لله تعالی کما قال الله تعالی - خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ - ای خلقکم و خلق
اعمالکم لانّ الخالقیة صفته تعالی علی التحقیق فلا یتصرف بها غیره تعالی
قطعًا - فَأَمَّا مَنْ أَعْطٰى - ای انفق ماله فی سبیل الله بخلوص النیة
اختلف فی شان نزول هذه الآیة - فقال بعضهم انها نزلت فی ابی بکر
الصدیق رضی الله عنه لانه کان یعتق العبید الذین اسلموا و کانوا
فی ایدی الکفار و هم یعذبونهم بکونهم مسلمین - و هو قول
عبد الله بن ابی اوفی و قال السدی نزلت فی ابی الدحداح الانصاری
رضی الله - انه کان یعلق بالمسجد صدقة للفقراء و الایتام و روی
انّ النخلة من الجنة کانت اغصانها تتشرف علی بیتهم فیسقطها
رطبًا فیاخذه الایتام فسمعهم المنافق - فجاء ابا الدحداح و قال

يارسول الله انا اشترى النخلة التى فى تلك الجنة بهذه فاشتراه واجاز الاتيام من اكل رطبها - وحذف مفعول اعطى لان التنابى على فعل العطاء والا يحتاج فيه لبيان المعطى له واختلف فى مقدار العطاء فقيل المراد به انفاق جميع المال كانفاق ابى بكر الصديق رضى الله عنه - وقيل المراد به بعضه كانفاق غيره من الصحابة رضى الله عنهم - وَاتَّقَى - محارم الله - وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى - اى ايقن بالحسنى قال المجاهد والمراد بالحسنى الجنة - وقال ابن عباس رضى الله عنهما - والضحاك هى كلمة لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ - فَسَنُيَسِّرُهٗ لِلْيُسْرٰى - قال الفرّاء اى سنهيئه قال العرب قد يسرت الغنم اذا ولدت اوتهيأت للولادة للخصلة التى هى حسنى والمراد بها طاعة الله ومرضاته قال القسطلانى والسين فى كلا الموضعين للتلطيف - وَاَمَّا مَنْ بَخِلَ - ولم ينفق ماله فى سبيل الله - وَاسْتَغْنٰى - عن الاخرة ورضى عن شهوات الدنيا - وَكَذَّبَ بِالْحُسْنٰى - اى بالجنة او بكلمة لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ - فَسَنُيَسِّرُهٗ لِلْعُسْرٰى - فسنهيئه للخطة العسرى والمراد بها الشر الذى يوصل عامله الى عذاب الله - قال القراء لقائل ان يقول كيف قال ذلك وهل فى العسرى تيسير - قيل فى جوابه انه اذا كان معنى التيسير التهيئة وذلك يكون فى اليسرى والعسرى ويؤيده ما قال النبى صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له - فالايمان ميسر للمؤمن والكفر للكافر - وَمَا يُغْنِى عَنْهُ شَيْئًا - مَالُهٗ - الذى كان يبخل به - اِذَا تَرَدّٰى - يقال ردى فى البئر وتردى اذا سقط - وقيل معناه مات وقال بعضهم اذا تردّى

اى اذا اسقط في النار وهو قول قتادة وابو صالح - واقال قوم معناه تردى في اكفانه - من الردى - ومنه قول مالك بن الريب

وخطا باطراف الاسنة مضجعي ... وردا على عيني فضل ردائيا

ان علينا للهدى - والمراد بالهداية هنا الايصال الى البغية - اى انا نرشد كما الى الهدى - قالت المعتزلة ان كلمة على للوجوب فدل على انها واجبة على الله تعالى - اقول ان الوجوب بالمعنى المتعارف وهو الذي يستحق تاركه الذم والذي يستحق تاركه العذاب فليس شئ على الله تعالى - واجب بهذين المعنيين لان المادي عز اسمه عندنا فاعل مختار فلا يجب عليه شئ من الاشياء فالوجوب بمعنى اصلاح العبد ابضا لا يجب عليه قال الزجاج علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال - قال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله لقوله وعلى الله قصد السبيل - وقال الفراء ايضا ان علينا الهدى والاضلال فحذف الاضلال - كقوله سرابيل تقيكم الحر اى الحر والبرد وان لنا للاخرة والاولى - اى نحن مالك الدين والدنيا فنتصرف فيهما كيف نشاء - فالهداية الى الدين والميل الى الدنيا ليس لاحد قدرتنا واراداتنا والعبد ليس في قدرته الا الاكتساب ما قدرناه فان اراد الخير والهدى ادركه قدرتنا فاهتدى واختار الصراط المستقيم الذي يوصله الى الجنة والنعيم وان مال الى الضلال والعمى ادركه قدرتنا فغوى - واثر السبيل الذي يؤديه الى نار الجحيم - فانذرتكم على لسان الرسل - نارا تلظى - الانذار التخويف بشئ يوجد في الاستقبال - وتلظى اصله تتلظى فحذفت احدى التائين تخفيفا وقرئ

على الاصل اللظى النار وقيل اللهب الخالص قال الاخفش
في موقف ذرب الشبا وكأنما فيه الرجال على الاطائم واللظى
وتلظى النار تلهبها - ونار تلظى اى تتلهب وتتوقد - لا يصلاها -
صلى يصلى اى دخل يدخل - الا الاشقى الذي كذب وتولى
قال الفراء معناه الا من كان شقيا في علم الله انتهى - ويدل هذه
الاية ان النار لا يصلاها احد من الناس الا من يوجد فيه هاتان
الصفتان احداهما التكذيب وثانيتهما التولى فمن كان فيه هاتان
الصفتان فانه هو الاشقى - فليس مكانه الا النار - ومن وجد فيه
احداهما فهو ايضا في النار لان كل واحدة منهما توجب دخول
النار - ومن لم توجد فيه لم يدخل النار لانتفاء علة موجبة له
وسيجنبها الاتقى - قال اكثر المفسرين ان المراد به ابو بكر الصديق
رضى الله عنه واليه ذهب الواحدي في تفسيره - قالت الشيعة انها
نزلت في شان علي بن ابي طالب رضى الله عنه - والدليل عليه قوله
تعالى - ويؤتون الزكوة وهم راكعون - فقوله الاتقى الذي يؤتي
ماله يتزكى اشارة الى ما في تلك الاية من قوله يؤتون الزكوة
وهم راكعون - قال الامام الرازي في جوابه ان المراد من هذا
الاتقى افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - لقوله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم - والاكرم هو الافضل - فثبت
بمجتمعة على ان افضل الخلق بعد رسول الله [illegible] رضى الله
عنه فيكون هو الاتقى انتهى - فيرد عليه ان كلا من هذين
القولين باطل - لانه لو كان كذلك لما وجب ان يكون [illegible] رضى الله عنه

امّا الباقون من الصحابة رض واهل بیته صلے اللہ علیہ وسلم فانّهم لا یجتنبون النّار - بل یدخلونها هذا علے تقدیر انّ یراد بالاتقی ابو بکر الصّدیق رض اللہ عنه لوجب ان لا یجتنب النّار الّا هو - واما ما عداه من الصحابة واهل البیت فانّهم لا یجتنبون النّار - والعجب من الامام الرازی رض کیف قال مثل هذا القول مع تبحّره - واما ما قال الامام الرازی رض انّ افضل الخلق بعد النبی ص هو ابو بکر الصدیق رض فهو ایضا باطل لانه قد تقرّر ان عیسے علیه السلام - ینزل فی هذه الامّة قرب قیام السّاعة ولا مریة فی کونه رسولا وخلیفة اللہ علے الامّة المحمّدیة وان کان لا یبعث بکونه رسولا بل یبعث بکونه تابعا للنبی صلے اللہ علیه وسلم - الا انّه اکرم الامّة واشرفها بکونه خلیفة اللہ وظاهر انه بکونه خلیفة اللہ معصوما عن الخطاء فلا بدّ ان یکون علیه السّلام - افضل من ابی بکر الصدیق رضی اللہ عنه - لکونه خلیفة رسول اللہ وعلم عصمته - قال الامام الرازی رض والدلیل علے کونه افضل الخلق قوله تعالے انّ اکرمکم عند اللہ اتقاکم - اقول انّ المخاطبین اما ان یکونوا صحابة رسول اللہ صلے اللہ علیه وسلم - فیلزم ان یکون الدلیل اخصّ من المدعوی وهو باطل واما ان یکونوا هم المؤمنون الی یوم القیامة فیلزم ان یکون الاکرم وهو ابو بکر رضے اللہ عنه افضل من عیسے علیه السلام - و المهدی علیه السّلام - لانّهما یبعثان فی هذه الامّة وهما یکونهما خلیفتین للہ تعالے افضل الخلق بعد رسول اللہ صلے اللہ علیه وسلم فلا یجوز ان یکون ابو بکر رض افضل الخلق والحق انّ الانبیاء علیهم السّلام اکرمون ولیسوا افضل من رسول اللہ صلے اللہ علیه وسلم - لانّ افضل

الخلق بالاجماع هو نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبطل
أن يكون هذا الاتقى افضل الخلق - فما ذهب اليه الامام الرازي
وغيره باطل قطعا - والصحيح ان الاتقى عام يتناول كل من يؤتي الزكاة
ويتزكى ماله والله اعلم - الذي يؤتي ماله يتزكى - اي يعطي ماله
في وجوه الخير والانسب ان يقال يعطي ماله يتزكى ويتزكى
في محل الحال - قرأ الجمهور يتزكى من تزكى يتزكى - وقرأ على
ابن الحسين رضي الله عنهما - بادغام التاء في الزاء - وما لاحد
عنده من نعمة - اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان
تجزى - اي تجازى - الا ابتغاء - اي طلب - وجه ربه الاعلى
استثناء منقطع اي لا يجزى الا من اتى ماله ابتغاء مرضاة الله تعالى
بخلوص النية وصدق الارادة لاعلى قصد الاجر والثواب
قرأ الجمهور ابتغاء بالنصب والمد وقرئ بالقصر - وقال
الفراء ويجوز الرفع في ابتغاء على انه بدل من
محل قوله من نعمة - ولسوف يرضى
بما نعطيه من الاجر الجزيل والله
هو المؤطئة للقسم اي بالله
لسوف يرضى
تم تفسير هذه السورة فالحمد لله الودود - والصلوة على
من هو محمد ومحمود - مشفع المذنبين في يوم الموعود
وعلى اله واصحابه الذين كانوا حوله في المقام المحمود

تم

سورة الضحى مكية وهي إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وخمسة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى - اي اقسم بالضحى وهو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار وقيل وقت الضحى من طلوع الشمس الى ان يرتفع النهار وقيض الشمس جدا اثر بعد ذلك الضحاء الى قريب من نصف النهار - قال الفراء وضحاها نهارها وكذلك قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى هو نهاره كله - قال الجوهري الضحى مقصور لانه تؤنث وتذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل مثل صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن - وبه سميت صلاة الضحى - قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضحوا بصلاة الضحى اي صلوها لوقتها ولا توخروها الى ارتفاع الشمس - والليل اذا سجى - قال الفراء معناه اذا اظلم وركد في طوله كما يقال بحر ساج وليل ساج اي اذا اظلم وركد ومعنى ركد سكن وهو قول ابن الاعرابي ومنه قول الاعشى

فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم ... وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا

ومنه حديث علي المرتضى رضي الله وكرم وجهه والليل واج والبحر ساج اي ساكن - قال الزجاج سجا سكن - وانشد ابن الاعرابي

فمر كبة الفرعاء والليل ساج ... وطرق مثل ملاء النساج

قال الاصمعي سجو الليل تغطيته للنهار - مثل ما يسجى الرجل بالثوب - وقيل ليلة ساجية اذا كانت ساكنة البرد والريح وامرأة

ساجية وعين ساجية وسجواء اي فاترة الطرف ساكنة - وجاء في الحديث لما مات النبي عليه الصلاة والسلام - يبكي ببرد حرة اي عشية اي اقسم بالليل الذي اذا اظلم وسكن - ما ودعك ربك وما قلى قال المفسرون ان اليهود سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف فقال ساخبركم غدا ولم يقل انشاء الله فاحتبس عنه الوحي قيل اثنا عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما فاشهر ابطاء الوحي بين الكفار فقالوا قد قلاه الله وودعه فانزل الله تعالى هذه الاية - وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما - ابطاء الوحي مرتين على الرسول عليه الصلاة والسلام وهو بمكة حتى شق ذلك عليه - فقالت امرأة ابي لهب يا محمد ما ارى شيطانك الا تركك فنزلت وقال زيد بن اسلم انما احتبس عنه جبريل عليه السلام لجرو كلب كان في بيته - قرأ الجمهور ما ودعك بتشديد الدال اي ما تركك والودع الترك والتوديع مبالغة فيه - ومنه قول الشاعر

وكان ما قدموا لانفسهم اكثر نفعا من الذي ودعوا

وما قال ابو حيان في تفسيره وأستغنت العرب في فصيح كلامها بترك وودع وورث وعن اسم فاعلهما بتارك وعن اسم مفعولهما بمتروك وعن مصدرهما بالترك وهو منظور فيه اقول قال صاحب اللسان وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما - ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعة ليختمن على قلوبهم عن تركهم اياها - وقد جاء في بيت الشنفرى ابو علي الفارسي في البصريات

فَأَيُّمَا مَا اتَّبَعَنْ فَإِنَّنِي ... حَزِينٌ عَلَى تَرْكِ الَّذِي أَنَا وَادِعُ

وَانْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ

وَسِرْتُ الْمِطِيَّةَ مَوْدُوعَةً ... تُضْحِي دَوِيًّا وَتُمْسِي دُوَيْلًا

وهذه الشواهد تدل على انّ الودع ومشتقاته من الفاعل والمفعول كانت مستعملة وكان استعمالهم صحيحًا في القياس والوجه انّ اكثر كلامهم قد ضاع في الحروب والاغارات والارتحال من مربع الى مربع فبقي منه اقل قليل - ولهذا قال ابن الاثير انّ المصدر ومشتقاته تستعمل قليلًا - فما زعم ابو حيّان وبعض النحاة ان الودع وبعض مشتقاته اماتها العرب ضعيفٌ ومن يكون افصح العرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانّه قال عن ودعهم الجمعة - ولذلك قرأ عروة بن الزبير وابنه هشام ووَدَعَكَ بالتخفيف والقِلَى البُغضُ يُقَالُ قَلَاهُ يَقْلِيهِ قِلًى - وحكى سيبويه قَلًى يَقْلِى قال صاحب اللسان وهو نادرٌ وحكى ابن جنّى قَلَاهُ وقَلِيَهُ قال دأدي يَقْلِى انّما هو على قَلِىَ بكسر اللام - انتهى ويقال في المصدر قَلَاءٌ بالمد ومنه قول نصيب -

عَلَيْكَ السَّلَامُ لَا مُلِلْتَ قَرِيبَةً ... وَمَالَكَ عِنْدِي إِنْ نَأَيْتَ قَلَاءُ

قال الفرّاء وقوله مَا قَلَى التّابعُ الذي يكونُ مَعَهُ ولذلك قال المشركون قد ودّعَ محمّدًا ربّه وقَلَاه - فانزل الله تعالى ما وَدَّعَكَ ربّكَ وَمَا قَلَى اذا دعما فلاك فالقى الكاف قد اعطيتك واحسنت والمعنى واحسنت اليك فيكتفي بالكاف الاولى من اعادة الاخرى قال الزّجاج ومعناه لم يقطع الوحي عنك ولا ابغضك - وَلَلْآخِرَةُ

خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولٰى - اى من الدنيا - وذلك لانّ الاخرة باقية خالصة عن الشوائب والمكاره والدّنيا مملوّة بالاكدار والمضارّ قال صاحب الكشاف فان قلت كيف اتّصل قوله وللاخرة خير لك من الاولى بما قبله قلت لمّا كان فى ضمن التوديع والقلى - انّ الله مواصلك بالوحى اليك وانت حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجلّ منه اخبره ان حاله فى الاخرة اعظم من ذلك واجل وهو السّبق والتقدّم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امّته على سائر الامم - ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته - وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى - قال ابو حيّان واللاّم فى قوله للاخرة ولسوف لام ابتداء اكّدت مضمون الجملة اى ولانت سوف يعطيك وهو مبتدأ - انتهى - وجمعهما مع سوف للدلالة على انّ العطاء كائن لا محالة وان تاخر والمراد بالعطاء عطاء الدارين - امّا العطاء فى الدّنيا فهو ظهور امره واعلاء دين الاسلام - وفتح مكّة وفتوح البلدان والامصار بعد وفاته مثل روم وفارس وغيرهما - واما فى الدين فهو اجابة شفاعته فى حقّ اهل الكبائر من امّته وتقدّمه على سائر الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسّلام - وارتقائه من مقام المحامدية الى المقام المحمود وليس فوقه مقام عند اهل الحقّ والتحقيق - ثمّ ذكر الله سبحانه ما افاض عليه من نعمه السابغة - اَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَاٰوٰى - الوجه بمعنى العلم اى الم يعلمك يتيما فاوى فى فضله ورحمته او بمعنى المصادفة اى الم يصادفك يتيما وعلى هذا

يكون يتيمًا حالك - والمعنى الم تكن يتيمًا وذلك انّ ابا ه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امّه وهو ابن ثمان سنين فكفّله عمّه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته هذا ما ذكر لا صاحب الكشاف - قرأ الجمهور فما وأي يقال اوى يأوي ايواءً وابوا لاشهب اوى ثلاثيًا بمعنى رحم - قال الشاعر

أَرَانِي وَلَا كُفْرَانَ لِلّٰهِ آيَةً لِنَفْسِي لَقَدْ طَالَبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ

اراد اويت لنفسي اية اى رحمتها ورققت لها وهو اعتراض غير منيل اى مُقلق من الفزع - وقال ذو الرمة

عَلَى أَمْرٍ مَنْ لَمْ يُشْوِنِي ضُرَّ أَمْرِهِ وَلَوْ أَنِّي اسْتَاوَيْتُهُ مَا اوَى لِيَا

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدٰى - قال الزجّاج معنى ضالًّا لم تكن تدري القران ولا الشرائع فهداك لذلك وليس الاعتراف به عن الحق فهذا كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان - قال الفرّاء معناه وجدك في قوم ضلال فهداهم الله بك وهو يقول الكلبي والسدي - وقيل ضلاله من حليمة مرضعته - قال ابو حيّان معناه على حذف المضاف اى وجد قومك ضالًّا - نحو قوله تعالى واسئل القرية - قال الامام الرازيّ وروي مرفوعًا انّه عليه الصلاة والسلام قال ضللت عن جدّي عبد المطلب وانا صبيّ ضائع كاد الجوع يقتلني فهداني الله ذكره الضحاك وذكر تعلقه باستاد الكعبة وقوله -

يَا رَبِّ رُدَّ قَالِيَ مُحَمَّدًا أُرْدُدْهُ رَبِّ وَاصْطَنِعْ عِنْدِي يَدَا

فما زال يردّد هذا البيت عند البيت حتى اتاه ابو جهل على ناقته

وبيان قوله تعالى ووجدك ضالًّا فهدى وجدك عائلًا فاغنى

و محمد بين يديه و هو يقول ما ذا ترى من ابنك فقال عبد المطلب
و لم قال إني أخت الناقة و اركبته من خلفي فابت الناقة ان تقوم
فلما امر كبته امامي قامت الناقة - قال ابن عباس رده الله الى جده
بيد عدو له كما فعل بموسى حين حفظه على يد عدوه اقول والضلال
هو النسيان كما قال الله تعالى ممن ترضون من الشهداء ان تضل
احداهما فتذكر احداهما الاخرى معناه ان تنسى و هذا قول الزجاج
و الآية تدل على ان سبحانه تعالى تعاهد اصلاح محمد صلى الله عليه
و سلم - و تربيته على نفسه فلذلك قال الم يجدك يتيما فاوى
اى جعل له ماوى عنده فربّاه باحسن تربية و اصلحه اصلح تهذيب
ثم قال و وجدك ضالا اى ناسيا كنه نفسه لانه صلى الله عليه وسلم
لم يكن عارفا ان نفسه اذكى و ابهى و اصفى من نفوس جميع الانبياء
و الرسل عليهم السلام - حتى انها كانت مرآة لتجليات صفات ربه
بل لذاته فهذا ادب العالمين الى معرفة نفسه حتى توصله الى
معرفة ذاته تعالى - و اليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم من عرف
نفسه فقد عرف ربه - و وجدك عائلا فاغنى - و العائل
هو الفقير - و منه قول جرير -

انما نزل في الكتاب فريضة لابن السبيل و للفقير العائل

و جاء في الحديث ان الله يبغض العائل المختال - من عال يعيل
عيلة - اى افتقر يفتقر افتقارا و منه قوله تعالى - و ان خفتم
عيلة - قال احيحة -

و ما يدري الفقير متى غناه و ما يدري الغني متى يعيل

اى يقنعك - قال مقاتل فاغناك رضاك بما اعطاك من الرزق وقيل اغناك بالقناعة والصبر - وقيل بالكفاف - اقول ووجدك عائلا اى محتاجا وذلك لان كل ممكن محتاج الى من هو جاعله ومربيه فاغناك اى اوصلك من مقام العيلة والفقر الى مقام الغنى حتى جعلك غنيا فهذه الاية تدل على ان لرسول صلى الله عليه وسلم عروجا من الامكان الى مقام الغنى والصمدية وهذا منتهى سير الممكن وعروجه والله اعلم بالصواب - فاما اليتيم فلا تقهر قال مجاهد لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما - قال الفراء والزجاج لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه - قال الاخفش لا تسلط عليه بالظلم اردع عليه حقه واذكر نعمتك - قرأ الجمهور تقهر بالقاف وابن مسعود رضى الله عنه بالكاف اى فالا تكهر - قال ابو حيان وهى بمعنى قرأ الجمهور - وزعم يعقوب ان كافه بدل من قاف تقهر - والكهر هو الانتهار جاء فى حديث معاوية بن الحكم السلمى انه قال ما رايت معلما احسن تعليما من النبى صلى الله عليه وسلم - فبابى هو وامى ما كهرنى ولا شتمنى ولا ضربنى - قال ابن الاثير هكذا ايرد فى كتب الغريب - ومنه شعر زيد بن الخيل -

ولست بلذى كهرورة غير انني ... اذا طلعت اولى المغيرة اعبس

واما السائل فلا تنهر - النهر هو الزجر والمخاطبة فى هاتين الايتين وان كان الرسول صلى الله عليه وسلم - الا ان هذا الحكم عام يتناول الامة - واما بنعمة ربك فحدث قال الاكثر ان المراد بالنعمة القرآن واليه ذهب الفراء

وقال الزجاج هي النبوة وعلى الاول يكون اقرء القرآن
على الناس اهل هم اليه - وعلى الثاني حدث الناس بانك
نبي وبلغهم ما انزل الله اليك من الاوامر والنواهي والوعد
والوعيد - والزواجر والمواعظ - قال صاحب الكشاف -
المراد بالتحديث بالنعم شكرها - واشاعتها بريد ما
ذكر من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدل
ذلك انتهى - اقول والآية تدل على ان التحديث بنعمة الله
لولا الرياء والسمعة فيه امر مشروع ومنه قول النبي صلى
الله عليه وسلم - اعطيت جوامع الكلم واوتيت علم الاولين
والآخرين - وقال انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال انا اكرم الاولين
والآخرين وغيرها - فلا اعتراض على الصالحين الذين
حدثوا بما اعطاهم الله من المراتب العالية
ثم تفسير هذه السورة بعون الله الذي
هو الظاهر والباطن الصلوة
على النبي الذي بعث الى الانس والجن وعلى اله وا
اصحابه الذين هم سادة الكل
مسلم ومومن

سورۃ الم نشرح هی تسع آیات مکیۃ بالاتفاق

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ - الهمزة للانكار - فاذا دخل التقرير فيكون المعنى قد شرحنا لك صدرك - يقال شرح الشئ يشرحه شرحا - اى فتحه وبينه وكشفه - قال الراغب واصل الشرح بسط اللحم يقال شرحت اللحم ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهى وكشف قدسى - ومنه قوله تعالى - فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام - اى يبسطه ويلقى فيه نورا يهدى به الى الاسلام - ولذلك قال الشيخ الاكبر نور العقل لا يهدى الا قليلا الى تصديق وحدانية تعالى والايمان بانبيائه ورسله عليهم السلام - بل يهتدى اليه بنور يلقيه الله تعالى بفضله فى نفس عبده فيقوى من بالله ويسلم له كما قال الله تعالى - افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه - وقيل شرح الله صدره اى اعده الله لقبول الخير - وفيه اشارة الى شق جبريل عليه السلام صدره فى صباه او فى ليلة المعراج وغسله بماء زمزم وازاله ما فيه من الميل الى الصفات الحيوانية والقائه منها وملاه علما وايمانا - وانما قال صدرك ولم يقل قلبك لان محل الوسوسة الصدر ومنه قوله تعالى - يوسوس فى صدور الناس - فلذلك ناسب ان يقال صدرك - قال الامام الترمذى قال محمد ابن على الترمذى القلب محل العقل والمعرفة وهو الذى

یقصده الشیطان و یحیی الصدر الذی هو حصن القلب فاذا وجد فیه مسلکا اغار فیه و نزل جنده فیه و بث فیه الهموم و الحرص فیضیق القلب ج و لا یجد للطاعة لذة و لا للاسلام حلاوة و اعلم ان الله تعالی علی محمد صلی الله علیه وسلم لطفا من ربه او فضلا - و اسعا لامته تعالی شرح صدره ملأه نورا و حکمة و هذا افضل خص به بین الانبیاء علیهم السلام - لان موسی علیه السلام مع کونه نبیا جلیلا مرسلا لم یعطه الله هذا الکلمة حتی دعا ربه و قال رب اشرح لی صدری و یسر لی امری - قرأ الجمهور المنشرح بجزم الحاء - و قرأ ابو جعفر بفتحها و خرجه ابن عطیة علی انه الم نشرحن فابدل من النون الفا ثم حذفها تخفیفا - کما قال الشاعر

اضرب عنک الهموم طارقها ضربک بالسیف قونس الفرس

و قال صاحب الکشاف لعله ابا جعفر اشبع الحاء فی نحرجها فظن السامع انه فتحها - انتهی قال ابو حیان و لهذه القراءة تخریج حسن من هذا کله و هو انه لغة لبعض العرب حکاها - اللحیانی فی نوادره و هی الجزم بلن و الضرب بلم - و انشد قول عائشة بنت الاعجم تمدح المختار بن ابی عبید - و هو القائل یرثی الحسین ابن علی رضی الله عنهما -

قد کان سماک الهدی نبهه قائمه متی یتح له المختار فعمدا
فی کل ما اهم امضی رایه قدما و لم یشاور فی اقدامه احدا

بضرب یشاور - اقول و ما قال صاحب الکشاف اوجه و تخریج

القراءة على لغة نادرة غير مستحسن - والمعنى قد شرحنا لك صدرك - ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ - الوزر بكسر الواو الثقل والذنب وكذا الوَزْر بفتح الواو ويقال وَزَرَ يَزِرُ إذا حمل ما يثقل الظهر من الأشياء المثقلة ومنه قوله تعالى - ولا تزر وازرة وزر أخرى قال الأخفش اى نفس آثمة ذنب نفس أخرى - والوضع الحط - اى حططنا عنك ثقلك ما سلف منك قبل النبوة من الزلات ومثله قوله تعالى - ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ - ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ - قال ابو حيان قال اهل اللغة يقال انقض الحمل ظهر الناقة اذا سمعت له صريرا من شدة الحمل - ومنه قول عباس بن مرداس

وَانْقَضَ ظَهْرِي مَا تَطَوَّيْتُ مِنْهُمُ ... وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ مُشْفِقًا مُتَحَنِّنًا

فيكون المعنى اى جعله يسمع له نقيض من ثقله - قال مجاهد والاصل فيه انّ اذا اثقله الحمل سمع له نقيض يقال قد انقض ظهر فلان اذا سمع له نقيض وكل صوت المفصل واصبع ورحل نقيض

ومنه قول الشاعر

وَحَزٌّ يُنْقِضُ الْأَضْلَاعَ مِنْهُ ... مُقِيمٌ فِي الْجَوَانِحِ لَنْ يَزُولَا

وقال ذو الرمة

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مِنْ إِيغَالِهِنَّ بِنَا ... أَوَاخِرَ الْمَيْسِ أَنْقَاضُ الْفَرَارِيجِ

اراد كأنّ أصوات أواخر الميس انقاض الفراريج - اذا اسرعت الركاب بنا والايغال الاسراع - واعلم انّ الذنب هل يقع من الانبياء امّا - قال العلماء اجمع اهل الملل والشرائع كلهم على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب اذ لو جاز عليهم التقوّل

لا دّی الی ابطال دعوتهم فلا فائدة فی بعثتهم - واختلف فی صدوره سهوًا او نسیانًا فقال یجوز وقال بعضهم لا یجوز والیه ذهب الاستاذ ابو اسحٰق وغیره من الائمة - وهو الصحیح واما ما سوی فهو اما ان یکون کفرًا او یکون غیره - امّا الکفر فاجمعت الامّة علی عصمة الانبیاء منه والشیعة یجوّزون اظهاره تقیة عند خوف الهلاک وهو باطل لانّه یفضی الی ترک تبلیغ الرسالة فانقلب الموضوع امّا غیر الکفر فهو اما کبائر واما صغائر وکل منهما اما ان تکون عمدًا او امّا ان تکون سهوًا - امّا الکبائر فلا تصدر منهم عند الجمهور من اهل السنّة وعند المعتزلة لا عمدًا ولا سهوًا او امّا الصغائر ففیه اختلاف قیل یجوز صدورها وقیل لا یجوز والصحیح ان الصغائر لا یجوز ان تصدر منهم عمدًا امّا صدورها سهوًا فهو جائز اتفاقا لانهم لا یستقرون علیها بالالقاء والالهام - والصغائر الخسیسة کسرقة حبّة او لقمة فلا ینبغی صدورها منهم لا سهوًا ولا عمدًا هذا بعد ان یبعثهم الله واما قبل البعث فلا یمتنع ان یصدر منهم الکبیرة عقلًا وسمعًا هذا مذهب اهل السنّة - وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فی الدنیا والاخرة اما فی الدنیا ففی الاذان والاقامة والتشهد والصلوٰة والخطب وفی القران وتسمیته برسول الله ونبیّ الله وفی کتب الانبیاء الاولین وباشاعة دین الاسلام شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا وبانّه تعالی وتقدس جعل اسمه منضمًا باسمه فی کلمة الشهادة - ولنعم ما قال حسان بن ثابت

رضي الله عنه في قصيدته -

أعزّ عليه للنبوّة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد
وضمّ الإله اسم النبيّ مع اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشقّ له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمّد

اما في الآخرة فلكونه مبعوثاً في المقام المحمود - كما قال الله تعالى

عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً - فإنّ مع العسر يسراً
إنّ مع العسر يسراً - قال الفرّاء والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هناك معهود سابق فيصرف الحقيقة فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئاً واحداً - واما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان احدهما غير الآخر وزيّف الجرجاني هذا وقال اذا قال الرجل انّ مع الفارس سيفاً ثم قال انّ مع الفارس سيفاً يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان ومعلوم انّ ذلك غير لازم من وضع العربية - وجاء في الحديث لن يغلب عسر يسرين - فإذا فرغت - من تبليغ احكام القرآن فانصب الى عبادة الله واجتهد فيها او اذا فرغت من فرضك فانصب الى النفل او اذا فرغت من المكتوبات فانصب الى التهجد وإلى ربّك فارغب - الى ذكره وراقب - او فارغب الى فضله وكرمه - قرأ الجمهور فرغت بفتح الراء - وابو السمال بكسرها وهي لغة قال صاحب الكشاف - لبست بفصيحة - وقرأ فانصب بسكون النون اباء - وقرئ انصرفون من الامامية فانصب بكسر الصاد بمعنى اذا فرغت من الرسالة فانصب خليفتي - قال ابو حيّان

ان مع القارب سيفا

قال ابن عطية وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن
عالم انتهى - وقرأ أذيد بن علي فارغب امرأ من رغب بتشديد
الغين ومعناه فرغب الناس الى الله - وقال الزجاج معنى قوله
فارغب اجعل رغبتك - خصوصا الى الله وحده - اقول وهذه
الآية تدل على التوكل وتفويض الامور الى الله جل شانه
فامر نبيه صلى الله عليه وسلم - والى ربك فارغب
ولا ترغب الى ما سواه - وقدم قوله والى
ربك لافادة الحصر كما في قوله
تعالى - إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ
نستعين - والله اعلم بالصواب - تم تفسير هذه السورة
بحمد الله وكرمه فالحمد لله رب العالمين والصلوة
على نبيه سيد المرسلين وآله واصحابه اجمعين

سورة التين مكية في قول الجمهور وهي ثمان آيات وقيل وتسع وقيل وعشر آيات وهي مدنية وقيل والاول هو الصحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين - وفيه اقوال الاول هو التين الذي يأكله الناس غذاء ودواء وهو اطيب الفواكه واحلاها والذها اسرعها هضما اليها طبعا يقوي الكبد وينقي الكلية وقيل يطول الشعر ياء من اكله من بلاغ القرائح والاستحضار - والثاني هو دمشق والزيتون فلسطين والثالث هو الجبل الذي يقرب من دمشق - والرابع هو بلاد الشام والخامس هو مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي - والزيتون - روى عن قتادة انهما جبلان بالشام على احدهما دمشق وعلى الاخر بيت المقدس - قال ابو حيان وفي شعر النابغة ذكر التين وشرح بانه جبل مستطيل قال النابغة -

صهب الظلال اين التين عن قنن يرجين حينا قليلا ماؤه شبما

انتهى يصف السحائب التي لا ماء فيها - وقال ابن عباس هو تينكم وزيتونكم - وقيل جبلان وقيل مسجدان - قال الفراء سمعت رجلا من اهل الشام وكان صاحب تفسير قال التين جبال ما بين حلوان الى همذان والزيتون جبال الشام - والاقوال في تفسيرهما مضطربة لا فائدة في ذكرها - وهو من الزيت والنون فيه زائدة وهو مثل قيعون من القاع كذلك الزيتون شجر الزيت وهو الدهن وارض كثيرة الزيتون على فيعول مادة على حيالها

والاكثر فعلون من الزيت - والواحد زيتونة - قال ابن جني هو مثال فائت - قال صاحب اللسان ومن العجب ان يفوت الكتاب وهو في القرآن العزيز وعلى افواه الناس - يقال لشجرتها زيتونة ولثمرتها زيتونة - وطور سينين - سيناء وسينين اسمان للمكان الذي حصل فيه الجبل قال صاحب اللسان والسنينة رمال مرتفعة تستطيل على وجه الارض وجمعها سنائن قال الطرماح - وارطاة قحف بين كسرى سنائن وقيل اسم موضع فيه الطور - قال قتادة سنين بلغة الحبشة المبارك الحسن قال مجاهد هو المبارك بالسريانية وقال الكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر - قال الاخفش طور جبل وسنين شجر واحدته سنينة - قال ابو علي الفارسي هو على فعليل كزيتون غير اللام اي النون وهو اسم غير منصرف قال كعب الاحبار هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام - قرأ الجمهور سينين بكسر السين وابن اسحق وابو حياة بفتح السين قيل هي لغة تميم قال صاحب الكشاف سنون وبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء تحريك النون بحركات الاعراب انتهى - وقرأ عمر رضي الله عنه وعبد الله وطلحة سيناء بكسر السين والمد وزيد ابن علي بفتحها والمد - وانما قسم الله تعالى بهذه الاشياء لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية قال ابو حيان فنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه الصلوة والسلام ومولد عيسى عليه السلام والطور هو المكان الذي نودي عليه موسى عليه الصلوة والسلام

و مکة مولد رسول الله صلی الله و مبعثه و مکان البیت
الذی هو هدی للعالمین انتهی و کذا ذکر ابن کثیر فی تفسیره
و قال و ذکروا الاماکن الثلثة فی اخر التوراة یاء الله من طور
سیناء یعنی الذی کلم الله علیه موسی علیه السلام و اشرق
من ساعیر یعنی جبل بیت المقدس الذی بعثه الله منه عیسی
علیه السلام و استعلن من جبال فاران یعنی جبال مکة التی
رسل الله منها محمدا صلی الله علیه و سلم فذکرهم مخبرا بهذا
الترتیب الوجودی بحسب ترتیبهم فی الزمان و لهذا اقسم
بالاشرف ثم الاشرف منه ثم بالاشرف منهما - انتهی - اقول
و اما ذکر من کون رسول الله صلی الله علیه و سلم اشرف من
موسی علیه السلام و عیسی علیه السلام فهو صحیح معتقد به
و اما کون عیسی علیه السلام اشرف من موسی علیه السلام
فلا دلیل علیه من کتاب و سنة - و لا اجمع الامة علیه و الترتیب
فی الذکر لا یدل علی کرامة المتأخر و شرفه الا تری ان قولک
جاءنی زید فعمرو لا یدل علی ان عمرا اشرف من زید و اکرم
منه - و ما قال الشیخ الاکبر فی الفتوحات فی جواب السؤال
الخامس و الاربعین و مائة و لیس فی الرسل اکثر اتباعا من
موسی علیه السلام - کما اخبر رسول الله صلی الله علیه و سلم
فی الصحیح حین رای سوادا اعظم فقال له هذا موسی علیه السلام
و امته و قد قال صلی الله علیه و سلم انه سید الناس یوم القیامة
فاقول ان هذا الحدیث خبر واحد و یخالف الامر البدیهی و هو کون

النبي صلى الله عليه وسلم - اكثر اتباعا منه عليه السلام - لكونه
مبعوثا على كافة الناس فلا يحتج به - واما كونه عليه السلام
سيد الناس يوم القيامة فمعناه سيد بني اسرائيل يوم القيامة
والا فالنبي صلى الله عليه وسلم - مقدم جماعة الرسل
والانبياء عليهم السلام - في ذلك اليوم وهو امر مجمع
عليه - وَهٰذَا الْبَلَدِ الْاَمِيْنِ - وهو مكة وهي التي قال الله
تعالى في شانه المبارك مَنْ دَخَلَهٗ كَانَ اٰمِنًا وهو قول ابن عباس
ومجاهد وابراهيم النخعي وابن زيد وكعب الاحبار رض وقال
الفراء الامين بمعنى الامن او فعيل بمعنى المفعول اي مامون
من الغوائل - لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِيْ اَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ - هذا
جواب القسم - قال ابراهيم النخعي ومجاهد وقتادة احسن صورة
وهيأته وقيل انتصاب قامته - ذكر الواحدي في مرح البيد
ان الله خلق كل ذي روح مكبا على وجهه الا الانسان خلقه
مديد القامة - انتهى - اقول ان قوله كل ذي روح يتناول
الملك والجن وانهما لم يخلقا مكبين على وجوههما - كما هو مذكور
في الروايات الكثيرة - قيل والمراد بالتقويم التعديل في الاعضاء
والتناسب في القوى - قال ابو حيان واحسن صفة لمحذوف
اي في تقويم احسن انتهى - اقول والانسان اذا خلقه الله
تعالى وقدّسه ونفخ فيه من روحه واستخلفه في الارض
يجب ان يكون حاملا لاعباء خلافته ولا يمكن له ان يتحمل
ذلك الا بعد كونه قوا مرايا لظلال صفات الله تعالى واسمائه

فلا بد ان تكون اعضاءه في احسن تقويم - وقواه في اعدل مزاج - والله اعلم - ثم رددناه اسفل سافلين - قال عكرمة والضحاك والنخعي بالهرم وذهول العقل وتغلب الكبر حتى يصير لا يعلم شيئا - قال صاحب الكشاف في تفسير هذه الآية فقال في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية اعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية اذ رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار واسفل من سفل من اهل الدركات - او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتدال وابيض شعره بعد سواد وملئ تن جلده اوكان ضريرا وكان سمعه وبصره واكانا حديدين وتغير كل شيء فيه فمشيه دلف واصواته خفات واقواته ضعف وشهامته خرف انتهى - الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون - قبل والاستثناء منقطع والمعنى لكن الصالحين منهم الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير مقطوع وروي في الحديث ان المؤمن اذا بلغ مائة ولم يعمل كتب له مثل ما كان يعمل في صحته ولم تكتب عليه سيئة وفيه ايضا ان المؤمن اذا رد الى ارذل العمر كتب له ما كان يعمل في قوته فقوله الا الذين امنوا استثناء من اهل الشعور لم يخرجوا من حكم المكلفين فعليهم ان يواظبوا على الطاعات قياما

او قعودًا او استلقاءً وان لم يكونوا شاعرين فليسوا مكلّفين فلهم حكم المجانين والمعتوهين - وقيل هو استثناءٌ متّصل اذا استثنى من اهل النار والمعنى على هذا التقدير غير خفيّ والمنّ قال بعض المفسرين معناه الحسبان اى غير محسوبٍ وقال الجوهري هو القطع وقيل النقص ومنه قول لبيد بن ربيعة -

لِمُعَفِّرٍ قَهَدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبُ لَا يَمُنُّ طَعَامَهَا

اى لا يقطع طعامها - فما يكذّبك بعد بالدّين - قال الجوهري اى ما الذى يكذّبك اي يجعلك مكذبا بالدين اي البعث والجزاء وانما عبر بعد اقامة الدلائل الدالة عليه ان لا يكون مبعوثًا والاستفهام للتهديد والتخويف فيكون المعنى اما عرفت يا ايّها الانسان انا خلقناك من نطفةٍ وقلّبنا عليها انقلبات كثيرة حتى قوّمناك بشرًا سويًّا وحوّلناك من حال الى حال الى الكمال ثم غيّرناك من طور الى طور في النقصان اما فهمت انّ لك خالقًا قادرًا مريدًا اخلقك اذ لم تكن شيئًا فهو قادرٌ على ان يعيدك اذا كنت ميّتًا فبعد هذه الدلائل البينة اى شيءٍ يضطرّك الى هذا الكذب قال الفرّاء والمخاطب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم - فالمعنى فمن يكذبك يا ايّها الرّسول بعد ابانة هذه الدلائل البينة والحجج الساطعة بالدّين الحق والية ذهب الاخفش وقتادة وهو قول محمد بن جرير الطبري - اليس الله باحكم الحاكمين - وعيد للكفار واخبارٌ بعدله تعالى - ومعناه احكم الحاكمين صنعًا

وتدبرا ومن كان كذلك فهو قادر على الاعادة
والجزاء - قيل انّ هذه الآية تثبت الحاكمين سوى
الله تعالى - اقول هذا ليس بشئ - لان الكلام مبنى على
اسلوب محاورة العرب لانهم يقولون في عرفهم هذا
ابلغ البلغاء لمن كان انتهى الى حد البلاغة ونهايتها
ومعناه ان البلغاء الذين سواه ما انتهوا الى ما ابلغ فكانهم
ليسوا ببلغاء - واعراضهم بهذا القول انّه وحيد في البلاغة
فريد في البراعة ليس له مثيل ولا عديل - فيكون معنى
الآية انّ الحاكم هو الله وحده وليس لمن
سواه حكم ولا امر - والامراء والسلاطين
انما ينفذون امر الله وشرائعه على ما هي
منزّلة على انبيائهم عليهم السلام فليس الحكم
الا لله عز شانه في جل برهانه
تم تفسير هذه السورة فالحمد
لله الذي اعطانا العلم
والبيان والصلوة
على نبيه
المبعوث
لهداية كافة الانس والجان وعلى آله
واصحابه الذين شيدوا قواعد الدين والايمان

سورة اقرأ ويقال لها سورة العلق مكية وهي تسع عشرة وقيل وعشرون

وهي اول ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وعائشة رضي الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق - قال الامام احمد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة في النوم فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم - قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما الي اخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسي فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك

الله ابدًا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن اسد ابن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي وكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت خديجة اي ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال ورقة ماترى فاخبره رسول الله بما راى - فقال ورقة هذا الناموس الذي نزل على عيسى عليه السلام ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوَمخرجيّ هم - فقال ورقة نعم - لم يات رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا - ثم لم ينشب ورقة ان توفي - وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله - هذا هو الذي رواه احمد بن حنبل في مسنده ورواه البخاري ومسلم في الصحيحين - وفي رواية احمد انه غدا مرارا كي تردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام - فقال يا محمد انك رسول حقا فيسكن بذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل عليه السلام - فقال له مثل ذلك - قال ابن كثير وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري وقد تكلمنا على هذا

الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في اول شرحنا
للبخاري مستقصى فمن اراده فهو هناك محرر - انتهى قرأ الجمهور
اقرأ بهمزة ساكنة وقرأ الاعشى عن ابي بكر عن عاصم بحذفها
وهو على قول من يبدل الهمزة بمناسب حركتها فيقول قرا يقرا
مثل سعى يسعى فالامر منه اقر بحذف الالف مثل اسع واخش
ومفعوله محذوف اي اقرأ ما يوحى الله اليك - وقال بعضهم
مفعوله باسم ربك كما يقال اقرأ الحمد لله والباء في باسم ربك
متعلق باقرأ - وقال الاخفش الباء بمعنى على اي اقرأ على اسم الله
كما في قوله تعالى - اركبوا فيها باسم الله اي على اسم الله
واقيل متعلق بمحذوف وهو مبتدأ اي اقرأ مبتدئا باسم الله
او مفتتحا باسمه هذا هو الذي ذهب اليه صاحب الكشاف
وعلى هذا يكون باسم ربك في محل النصب على الحال - وقال
ابو عبيدة الباء صلة اي زائدة والمعنى اذكر ربك وقال وكذا
كلمة اسم صلة والمعنى اقرأ بتوفيق ربك وعونه - هذا ملخص
ما ذكره ابو حيان - وانما قال ربك ولم يقل باسم الله لان المقام
مقام التعليم والتربية والخطاب في قوله باسم ربك للاستيناس
ويجوز ان يكون للاختصاص والمعنى انه ربك لانه لم يربّ
احدا كما ربّاك بكمال فضله وتمام كرمه وانما ذكر صفة
الخلق دون غيرها لان هذه الصفة اعلى من جميع الصفات الفعلية
لانها تدل على ان هذا العالم البديع ليس له وجود بنفسه بل له
خالق حكيم صانع لا شريك له في فعله وارادته وصنعته خلقه بارادته

واصنعته ففيه ردٌّ بليغٌ للاصنام والآلهة خلق الانسان من علق وهو الدم الجامد والمراد به ذرّية آدم عليه السلام وانّما ذكر الانسان لكونه اشرف المخلوقات واكرمها وقال صاحب الكشاف اشرف ما على الارض - انتهى وانّما قال ذلك لانّ المعتزلة ذهبوا الى انّ الملك اشرف من الانسان - اقول ان اريد بالشرف الشرف باعتبار صفاء الجوهر ونزاهته من كل كدورة فلا شك في انّ الملك افضل من كل المخلوق وان اريد باعتبار كثرة الثواب ومزيّته فلا ريب في ان الانسان اشرف من نوع الملك لانّ عباداتهم بلا عوائق وعبادة الانسان بعوائق وموانع كثيرة فالعبادة التي لها عوائق او فرق ابا واكثر جزاء مما ليس كذلك فلا مرية في انّ الانسان افضل واشرف منهم بهذه الحيثية ثم القرآن الكريم يشهد بانّ الانسان مسجود وهم ساجدون له كما قال الله تعالى - فسجد الملائكة كلهم اجمعون وظاهران المسجود افضل من الساجد فالانسان بكونه مسجودًا افضل من الساجدين الذين هم الملائكة - والقول بان الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام - هم الملائكة الارضية لا يعارضه القرآن الكريم - وهو وهم نشأ من الاقاصيص الكاذبة - وانّما لم يذكر آدم عليه السلام لان الكفار لم يكونوا عارفين قصّته وما كان متقررًا في اذهانهم انّ آدم عليه السلام اصلهم وهم فرعه

اقرأ وربّك الاكرم الذي علّم بالقلم - والاكرم ضدّ اللؤم والكريم اسم جامع لانواع الخير والشرف والفضائل وهو من صفات

الله تعالى واسمائه وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه محمود الذات والفعل - ولذلك قال الفراء العرب تجعل الكبر تابعا لكل شيء نفت عنه فعلا تنوي به الذم - والاكرم مبالغة في معنى الكرم وزيادة فيه - الذي علم بالقلم - اي علم الانسان علم الخط بالقلم - قال الامام الرازي وفيه وجهان احدهما ان المراد بالقلم الكتابة التي تعرف بها الامور الغائبة وجعل القلم كناية عنها اقول وهو قول الزجاج والثاني ان المراد علم الانسان الكتابة بالقلم - قال وايروي ان سليمان عليه السلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة انتهى - قال قتادة القلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه - وقرأ ابن الزهير علم الخط بالقلم قيل ولعل ذلك تفسير - والقلم هو الشيء الذي يكتب به والجمع اقلام وقال اليزيد انشده ابن الاعرابي -

كأنني حين أتيها لتخبرني ... فما تبين لي شيئا بتكليم

صحيفة كتبت سرا الى رجل ... لم يدر ما خط فيها بالاقاليم

قال صاحب الكشاف ان قوله تعالى علم بالقلم دل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم وبنه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب المنزلة الا بالكتابة ولولاها لما

استقامت امور الدین والدنیا ولو لم یکن علی دقیق حکمة
الله ولطیف تدبیره دلیل الا مر القلم والخط لکفی به وبعضهم

فی صفة القلم

وَرَوَاقِمُ رُقْشٌ کَمِثْلِ أَرَاقِمِ قطف الخطا نیالة اقصد المدی
سُوْدُ الْقَوَائِمِ مَا یَجِدُّ مَسِیْرُهَا الا اذا العیت بها بیض المدی

انتهی اقول ویحتمل ان یقال ان القلم عبارة عن القلم الذی
روی فی الحدیث وهو اول ما خلق الله القلم - والمراد بالقلم عند
الحکماء العقل الاول الذی هو علة ما تحته من الموجودات وعند
العرفاء روح محمد صلی الله علیه وسلم - وهو اصل الکائنات
عندهم فالامر متحد والفظ مختلف - فیکون المعنی ان الله تعالی
علم کل شئ بواسطة العقل الاول او الروح المحمدی صلی الله علیه وسلم
علی اختلاف اللفظین فیکون افاضات الجواد افیاض القیوم
الحق علی الخلق بهذه الواسطة - ثم خصص الانسان بعد التعمیم
وقال - عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ یَعْلَمْ - والمراد بالانسان آدم علیه
السلام کما قال الله تعالی - وَعَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ کُلَّهَا - وقال خَلَقَ
الْاِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَیَانَ - وقیل رسول الله صلی الله علیه وسلم
لانه قال اوتیت جوامع الکلم وقال اعطیت علم الاولین والاخرین
کَلَّا - کلمة ردع وزجر من کفر نعمة تعالی - وقال الکسائی وهو
بمعنی حقا - وذهب ابو حیان وابن هشام انها بمعنی الا
الاستفتاحیة - لوقوعها بعده با نکسر - اِنَّ الْاِنْسَانَ لَیَطْغٰٓی
ان یجاوز حد البشریة روی انها نزلت فی ابی جهل ناصب

رسول الله صلى الله عليه وسلم - العداوة ونهاه عن الصلاة
في المسجد وقال لئن رايت محمدا يسجد عند الكعبة لأطأن
على عنقه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ عليه
وانتهره وتوعده فقال ابو جهل أيتوعدني محمد والله ما بالوادي
اعظم ناديا مني ويروي انه هم ان يمنعه من الصلاة فكفّ عنه
وروي انّ النبيّ كان يصلّي في المسجد وابو جهل قاعد بين يديه
فقيل ما يمنعك قال قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب قال ابن
عباس رض والله لو تحرك لاختطفته الملائكة والناس ينظرون اليه
وروي ابن جرير انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطأ على
رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه
فقيل له ما لك فقال انّ بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة
قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته
الملائكة عضوا عضوا - أن رآه استغنى - اي ان رأى نفسه
في الاستغناء بالاموال والعشيرة - قال الفرّاء لم يقل رأى
نفسه كما قيل قتل نفسه لان رأى من الافعال التي ترد اسما
وخبرا نحو الظنّ والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد - والعرب
تطرح النفس من هذا الجنس تقول رأيتني وحسبتني - اختلف في
قراءته فقنبل من رواية ابن شنبوذ وابن مجاهد واكثر
الرواة بقصر الهمزة بلا الف وافقه ابن محيصن والباقون بالمدّ
وهو رواية الزينبي عن قنبل وتغليط ابن مجاهد لقنبل في رواية
القصر ردّه الناس عليه والذي ارتضاه في النشر انه اخذ عن قنبل

اخير طريق ابن مجاهد والزينبي كابن شنبوذ والى ربيعة وغيرهما فيالقصر وجهًا واحدًا بلا ريب وان اخذ عنه بطريق الزينبي فالمدّ كالجماعة وجهًا واحدًا او ان اخذ بطريق ابن مجاهد فيالوجهين وهما يجيء ان عنه في الكافي - قال صاحب النشر ولا شكّ ان القصر ثبت واصحّ عنه من طريق الاداء والمدّ اقوى من طريق النصّ وبهما اخذ من طريقيه جمعًا بين النصّ والاداء ومن ثمّ ان ابن مجاهد لم يأخذ بالقصر هذا بعد ذي الغاية وخالف في الرّواية وقد وجه الخلاف بانّ بعض العرب يجذف لام المضارع واي تخفيفًا ومنه قولهم اراب الرجل جهدًا ولم تذهب اهل مكّة - بل قيل انها لغة عامة - وحيث صحّت الرواية به وجب قبوله - قال الامام الرازيّ ان اول السورة يدل على مدار العلم واخرها يدل على ذمّ المال وكفى بذلك رغبةً في الدين ونفرةً عن الدنيا - إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ - المرجع والرجوع والرجعى مصدر وفيه تهديد بليغ - أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ - قيل نزل في ابي جهل كما تقدم عَبْدًا - قيل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّىٰ - في المسجد الحرام - والتعميم خير من التخصيص قال صاحب الكشاف ان قوله الذي ينهى مع الشرطية في موضع المفعولين أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ - ذلك العبد المنهي اذا صلى - عَلَى الْهُدَىٰ - اي على هدى الله - أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ - اي امر بالاجتناب عن الشرك والاخلاص في الايمان والعمل - قيل المراد بالصلوة صلاة الظهر - قال ابو حيان هي اوّل جماعة اقيمت في الاسلام كان معه ابو بكر وعلي وجماعة من السابقين فنهاهم ابو طالب

ومعه ابنه جعفر فقال له صلّ جناح ابن عمك وانصرف مسرورًا
والشاعر ابو طالب يقول -

إنّ عليًّا وجعفرًا ثقتي عند ملمّ الزمان والكرب
والله لا اخذل النبيّ ولا يخذله من يكون من حسبي
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما اخي لامّي من بينهم وابي

واختلف في الخطاب في قوله ارايت فقيل الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم - وهو الظاهر وكذا في الثاني والثالث
وقيل الكافر فخاطبه تهديدًا او توبيخًا - ارايت ان كذّب
وتولّى - قيل ابو جهل فانّه جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم -
وتولّى عن الايمان وارايت الثاني والثالث لتاكيد الاول
وجواب قوله ان كان على الهدى محذوف يدل عليه جواب
ارايت ان كذّب وتولّى وهو قوله تعالى - الم يعلم بانّ الله
يرى - هذا ما ذهب اليه صاحب الكشاف - واعترض عليه
ابو حيان وقال واما تجويز الزمخشري وقوع جملة الاستفهام
جوابًا للشرط بغير فاء فلا اعلم احدًا اجازه بل نصّوا على وجوب
الفاء في كلّ ما اقتضى طلبًا بوجهٍ ما ولا يجوز حذفها الّا ان كان
في ضرورة شعر - اقول قال الشيخ الرضي في شرح الكافية
واذا كان جواب الشرط مصدّرًا بهمزة الاستفهام سواء كانت
بجملة فعلية او اسمية لم يدخل الفاء لان الهمزة من بين جميع
ما يغيّر معنى الكلام يجوز دخولها على ادات الشرط نحو قولك
ان اكرمتك اتكرمني كانك قلت ان اكرمتك تكرمني - قال

الله تعالى - اَرَاَيْتَ اِنْ كَذَّبَ وَتَوَلّٰى اَلَمْ يَعْلَمْ بِاَنَّ اللّٰهَ يَرٰى
انتهى - فاندفع الاشكال - واما قول النحويين الا ان كان في
ضرورة شعر فهو منظور فيه لان ديوان العرب الغرباء الجاهلين
هو الشعر ولم ينقل منهم كلام منثور في طبقة من طبقاتهم لان
حروبهم اغارت كلامهم ولم يبق شئ منه الا نزرا قليلا وهو
الشعر فلا محل لهم ان يقولوا ان هذا يجوز في الشعر ولا يجوز
في النثر فما جاء في القرآن فهو حتى احق بالاتباع وكفى به نظيرا
والاستفهام في قوله الم يعلم للتقرير والتهويل اي الم يعلم بان
الله يرى - كل شئ على حاله وشانه فيجازيه بما كان عليه من خير
والشر - فهو عالم بجميع المعلومات حكيم فلا يهمل عن علمه مثقال
ذرة لا في السماء ولا في الارض - وهذه الاية وان نزلت
في حق ابي جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله فهو شريك ابي جهل
في هذا الوعيد - ولا يرد عليه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة
والاوقات المكروهة لان المنهي عنه غير الصلاة وهو المعصية
ولا يرد المولى يمنع عبده من قيام الليل وصوم التطوع وزوجته
من الاعتكاف لان ذلك لاستيفاء مصلحته باذن ربه لا بغضا
لعبادة ربه - هذا ما ذكره الامام الرازي - كَلَّا - ردع لابي جهل
ونهيه عن عبادة الله او لما قال انه يقتل محمدا او ايطاء عنقه
لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ - اي عما هو فيه - واللام في لئن هي الموطئة للقسم
اي والله لئن لم ينته - لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ - السفع الجذب يقال
سفع بناصيته ورجله اي جذب واخذ - والمعنى لنضربنها

ولنأخذن بها اى لنقبضنه ولنذلنه الى النار - كذا قال الله تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام - وقال الازهري اى لناخذن بها الى النار ومنه قول الشاعر -

قوم اذا سمعوا الصريخ رأيتهم ... من بين ملجم مهره او سافع

اراد واخذ بناصيته ومن قال معناه للتسودن وجهه لان السفعة هو السواد فمعناه لنسمنه موضع الناصية بالسواد اكتفى بها من سائر الوجه لانه مقدم الوجه ومنه قول الشاعر -

وكنت اذا نفس الغوي نزت به ... سفعت على العرنين منه بميسم

اراد وسمته على عرنينه وهو مثل قوله تعالى - سنسمه على الخرطوم قال ابن سيده الناصية والناصاة لغة طيئية قصاص الشعر في مقدم الراس - قال الفراء ناصيته مقدم راسه - قال الازهري الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس لا الشعر الذي تسميه العامة الناصية وسمي الشعر ناصية لانها في مقدم الوجه من الوجه ومنه قوله تعالى - ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها - قال الزجاج معناه تنالها بما شاء قدرته في قبضته وهو سبحانه لا يشاء الا العدل - ناصية كاذبة - بدل من قوله بالناصية - وجاز ابدالها من المعرفة وهي نكرة لانها موصوفة فاستقلت فائدة - قرى ناصية بالرفع والتقدير هي ناصية وبالنصب على الذم والشتم - خاطئة - اى ناصية كاذبة في قولها وعملها وانما اسند الكذب والخطاء الى الناصية على طريق المجاز والمراد به نفس الكاذب الخاطئ - وفيه جزالة تظهر للكلام - فليدع

يا اباجهل نَادِيَهُ - اي اهل نادبه ودوي انّ ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم - اتهدّدني وانا اكثر اهل الوادي ناديًا فنزلت - والمراد ناصره وهو قول ابن عباس رضي الله عنه - سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ - اي الملائكة الغلاظ الشداد والمراد بهم خزنة جهنّم وهو قول الزجاج وقال الكسائي والاخفش وعيسى بن عمر واحد هم زابنٌ اى دافعٌ يقال زبنت الناقة بثفناتٍ رجليها عند الحلب فالزبن بالثفنات والركض بالرجل والخبط باليد وفي حديث علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه - كالثاب اضرّوس تن بن برجلها اى تدافع ومنه قول سوّار بن المضرب -

يدافع الدّهر عن احسابٍ قوتهم وزبونات اشوس نيحان

والزبونة من الرجال الشديد المانع وراء ظهره - ويقال لكل متمرّدٍ من الجن والانس وهو قول السيرافي ومنه قول حسّان

زبانية حول ابيارتهم وغورٌ لدى الحرب في المعمعه

قال الفرّاء الزبانية وهم يعملون بالايدي والارجل قرمٌ اقوى وقال الكسائي واحد الزبانية زبنيٌ وقال الاخفش قال بعضهم واحد الزبانية الزباني وقال بعضهم زابنٌ كما تقدّم وقال العرب لا تكاد تعرف هذا وتجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل اابابيل وعباديد - قرأ الجمهور سندع بالنون وبغير الواو وقرئ سيدع على المفعول - كَلَّا لَا تُطِعْهُ في

ترك الصلاة - واسجد - اي صل لله غير مكترث - واقترب
قال زيد ابن اسلم واسجد انت يا محمد واقترب - يا ايها جهل
من النار - والاية تدل على ان سجود العبد يقربه الى الله تعالى
كما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه - ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم - قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجد فاكثروا من الدعاء رواه ابو داؤد - وروي عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم - كشف الستارة والناس
صفوف خلف ابي بكر الصديق رضي الله عنه - فقال يا ايها الناس
انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها
المسلم او ترى وانى نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا فاما
الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعاء
فقمن ان يستجاب لكم - واليه ذهب اكثر
المفسرين - ولذلك ندعو ونتضرع في السجود
ولا ندعو مع رفع الايدي بعد الصلاة
المكتوبة لانه لم يرد في هذا الباب
حديث صحيح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم - واما المواضع التي
صح فيها رواية رفع الايدي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فانا نرفع الايدي فيها - تم تفسير هذه السورة والله الحمد والمنة
ومنه التوفيق والعصمة والصلاة على النبي الذي بعثه الله تعالى - لكافة الناس
رحمة - وعلى اله واصحابه الذين لهم فضائل جمة

سورة القدر مكية خمس آيات وثلثون كلمة مائة واثنان وعشرون حرفا عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم وعن عائشة رضي الله عنها وقال الكلبي ومقاتل نزلت بالمدينة وهو الصحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ - الضمير المفعول يعود الى القرآن وان لم يتقدم ذكره ليدل على نباهة شأنه واسند انزاله الى ذاته دلالة على عظمه وشرفه - فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ - اختلف في كيفية انزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة اقوال احدها - وهو الاصح عند الجمهور انه نزل الى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين وثلاثة وعشرين سنة كما روي الحاكم والبيهقي وغيرهما - عن ابن عباس قال انزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر وكان بمواقع النجوم - وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في اثر بعض وكذا روي البيهقي والحاكم والنسائي عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم انزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا - وقرأناه فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا - وروي الطبراني عن ابن عباس قال انزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان الى السما

الدنیا جملة واحدة ثم انزل نجوما وثانیها انه نزل الی السماء الدنیا فی عشرین لیلة قدر او ثلاث وعشرین او خمس وعشرین فی کل لیلة ما یقدر الله انزاله فی کل السنة ثم نزل بعده منجما فی جمیع السنة وهو قول امام الرازی وقال یحتمل انه کان ینزل فی کل لیلة قدر ما یحتاج الناس الی انزاله الی مثلها من اللوح المحفوظ الی السماء الدنیا - قال ابن کثیر وهذا الاحتمال ذکره القرطبی عن مقاتل بن حیان - وهو قول الماوردی ویوافقه قول ابن شهاب - وثالثها انه ابتدئ انزاله فی لیلة القدر ثم نزل بعد ذلک منجما فی اوقات مختلفة وهو قول الشعبی - قال ابو شامة فان قلت ان قوله تعالی انا انزلناه فی لیلة القدر من جملة القرآن الذی نزل جملة امر لا فان لم یکن فما نزل جملة وان کان منه فما وجه صحة العبارة قلت له وجهان احدهما ان یکون معنی الکلام انا حکمنا بانزاله فی لیلة القدر وقضینا ه وقدرناه فی الازل - والثانی ان لفظه لفظ الماضی ومعناه الاستقبال ای ننزله جملة فی لیلة القدر - واما التوراة فنزلت علی موسی علیه السلام دفعة واحدة ویدل علیه قوله تعالی فخذ ما اتیتک وکن من الشاکرین وکتبنا له فی الالواح من کل شیء موعظة وتفصیلا لکل شیء فخذها بقوة والقی الالواح ولما سکت عن موسی الغضب اخذ الالواح وفی نسختها هدی ورحمة فهذا صریح فی ان التوراة انزلت علیه السلام جملة واحدة والقرآن لم ینزل کذا کما قال الله تعالی - وقال الذین

كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْاٰنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً - فَاَجَابَهُمُ اللّٰهُ
بِقَوْلِهٖ كَذٰلِكَ اَیْ اَنْزَلْنَاهُ كَذٰلِكَ مُفَرَّقًا لِنُثَبِّتَ بِهٖ فُؤَادَكَ اَیْ لِنُقَوِّیَ
قَلْبَكَ عِنْدَ نُزُوْلِ الْوَحْیِ اِذَا كَانَ یَتَجَدَّدُ فِیْ كُلِّ حَادِثَةٍ كَانَ اَقْوٰی بِالْقَلْبِ
وَاَشَدَّ عِنَایَةً بِالْمُرْسَلِ اِلَیْهِ وَیَسْتَلْزِمُ ذٰلِكَ كَثْرَةَ نُزُوْلِ الْمَلَكِ اِلَیْهِ
وَتَجَدُّدَ الْعَهْدِ بِهٖ وَبِمَا مَعَهٗ مِنَ الرِّسَالَةِ الْوَارِدَةِ مِنْ ذٰلِكَ الْجَنَابِ
الْعَزِیْزِ فَیَحْدُثُ لَهٗ مِنَ اللّٰهِ وَرَاءَ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ الْعِبَارَةُ وَلِهٰذَا كَانَ
النَّبِیُّ صَلَّی اللّٰهُ عَلَیْهِ وَسَلَّمَ اَجْوَدَ فِیْ رَمَضَانَ لِكَثْرَةِ لِقَاءِ جِبْرِیْلَ
اَمَّا كَیْفِیَّةُ الْاِنْزَالِ فَاتَّفَقَ اَهْلُ السُّنَّةِ عَلٰی اَنَّ كَلَامَ اللّٰهِ مُنَزَّلٌ
وَاخْتَلَفُوْا فِیْ مَعْنَی الْاِنْزَالِ - فَقَالَ بَعْضُهُمْ كَانَ جِبْرَئِیْلُ عَلَیْهِ السَّلَامُ
یَقْرَأُ الْقُرْاٰنَ عَلَیْهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ اِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰی اَوْحٰی كَلَامَهٗ اِلٰی
جِبْرِیْلَ عَلَیْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ فِی السَّمَاءِ ثُمَّ هَبَطَ جِبْرِیْلُ عَلَیْهِ السَّلَامُ
فَاَوْحَی اِلٰی رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّی اللّٰهُ عَلَیْهِ وَسَلَّمَ فِیْ وَحْیِهٖ طَرِیْقَانِ
فَمَرَّةً یَتَخَلَّعُ النَّبِیُّ صَلَّی اللّٰهُ عَلَیْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصُّوْرَةِ الْبَشَرِیَّةِ اِلَی
الصُّوْرَةِ الْمَلَكِیَّةِ فَیَاْخُذُ مِنْهُ مَا اَوْحٰی اِلَیْهِ - وَهٰذَا یَسْتَصْعِبُ
عَلٰی رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّی اللّٰهُ عَلَیْهِ وَسَلَّمَ - لِاَنْ یَفْصِمَ عَنْهُ تِلْكَ الصُّوْرَةَ
وَفِیْ هٰذِهِ الْحَالَةِ یَتَفَصَّدُ جَبِیْنُهٗ عَرَقًا - وَمَرَّةً اَنْ جِبْرِیْلَ عَلَیْهِ السَّلَامُ
كَانَ یَتَخَلَّعُ مِنَ الصُّوْرَةِ الْمَلَكِیَّةِ وَیَتَمَثَّلُ فِی الصُّوْرَةِ الْبَشَرِیَّةِ
فَرُبَّمَا یَتَجَسَّدُ فِیْ صُوْرَةِ دِحْیَةَ الْكَلْبِیِّ وَرُبَّمَا یَظْهَرُ فِیْ صُوْرَةِ
الْاَعْرَابِیِّ فَیُوْحِیْ اِلَیْهِ مَا یَشَاءُ رَبُّهٗ - قَالَ السُّیُوْطِیُّ قَالَ الْقُطْبُ
الرَّازِیُّ فِیْ حَوَاشِی الْكَشَّافِ اَلْاِنْزَالُ لُغَةً بِمَعْنَی الْاِیْوَاءِ وَبِمَعْنٰی
تَحْرِیْكِ الشَّیْءِ مِنَ الْاَعْلٰی اِلَی الْاَسْفَلِ وَكِلَاهُمَا یَتَحَقَّقَانِ فِی الْكَلَامِ

فهو مستعمل فيه في معنى مجازي فمن قال القرآن معنى قائم
بذات الله تعالى فانزاله ان يوجد الكلمات والحروف الدالة
على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ - ومن قال القرآن
هو الالفاظ فانزاله مجرد اثباته في اللوح المحفوظ وهذا المعنى
مناسب لكونه منقولا عن المعتزلين اللغويين - ويمكن ان يكون
المراد بانزاله اثباته في السماء الدنيا بعد الاثبات في اللوح المحفوظ
وهذا مناسب للمعنى الثاني - ثم المراد بانزال الكتب على الرسل
ان يلقفها الملك من الله تلقفا وحانيا او يحفظها من اللوح
المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم انتهى - اقول ان الانزال يكون
كذا وقد ثبت كلام الله بدون الانزال كما في قوله تعالى ان يكلمه
الله وحيا او من وراء حجاب - وقال تعالى - وكلم الله موسى تكليما
وقال تعالى - واوحى الى عبده ما اوحى - وهذا القسم من الكلام
لا تدرك كيفيته ولا يعقل كنهه والظاهر ان نزول القرآن الكريم في
ليلة القدر يدل على عظم شانها وجلالة قدرها - ثم المراد
بالقرآن كلام الله تعالى حقيقة ومبدأه اسم الله وهو الكلام فيكون
الكلام صفة لذاته تعالى والصفة سواء كانت قديمة او حادثة
لا توجد الا بالموصوف فلا يكون حكمها الا حكم الموصوف فان كان
الموصوف قديما كان صفته قديمة وان كان حادثا كان
صفته حادثة ولما كان الله تعالى واجبا لذاته قديما ازليا صفته
تعالى ايضا قديمة ازلية ولا يصح ان يكون كلامه ليس هو ذاته
فانه كان يوصف بانه محكوم عليه ولا يوصف بانه قادر على ان

یتکلّم - فیکون کلامه قدیمًا فی مذهب الاشعری وعین ذاته
فی مذهب غیره من العقلاء الّا ان نسبة الکلام الی الله تعالی
مجهولة له لا یعرف کما ان ذاته لا تعرف والا یثبت الکلام الّا شرعًا
لیس فی قوّة العقل ادراکه من حیث فکره ولا یخفی علیك ان
الکمال حسن والنقص قبیح فاتصاف شیء بالصفات التی فیها کمال
حسن والاتصاف بضدها قبیح وهذا القول یجری فی صفات اثبتها
الشرع لله تعالی - فیکون الاتصاف بهذه الصفات حسنًا
وباضدادها قبیحًا فالشرع اثبت له السّمع والبصر والکلام
والعقل یقضی انّ وجودها فی کل موجود حسنٌ وعدمها نقصٌ
امّا کیفیّة اتصافها به تعالی فهی مما لا یعقل اذ هی من المتشابهات
ومفهوماتها وراء الوراء من العقول المتوسطة - والانزال
والنزول لیس مما یتعلق بکلام الله حقیقةً کما ذهب الیه
المحققون فی علم الکلام والعلّامة قطب الدین الرازی فی حاشیة
الکشاف بل هو متعلق بالالفاظ والنقوش - والقدر مصدر قدرت
اقدر قدرًا - وهو لیس من القدرة قال ابن سیده القَدْر والقَدَر
القضاء والحکم وهو ما یقدّره عزّ وجلّ من القضاء ویحکم به من
الامور - قال اللحیانی القَدَر الاسم والقدْر المصدر وانشد -

کُلُّ شَیْءٍ حَتّی اجْتِماعٌ مَتاعٌ وبِقَدْرٍ تَفَرُّقٌ واجْتِماعُ

فهذه اللیلة هی التی تقدّر فیها الارزاق والموت والحیاة
وجمیع الاشیاء التی تحدث فی اوقات معیّنة - کما قال الله
تعالی فیها یفرق کل امر حکیم - ای محکم وقوعه وانشد الاخفش

لهدبة بن خشرم

الا يا لقومي للنوائب والقدر ... وللامر يأتي المرء من حيث لا يدري

وما ادراك - يا محمد صلى الله عليه وسلم - ما - اى اى شئ ليلة القدر - فانك لم تدر غاية فضلها ومكانتها - وما قدر فيها مقادير الاشياء والمراد بها صفات لاحقة لذواتها فهي العوارض التي توجد فيما هو متصف بها ولا توجد في غيره فهذه المقادير اذا وجدت في وقت معين في الخارج وجد الشئ في الخارج الى زمان قدر الله وجودها فيه - فاذا انتهى تقديره الى انقضائها لم يوجد ذلك فثبت ان الاشياء لا تفنى وانما يفنى مقاديرها فيكون معنى البعث الحاق المقادير بموادها - فافهم هذا البحث دقيق ليس هذا محله وفيه تنويه شان ليلة القدر وعظمها على ما لا يخفى - ليلة القدر خير من الف شهر - قال الاخفش ان الخير نعت لما وصف به وقيل فلان خير يشبه الصفات فادخلوا فيه الهاء للمؤنث ولم يريدوا به والنشد ابو عبيدة لرجل من بني عدي تيم تميم جاهلي -

ولقد طعنت بمجامع الربلات ... ربلات هند خيرة الملكات

والربلات اصول الافخاذ - فان اردت معنى التفضيل قلت فلانة خير الناس ولم تقل خيرة - وفلان خير الناس ولم تقل خيرة - وهو لا يثنى ولا يجمع لانه في معنى افعل - والخير بكسر الخاء الكرم والشرف - ذكر ابن كثير في تفسيره قال ابن ابي حاتم عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما

اربعة من بني اسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة
عين فذكر ايوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز ويوشع ابن نون
قال فعجب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه
جبريل عليه السلام فقال يا محمد - صلى الله عليه وسلم عجبت
امتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين
فقد انزل الله خيرا من ذلك فقرأ عليه انا انزلناه في ليلة
القدر ليلة القدر خير من الف شهر - هذا افضل مما عجبت
انت وامتك - قال فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس معه انتهى - قال سفيان الثوري بلغني عن مجاهد قال
عمل ليلة القدر اي صيامها وقيامها خير من الف شهر رواه ابن جرير
والمعنى انها افضل من عبادة الف شهر ليس فيها ليلة القدر ورواه
في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم - قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه - قال الشيخ الاكبر في الفتوحات ان ليلة القدر
اذا اراد فيها الانسان هي خير له فيما ينعم الله به عليه من الف شهر
لو لم تكن الا واحدة في الف شهر فكيف وهي في كل اثني عشر شهرا
في كل سنة انتهى - وانما قال ذلك لان مذهب الشيخ انها تدور
في كل شهر كما ذهب اليه المحدثون والصحيح هو الذي ذهب اليه الامام
الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه وهو ان ليلة القدر ليلة سبعة
وعشرين من شهر رمضان وهو مذهب ابي - ومعنى قوله تعالى خير من الف
شهر اي ازيد من الف والزيادة لا حد لها لان الله اجمها فلا يمكن

التجديد - قال الشيخ الاكبر وهو انها خير من الف شهر من غير تجديد - فلا يدري حيث ينتهي - فما جعلها الله انها تقاوم الف شهر بل جعلها خيرا من ذلك اي افضل من ذلك من غير توقيت فاذا نالها العبد كان كمن عاش في عبادة ربه مخلصا اكثر من الف شهر من غير توقيت كمن يتعدى العمر الطبيعي يقع في العمر المجهول وان كان له لا بد من الموت ولكن لا يدري هل بعد تعدية العمر الطبيعي بنفس واحدة او بآلاف من السنين فهكذا ليلة القدر اذا لم تكن محصورة انتهى - وانما قال ليلة القدر اي اضاف الليل الى القدر دون النهار لان التقدير يقتضي الاستتار وهو بالليل اشبه وفي النهار ظهور وهو لا يناسب التقدير واليه اشار الشيخ الاكبر وقال ان الليل شبيه بالغيب والتقدير لا يكون الا غيبا فلو كان بالنهار يظهر الحكم في غير محله ومناسبه انتهى

تَنَزَّلُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ قال بعضهم يتنزل بعض الملائكة وهو ادعاء وقال بعضهم ينزل جميع الملائكة فوجا بعد فوج وجندا بعد جند - وهو الصحيح لان اللام تدل على الاستغراق واختلف في الروح قيل هو جبريل واليه ذهب اكثر المفسرين - وقيل اسم جنس من جنود الملائكة - وقيل قوم من اشراف الملائكة - والاشبه هو القول الاول - وتنزل اصله تتنزل حذفت التاء الاولى للتخفيف قرأ الجمهور تنزل بفتح الزاء وقرئ على البناء للمفعول - من كل امر اي من اجل كل امر من الامور التي

قضى الله عزّ وجلّ في تلك السّنة ويجوز ان تكون للتعليل نحو قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا اى لاجل خطيئاتهم ومنه قول الفرزدق

يُغضي حَياءً ويُغضى من مهابته فما يُكلَّمُ الّا حين يبتسم

ويجوز ان يكون بمعنى الباء اي بكل امرٍ - قرأ الجمهور من كل امرٍ - و قُرئ امرئ اى لاجل كل انسانٍ - وقيل انّ من بمعنى على نحو نصرناه من القوم اى على القوم وتأوّل بذلك الكلبي وقال معناه على كل امرئ سلام من ربهم - اي الملائكة يسلّمون على كل انسانٍ - اقول وهذا بعيدٌ - سَلامٌ هِيَ - اي ليست تلك اللّيلة الّا سلامةٌ وخيرٌ لكل مؤمنٍ حَتّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ - اى هذه الليلة سلامة من غروب الشمس الى طلوع الفجر - قرأ الجمهور مطلع بفتح اللّام وقُرئ بكسرها واعلم انّ الله جلّ شأنه ذكر في ارتفاع شانها امورًا - الاوّل انّه تعالى انزل القرآن المجيد في ليلة القدر وهذا ايدل على جلالة قدرها وعظم خطرها - والثاني تقدير الامور الكائنة ولق قيت وقوعها في تلك اللّيلة - والثالث نزول الملائكة والرّوح فيها - والرابع وقوع السلامة والبركة فيها - تمّ تفسير هذه السورة والحمد لله الذي كرّم ليلة القدر - والصّلوة والسّلام على من ارسله هاديًا الى الجنّ والبشر على اله واصحابه الذين هم سادة اولي الشرف والخطر

سورة البيّنة ثمان آيات مدنيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ - المراد بهم اليهود والنصارى ومن للبيان - والمشركين - والمراد بهم مشركوا العرب وهم عبدة الاوثان - وقرأ ابن مسعود رض لم يكن المشركون واهل الكتاب وقرأ الاعمش والنخعي والمشركون بالرفع عطفا على قوله الذين - وانما قال كفروا فلوجهين الاول انهم كانوا على التوحيد لان اليهود والنصارى كانوا يقولون ان عزيرا ابن الله والمسيح ابن الله فكفروا بذلك بل صاروا مشركين والثاني انهم لما انكروا نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بالله وقيل ان بعض اهل الكتاب كانوا على التوحيد - وذلك لقوله تعالى - حتى تاتيهم البيّنة فيكون المعنى ان اهل الكتاب لم يكفروا الا بعد ان اتتهم البيّنة وهذا يدل على انهم لم يكونوا كافرين الا بعد اتيان البيّنة اى الرسول والخليفة وهذا القول ليس بشئ لانه يوجب ان الاشراك بالله ليس بكفر وهو باطل وذلك لان المعنى على هذا التقدير يكون كذا اى المشركون لم يكفروا الا بعد ان اتتهم البيّنة اي الرسول والخليفة والصحيح هو الذي ذكره صاحب الكشاف قال الامام الرازي - واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل

الكتاب وعبدة الاصنام كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم - لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم - فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه انتهى لشر المجوس فهم مثل اهل الكتاب في هذا الحكم - وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم - سنوا بهم سنة اهل الكتاب فحكمهم في باب الاحكام حكم اهل الكتاب - الا انهم هم المفترقون من اهل الكتاب في بعض الاحكام كالنكاح واكل الذبائح فحكمهم في ذلك حكم المشركين - والصحيح انهم داخلون في المشركين لانهم يعبدون النار والشمس وبعض الكواكب اما فائدة تقدير اهل الكتاب فلانهم لم يكونوا جاهلين مثل المشركين لانهم يقرأون الصحف والكتب ويفهمون معانيها فلا يستصعب عليهم ان يتاملوا في علامات النبي المذكورة في التوراة والانجيل وغيرهما من الصحف لانهم اغضوا اعينهم ولم يتوجهوا اليه بعد بعثه بل عاندوه وردوه واما المشركون فليس لهم كتاب ولا علم فلا يقدرون على ان يتفكروا في شيء من الاديان - وعلى هذا التقدير يكون كفر اهل الكتاب اشد واقوى من كفر هؤلاء المشركين منفكين واصل الفك الفصل بين الشيئين وتخليص بعضها من بعض يقال فككت الاسير فكا اي فصلته من الاسر ومنه قول الحارث بن حلزة في المعلقة

وفككنا غل امرئ القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء

فيكون المعنى منفصلين اومتفرقين - قال مجاهد معناه منتهين عن كفرهم وقال الاخفش منفكين اى زائلين عن كفرهم - وقال ابو عبد الله نفطويه معناه لم يكونوا مفارقين الدنيا حتى اتتهم البيّنة التى ابينت لهم فى التوراة من محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم - ونبوته - قال الفرّاء قد يكون الانفكاك على جهة لا يزال ويكون على الانفكاك الّذى لغرفه فاذا كان على جهة يزال فلا بدّ لها من فعل وان يكون معناها جحدًا فتقول ما انفككت اذكرك تريد ما زلت اذكرك واذا كانت على جهة لا يزال قلت قد انفككت منه وانفك الشيء من الشيء فتكون بلا جحد وبلا فعل - قال ذو الرمة -

فَلَا رُصْلٌ لَا تَنْفَكُّ الْاِمْنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ اَوْ نَرْمِى بِهَا بَلَدًا قَفْرًا

فيكون المعنى انهم لم يكونوا منفكّين عن معرفة صحة نبوة محمّد صلى الله عليه وسلم - حتى جاءتهم البيّنة فتفرقوا عند ذلك

حَتّٰى تَاْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ - اى اتتهم البيّنة والمراد بالبينة القرآن الكريم او النبى صلى الله عليه وسلم - وقال ابو مسلم الاصفهانى مطلق الرسول اى كان هذا دابهم حين بعث كل رسول وخليفة من الله تعالى وهذا هو الحق - رَسُوْلٌ مِّنَ اللّٰهِ - قرأ الجمهور بالرفع بدلًا من البيّنة - وأبى بن كعب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما بالنصب حالًا من البيّنة - وعلى كلا التقديرين فالمراد بالبينة الرسول والصحيح ان يراد به مطلق الرسول لانّ انفكاك الامم من بينهم انّما حصل بعد مجئ الرسول من الله - ووجه انفكاكهم اختلافهم

فی انّ هذا المدّعی صادقٌ فی دعواه او کاذبٌ فذهب بعضهم
الی انه صادقٌ فی دعواه فآمنوا به واطاعوه وذهب بعضهم
الی انّه کاذبٌ فی دعواه فکذّبوا به فخالفوه وهذا امرٌ جارٍ بین الامم
والقرون فلا معنی لتخصیص رسول من الرسل - وکذا حال الذین
کانوا قبل مبعث رسول الله صلی الله علیه وسلم - فهم کانوا
ینتظرون بعثه یشتاقون الی لقائه فاذا بُعث فهم بالدلائل
والبینات اختلفوا فی امره وعانده والحقّ انّ یُراد به مطلق الرسول
ویؤیّده قوله تعالی - یتلوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً - ای قراطیس مطهرةً
من اللغو والباطل - فیها کُتُبٌ قیّمةٌ - ای مکتوبات مستقیمة
ناطقةٌ بالحق هادیة الی الصراط المستقیم والدین القویم - وقوله
یتلو صفة لرسول او حال وقوله فیها کتبٌ صفة لصحف او حال
من ضمیرها - والمعنی انّ الرسول الذی بعث فی امّته یقرأ علیهم
صُحفًا منزلةً من الله لیهدیهم الی الله تعالی - وتلاوتها یمکن ان
تکون بالقاء الله فی روعه فلا تحتاج الی الکسب والتعلیم وقوله
یتلوا صُحفًا مطهّرةً یعمّ من التی نزلت علیه او لم تنزل بل کانت
وظیفته ان یتلوها علی من بعثه الله الیه فمن انزل الله علیه
کتابًا او صحیفةً فوظیفته ان یقرأها انزل علیه علی امّته مثل
ابراهیم علیه السلام وموسی علیه السلام ورسول الله صلی الله
علیه وسلم - ومن لم ینزل الله علیه صحیفةً او کتابًا بل تابع
لنبی مشرع متقدم قبله فوظیفته ان یتلوما انزل علی نبی مشرع
قبله مثل هارون علیه السلام وداؤد علیه السلام وسلیمان علیه

السلام وغیرهم من انبیاء بنی اسرائیل - فانهم کانوا یقرؤن التوراة علی امتهم ویعلّمونهم احکامها وشرائعها لانّ الانبیاء علیهم السّلام - لیس من وظائفهم ان یصنفوا کتبًا ثم یقرأوا علی امتهم - وکذلک کان رسول الله صلی الله علیه وسلم - یقرأ القرآن المجید علی وافدیه ویعلّمهم اوامره ونواهیه ویزکی قلوبهم ببیانه المقدّس والحاصل انّ من دعا الناس الی الله باذن الله ففریضته ان یبیّن القرآن احکامه وشرائعه واسراره وحقائقه ویدعوهم الیه فهذه سنّة قدیمة سنّها الانبیاء وخلفاء الله علیهم السّلام - والقیّمة من قام الشیء اذا استوی وصحّ - فیکون معناها مستقیمة صحیحة تبیّن الحقّ من الباطل علی استواء وبرهان وهو قول النّحّاج ومنه الدّین القیّم ای المستقیم الذی لا زیغ فیه ولا میل عن الحق - وما تفرّق الّذین اوتوا الکتب - وهم الیهود والنصاری - الّا من بعد ما جاءتهم البیّنة - المراد به الرّسول او الکتاب المنزّل من عند الله عزّ وجلّ - قیل والاستثناء مفرّغ من اعمّ الاوقات ای وتفرّقوا فی وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجّة الواضحة ان اردت بقوله اوتوا الکتاب الیهود فقط فیکون المعنی ان الیهود تفرّقوا اذ جاءهم عیسی علیهم السّلام بالانجیل والمعجزات الباهرة المشهورة ثم تفرّقوا اذ جاءتهم رسول الله صلی الله علیه وسلم مصدّقا بین یدیه من التوراة والانجیل بأبهر معجزات واعظم بیّنات وهو القرآن الکریم وان اردت بهم الیهود والنصاری فالیهود علی کلا التقدیرین کفروا مرّتین والنصاری مرّة

واحدة ووجه التكرار أن أهل الكتاب وان كانوا بجهة اصولهم
وفروعهم خرجوا حكما مهم واعمالهم وآرائهم واهوائهم مختلفين
لأنهم كانوا متفقين في اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
المتلوة في كتبهم مطبقين على خروجه من جبال فاران حتى ان احدا
منهم لم يختلف في شيء من ذلك ومضوا على ذلك الاتفاق منتظرين
الى بعثه صلى الله عليه وسلم - فلما بعث وادعى النبوة بحكم الله تعالى
اختلفوا فيه فمنهم من قال لا حاجة لنا الى نبي لان الله تعالى - قد اخبر
في كتاب موسى عليه السلام ان شريعته مؤبدة الى يوم القيامة
فبعد هذا الاخبار لا حاجة اليه بل لا يمكن ان يبعث نبي بعده
لان الله تعالى - لا يخلف الميعاد - ومنهم من قال انه قد ذكر ان النبي
المنتظر لا يبعث الا من اخوة موسى عليه السلام - وهذا المدعى ليس
من اخوته بل من بني اسماعيل فهذا الخبر لا يصدق عليه - أما الجواب
عن الاول فلانه ان كان هذا صحيحا فمعناه ان اصول شريعته مؤبدة
الى يوم القيامة فلا يقع النسخ فيها والصحيح ان اصول الانبياء عليهم
السلام - كالايمان والتوحيد والبعث والحشر والثواب والعقاب
وكالصلوة والزكوة والصوم والحج وحسن الخير وقبح الشر مؤبدة
لا يحتمل النسخ والتبديل والنسخ انما يقع في الفروع - والجواب عن
الثاني ان المراد بالاخوة الاخوة المطلقة فهي موجودة بين بني اسحاق
وبني اسماعيل - وهي بكفي شر اخبار المغيبة - والله اعلم بالثواب

وَمَا أُمِرُوا - في كتاب الله - إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ - خاصة لانه هو
الخالق المعبود - لا كبرهم استكبروا واختاروا عبادة المسيح والملائكة

وعزير عليه السلام - مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ - حال كونهم جاعلين دينهم خالصًا لله تعالى - فعصوا الله ورسوله بالاشراك والكفر - قرأ الجمهور مخلصين بكسر اللام - وقرأ الحسن بفتحها - حُنَفَاءَ - من حنف الى الشئ اذا مال - قال ابو عبيدة من كان على دين ابراهيم فهو حنيف عند العرب وكان عبدة الاوثان في الجاهلية يقولون نحن حنفاء على دين ابراهيم عليه السلام - قال ابو عمر والحنف هو الميل المطلق فمن مال من شر الى خير او بالعكس فهو حنيف وقال ثعلب الحنيف المسلم الذي يتحنف عن الاديان الى الحق وقيل من اسلم في امر الله فلم يلتو في شئ - وقال ابو زيد معناه المستقيم والنشل

تَعَلَّمْ أَنْ سَيَهْدِيكُمُ إِلَيْنَا طَرِيقٌ لَا يَجُورُ بِكُمْ حَنِيفُ

فمعناه مستقيمين حال من ضمير مخلصين فيكون حالا متداخلة - وقيل الحنيف هو الخالي عن اصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها والعامل على ما شرعه الله من الله تعالى - وَيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكٰوةَ - عطف على قوله ليعبدوا اي وليقيموا الصلاة الخ - وخصهما بالذكر لانهما من اعظم اركان دين الاسلام ولذلك ذكرهما الله تعالى مرارًا في القرآن - والامر الذي امرهم الله به كان عامًا في جميع الشرائع وكذا في شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلا معنى لانكارهم هذه الشرائع - وَذٰلِكَ - اي الاخلاص في العبادة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة - دِينُ الْقَيِّمَةِ - اى دين الملة المستقيمة وهو قول

الزجاج - قال الفراء اضاف الدین الی القیمۃ وھو لغتہ الاختلاف اللفظین واثبت القیمۃ ردا الی الملۃ - وایضا قال ھو اضافۃ الشیء الی نفسہ ودخلت الھاء للمدح والمبالغۃ - واختلف فی ان اللام فی قولہ لیعبدوا اللہ - فقالت المعتزلۃ انھا لام الغرض لانھم ذھبوا الی ان افعال اللہ تعالی معللۃ بالاغراض فقالوا ان اللہ تعالی خلق المکلفین لغرض العبادۃ وھذا القول باطل - لانہ لو کان فعل اللہ تعالی معللا بالغرض للزم نقص ذاتہ قبل حصول ھذا الغرض ولوجب کونہ تعالی ممکنا لکونہ محتاجا الی الغیر - وعاجزا لانہ لم یقدر علی تکمیل ذاتہ بذاتہ - وکل ذلک باطل فلا یجوز ان تکون ھذہ اللام لام الغرض - فوجب علینا ان نرجع الی کلام العرب فقال الفراء العرب تجعل اللام فی موضع ان فی الامر والارادۃ کثیرا من ذلک قولہ تعالی - یرید اللہ لیبین لکم - ویریدون لیطفؤا وقال فی الامر وامرنا لنسلم وھی فی قراءۃ عبد اللہ ابن مسعود وما امروا الا لیعبدوا اللہ - فعلی ھذا یکون المعنی وما امروا الا ان یعبدوا اللہ مخلصین لہ الدین - ھذا ھو الذی ذکرہ الامام الرازی وعلماء الکلام - ان الذین کفروا من اھل الکتاب والمشرکین فی نار جھنم - ای یصیرون الی نار جھنم یوم القیامۃ - خالدین فیھا - حال من الضمیر المستکن - اولئک - ای الموصوفون بصفۃ التکذیب والتولی - ھم شر البریۃ - قال الفراء ان اخذت البریۃ من البرای وھو التراب - فاصلھا غیر الھمز وان کان من برأ وبرء فھو الخلق یقال برأ اللہ الخلق ای خلقھم ومن ذلک قولہ تعالی

من قبل ان نبرأها اى نخلقها فيكون المعنى على الاول هم شر اهل الارض على حذف المضاف وعلى الثانى هم شر الخلق - وكلاهما قول الفراء قال اللحيانى اجمعت العرب على ترك همز هذه الثلاثة ولم يستثن - إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ - قيل ان خير البرية - هو على كرم الله وجهه كما روى ابن عساكر فى تاريخه وفيه بحث وقد روى فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال فى شان ابراهيم عليه الصلاة والسلام - انه خير البرية - والصحيح ان يقال ان المراد بقوله هم خير البرية المؤمنون الصالحون لانهم خير البرية بالنسبة الى غيرهم - جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يقال عدن فلان بالمكان يعدن ويعدن عدنا وعدونا اذا قام وعدنت البلد توطنته فمعنى جنات عدن اى جنات اقامة لمكان الخلد - تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ - روى فى الاخبار الصحيحة ان الانهار من الخمر والعسل واللبن والماء - خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا اى مخلدون فى لذاتها - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ - اى رضوان الله - لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ - وانتهى عن المعاصى بخشيته - تم تفسير هذه السورة فالحمد لله الذى انعم المؤمنين وتفضل عليهم برضوانه والصلاة على من انزل عليه القرآن بحجه وبرهانه وعلى آله واصحابه واعوانه

سورة الزلزال وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا زلزلت الأرض زلزالها - قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه السورة مكية - وهو قول عطاء ومجاهد وقال قتادة ومقاتل انها مدنية ذكره ابو حيان - وقرأ الجمهور زلزالها بكسر الزاء وعيسى بفتحها قال ابن عطية هو مصدر كالوسواس - قال صاحب الكشاف انه بالكسر مصدر وبالفتح اسم وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف انتهى اقول وقال صاحب اللسان ان الفعلال والفعلال مطرد في جميع مصادر المضاعف والاسم الزلزال - وزلزل الله الارض زلزلة وزلزالا بالكسر فتزلزلت هي - قال ابو اسحق وليس في الكلام فعلال بفتح الفاء الا في المضاعف نحو الصلصال والزلزال قال والزلزال بالكسر المصدر وبالفتح الاسم وهذا يؤيد ما ذهب اليه صاحب الكشاف وجمعه الزلازل - ومنه قول عمران بن الحطان -

فقد اطلتك أيام لها خمس ... فيها الزلازل والاهوال والهول

واضيف الزلزال الى الارض اذا المعنى زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها - ولو لم يضف اليها لصلح على كل قدر من الزلزال وان قل والمراد بهذا الزلزال زلزال يوم القيامة قال الحصين بن حمام وهو من الشعراء الجاهليين

اعوذ بربي من المخزيات ... يوم ترى النفس اعمالها

وَخَفَّ الْمَوَازِيْنَ بِالْكَافِرِيْنَ وَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
العُلَمَاءُ ذكروا في اسباب الزلزلة امرين الاول هو تكوّن جسم بخاري او دخاني قوي الحركة كالريح العاصف التي تقلع الاحجار وتقطع الاشجار في الطبقات السافلة - والثاني حدوث جسم هوائي سيّال - يذيب المعدنيات شديد الحركة في اسافل الارض والقول الاول ذهب اليه اكثر اهل الطبقات - ومن علامتها تهيّج الرياح القاصفة المختلفة وارتكام السحب المدجنة المستطيلة واضطراب الاهوية الهائجة وليس لها زمان مخصوص بل تحدث في زمانٍ اشتدّت مادتها في طبقات الارض ومكامنها ولا تحدث على منهاج واحد لان حركات الاجسام السيالة المحتقنة وانتصاعها الى فوق لان القوة النارية تقتضي العلو وربما تتجه الى جهة معيّنة اذا كانت المادة المذوبة مائعة الى تلك الجهة باعتبار انخفاضها ووهدتها - ثم الزلازل قد تحدث رجفية ويظهر فيها ان الارض تقذف الاجسام السافلة الى فوقها - وربّما تحدث اختلاجية رعشية وهي موجية لاختلاف ميعان المواد الى الجهات المختلفة - وربّما تولّد مائلة الى القطرين وتسمّى القطقطة - وربّما تمتدّ المواد في العرض غير صاعدة وذلك اذا كانت المواد في المبادي مخلوطة بالاجزاء الترابية - وهي تعوق عن الحركة الى العلو - واذا استقطت منها هذه الاجزاء لطفت وصارت مستعدة للحركة الى الارتفاع وسمّيت هذه الزلزلة سنميّة واعلم ان اتجاه الزلازل امر عسير يدهش العقول حدوثها فلا يدرك

شيون حركاتها وفنون رجفاتها ولا يستطيع راصد ذو ثقة
ولبيب ذو مرة ان يرصد اضطرابات الزلازل وارتعاشاتها
لاكن الحكيم ارسطاطاليس ذكر انه شاهد زلزلة الارض مرارا
في جزائر الروم على شاطئ البلاد المشرقية وقال ان للارتجاجات
ثلثة اقسام فانها قد تكون تموجية افقية - وقد تكون عمودية
بان ترتفع الارض تارة وتخفض تارة وقد تكون دحوية بان الارض
تدور حول مركزها والغالب ان تحدث العمودية والافقية في
زمان واحد وقال بعض من شاهدها ان العمودية داهية دهياء
لانها تقذف الطبقات السافلة فوق الارض والاشياء صلبات بها
ملحونة مدلقة فترى الارض كانها مغارات وكهوف عميقة وربما
ينفجر منها المياه الحارة شديدة السخونة تتلاطم منها امواج حامية
تذيب الاجحار الصلبة - وما قيل ان سلاسل الجبال وامتدادات
الاطواد والعقبات تمنع انتشار الزلازل فليس بشئ لان تلك
السلاسل واحتقان حرارتها علة لحدوثها ولان مواد الزلازل قوية
برقانية لا تزاحمها الجبال ولا تدفعها الاطواد بل تذيبها تلك المواد
وتكسر قواها وتقهر اعضاءها - فتصير الجبال كالعهن المنفوش
ومثل الفراش المبثوث فتطير بها في الجو كالاهباء المنثورة - بل
تخرج منها طفحات نارية تحرق ارجائها ولربما قد اشجار البوادي
والبراري فيهلك الجبال وتفسخ شقوق الاراضي ويقع الفطور في
كل جهة اما اسبابها الفاعلية فهي امور اما قارات عظيمة او انطباق
المنطقتين او قرب انطباقهما او انتقال الاوج والحضيض وهذه

اسباب فلکیۃ مؤثرۃ عند الحکماء فی اجسام کائنۃ تحت فلک القمر - وزعموا ان سبب طوفان نوح علیہ السلام کان اجتماع الکواکب فی برج مائی وطوفان عاد اجتماعھا فی برج ھوائی وکذا الزلزلۃ التی وقعت فی زمان لوط علیہ السلام کانت باسباب سماویۃ مؤثرۃ فی مواد الطبقات الارضیۃ - وھذہ لا تزال الدنیا اما الزلزلۃ التی ذکرت فی ھذہ السورۃ فسببھا ایضا جسم ھوائی بخاری تموجی یخرجہ نفخ اسرافیل علیہ السلام - من صورہ فھو اشد الریاح الکاسرۃ المفتنۃ لیس فوقھا قصف ولا عصف فیفسد السموات والارض ویناثر الکواکب من مجاریھا وتنسف الجبال والاعلام من اصولھا حتی تفسد الاکوان وتخرب القیعان والعمران - وَاَخْرَجَتِ الْاَرْضُ اَثْقَالَهَا - ای جمیع ما کان فی بطنھا من الاموات والدفائن والاثقال جمع ثقل قال الفراء لفظت ما فیھا من ذھب وفضۃ او میت انتھی قال الحصرین بن حمام

وَنَادَى مُنَادٍ يَا اَهْلَ الْقُبُوْرِ فَهُمْ لِتَبَرُّزِ اَثْقَالِهَا

قال ابو عبیدۃ والاخفش المیت فی بطن الارض ثقل لھا واذا کان فوقھا ثقل علیھا - وَقَالَ الْاِنْسَانُ مَا لَهَا - ما للتعجب قال اھل التفسیر المراد بالانسان ھو الکافر لانہ یری شیئا لم یکن مظنونا فی قلبہ یَوْمَئِذٍ - بدل من اذا ای یوم زلزلت واخرجت تُحَدِّثُ اَخْبَارَهَا - جواب اذا عند الجمھور وھو الناصب لھا ای تنبئ الارض یومئذ بما اکتسب المکلفون من خیر وشر والمراد بتحدیثھا تحدیث اھلھا من کل عمل کما روی فی الترمذی انہ صلی اللہ علیہ وسلم

قرأ هذه الآية ثم قال اتدرون ما اخبارها - قالوا الله ورسوله اعلم فقال ان اخبارها - ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا يوم كذا فهذه اخبارها - وقيل يراد بها الاحوال الواردة على نفس الانسان من الخير والشر فعبّرها بالاخبار على سبيل المجاز - بان ربك - والاضافة في ربك تدل على عظم شان المضاف اليه - اوحى لها - اي الهمها - وقد يتعدى الايحاء باللام كما في قول العجاج يصف الارض -

اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

اي اوحى اليها في مجاز بمعنى الى - فيكون معنى اوحى لها امرها اي اوحى اليها وقال الفراء معناه اشار اليها قال العرب اوحى واومى بمعنى واحد وعندي ان هذا الوحي من باب واوحى ربك الى النحل ومن باب قول الشاعر + قد قالت الاسناع للطفل الحقي +---

والباء في قوله بان ربك متعلقة بتحدث يومئذ يصدر الناس يومئذ ظرف لقوله يصدر الصدر اي الانصراف عن الورد وعن كل امر - يقال صدر القوم عن المكان اي رجعوا عنه وصدروا الى المكان اي صاروا اليه ورجعوا - فيكون معناه يرجعون اشتاتا ليروا اعمالهم - منصوب على الحال جمع شتّ ومعناه الافتراق يقال شتّ شعبهم - اي تفرق جمعهم - قال الطرماح -

شتّ ما نصب النحي بعد الدعام وشتيك الربع ربع المقام

قال ابو سعيد يصدرون متفرقين منهم من عمل صالحا ومنهم من عمل سيئا - ومنه قوله تعالى - وقلوبهم شتى اي متفرقة

والمعنى انهم يبعثون ثم ينصرفون الى المحشر حال كونهم متفرقين لرؤية اعمالهم المكتوبة في صحائفهم - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا - المثقال في الاصل مقدار من الوزن اي شيء كان من قليل ومن كثير فمعنى مثقال ذرة وزن ذرة والذرة النملة ومنه قول امرئ القيس -

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا

والخير العمل الصالح اي من عمل مقدار نملة من العمل الصالح يره - اي ذلك العمل الصالح في الاخرة وذلك لانه تعالى رحيم كريم يثيب على عباده كما قال الله - ان الله لا يظلم مثقال ذرة فمن يعمل عملا صالحا مقدار ذرة اي قليلا فانه يجازيه بكرمه - ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - واستشكل في هذه الاية وهو ان حسنات الكافر محفوفة بكفره وسيئات المؤمن اما مغفورة ابتداء او بسبب الاحتراز عن الكبائر فاي شيء يراه في الاخرة بمثقال ذرة من خير ومن شر - وجوابه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك في الدنيا حتى يلقى الاخرة وليس له فيها شيء ويمكن ان يقال ان هذه الاية في شان المؤمنين فيكون المعنى ان المؤمن لا يعمل عملا من خير ولا شرا الا وهو يرى جزاءه في الاخرة وهذا هو العدل لاكن رحمته السابقة على الغضب تكون سببا للعفو عن معاصيه فيغفرله بفضله وكرمه قبل ان يجزيه وكمال الاشقياء هو دخولهم النار كما قال الله تعالى من تدخل

النار فقد اخزيته - ولا خزيان يومئذ للمؤمنين - كما قال الله تعالى
يوم لا يخزى الله النبي والذين امنوا معه - فلا يكون الخزيان
للكافرين وتمام هذا البحث في شرحنا على الفقه الاكبر
للامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه الذي رواه ابو مطيع
البلخي رحمه الله تم تفسير سورة الزلزال بعون الله المتعال مالك العرش
ذي الاكرام والجلال والصلوة على نبيه صاحب الكمال المرآة
لسائر صفاته من شئون الجلال والجمال وعلى آله واصحابه
الذين هم ائمة ارباب الكمال

سورة العاديات وهي احدى عشرة اية وهي مكية وقول ابن مسعود وجابر

والكبير وعكرمة وعطاء وجابر مدنية وقول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات - قال ابن عباس رضي الله عنه العادية الخيل - وقال
علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه هي الابل ومن العدو والعدا والعادي
والعداء كلها الشديد العدو - وانشد ابن بري شاهدا على قول الشاعر
وصخر بن عمرو بن الشريد فانه اهو الخير فوق الشاجب العداء
وقال الاعشى
والقارح العداء وكل طمرة يستطيع يدا الطويل قذالها

قال صفیه بنت عبد المطلب

فَلَاوَالْعَادِيَاتِ غَدَاةَ جَمْعٍ بِأَيْكِ يُهَا إِذَا سَطَعَ الْغُبَارُ

روی ابن عباس رضی اللّٰه عنه قال بینا أنا جالس عند الحجر إذ أتانی رجل فسألنی عن العادیات ضبحًا فسرتها بالخیل فذهب الی علی کرم اللّٰه وجهه - وهو تحت السقایة ای زمزم فسأله وذکر له ما قلت فقال أدعه لی فلما وقفت علی رأسه قال تفتی الناس بما لا علم لك به واللّٰه إن کانت لأول غزوة فی الاسلام - وما کان معنا إلا فرسان فرس للزبیر وفرس للمقداد والعادیات ضبحًا من عرفة الی مزدلفة ومن المزدلفة الی منی یعنی ابل الحاج قال ابن عباس رضی اللّٰه عنه - فرجعت من قولی الی قول علی رض قال الجوهری والعادیة من الابل المقیمة فی العهاد لا تفارقها ولیست ترعی الحمض انتهی ومنه شعر کثیر

رأی صاحبی فی العادیات نجیبة وأمثالها فی الواضعات القوامس

الواضع هو البعیر المسرع والقامس هو المضطرب والاکثرون من اهل التفسیر اختاروا قول ابن عباس رضی اللّٰه عنه لان الآیات الآتیة تناسب هذا المعنی وقالوا العادیات هی الخیل - ضبحًا الضبح الصوت یقال ضبح یضبح ضبحًا ای صوت - قال الازهری قال اللیث الضباح بالضم صوت الثعالب - وفی حدیث ابن الزبیر قاتل اللّٰه فلانًا ضبح ضبیحة الثعلب - وقبح قبعة القنفذ - وروی عن ابن عباس رضی اللّٰه عنه لیس یضبح من الحیوان غیر الخیل والثعلب قال صاحب اللسان والضبح فی الخیل اظهر عند اهل العلم قال ابن

عباسؓ ما ضبحت دابة الا الکلب او فرس - قال ابو اسحٰق ضبح الخیل صوت اجوافها اذا عدن - وقال ابو عبیدة ضبحت الخیل وضبعت اذا عدن وقال فی کتاب الخیل هو ان یمد الفرس ضبعیه اذا عدا کانه علی الارض طولا - وقال الفراء الضبح صوت انفاس الخیل اذا عدت ولیس بصهیل والمعنی ان الله سبحانه اقسم بخیل الغزاة التی تعدو نحو العدو وضبحا مصدر منصوب بحذف فعله ای تضبح ضبحا او ان یکون العادیات بمعنی الضابحات ای الضابحات ضبحا او الضبح بمعنی الفاعل فیکون حالا ای العادیات ضابحات - ویکون المعنی علی قول علی رضی الله عنه وکرم الله وجهه اقسم الله سبحانه بالابل التی تعدو من عرفة الی مزدلفة ومن المزدلفة الی منی وتکون هذه الابل ابل الحجیج فالموریات قدحا - الایراء اخراج النار - والقدح الصک ومنه شعر جریر

وجدنا الاکرمین بنی کلیب اذا قدحوا اوائلهم اذادا

وقال عنترة

هجا یملک ذباعة بذراعه قدح المکب علی الزناد الاجذم

قال الزجاج اذا عدت الخیل باللیل واصاب حوافرها الحجارة انقدح منها النیران - والمعنی علی ما ذهب الیه علی رضی الله عنه - ان الذین یرکبون الابل وهم الحجیج اذا اوقدوا نیرانهم بالمزدلفة - وهذا المعنی حقیقة فی ایراء النار - قال الامام الرازیؒ ان لفظ الایراء حقیقة فی ایراء النار وفی غیره مجاز ولا یجوز ترک الحقیقة بغیر دلیل - قال ابن مسعودؓ رضی الله عنه اذا سفت

الحصى بمناسمها فضرب الحصى بعضه بعضا فيخرج منه النار انتهى
وليس في هذا التاويل لزوم الاجراء - فالمغيرات صبحا - قال
الاصمعي اغار بمعنى اسرع - وقال الجوهري اغار اي شد العدو
واسرع واغار الفرس اغارة اشتد عدوه واسرع في الغارة وغيرها
فالمعنى ان خيل الغزاة تشتد العدو وتغير صباحا لان الفرسان
لا يبصرون شيئا في دجى الليل فيصبحون حتى يروا الاعداء ويهجم
وهم في الرقدة والسنة فيحملونهم ويغيرونهم - واما على
قول علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه - وهي الابل تدفع بركبانها
يوم النحر من مزدلفة الى منى والسنة ان لا تغير اي تسرع حتى
تصبح فالاغارة اسراع الابل كما قلنا انفا - والعرب كانوا يقولون
في الجاهلية اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع في الافاضة - فاثرن
به نقعا - قرأ الجمهور بتخفيف الثاء - يقال ثار النقع واثرته اي هيجته
وهيجنه - وقرى اثرن بتشديد الثاء من التاثير - ومعناه الاظهار
اي اظهرن ومنه قول الشاعر -

يثرن من اكدارهن بالدقاء منتصبا مثل حريق القصباء

اي يظهرن - والضمير في قوله به يرجع الى الصبح - والنقع الغبار
كما هو في قول لبشار

كان مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقال صاحب اللسان النقع رفع الصوت ونقع الصوت واستنقع
اي ارتفع - قال لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق يحلبوها ذات جرس وزجل

اى متى يرتفع صراخ - فالمعنى على القراءة الاولى ان الخيول اثرن بالصبح غبارا ساطعا لشدة العدو في الارض التي صبحن فيها وعلى القراءة الثانية اظهرن صياحا - لشدة السير العدو وفي وقت الصباح - فوسطن به جمعا ذكر الامام الرازي قال الفراء والضمير في قوله تعالى به الى ماذا يرجع فيه وجوه احدها قال مقاتل اى بالعدو وذلك ان العاديات تدل على العدو فجازت الكناية عنه وقوله جمعا يعني جمع العدو والمعنى صرن بعد وهن وسط جمع العدو ومن حمل الايات على الابل قال يعني جمع منى - وثانيها ان الضمير عائد الى النقع اى وسطن بالنقع والجمع وثالثها المراد ان العاديات وسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء انتهى - والوسط بمعنى التوسط قال ابن برى وقد أعلى كرم الله وجهه - وسطن بالتشديد والجمع اسم للمزدلفة وليس بجمع من الناس قال ابو حيان وقال بشر بن حازم -

فوسطن جمعهم وافلت حاجب تحت العجاجة في الغبار الافقر

انتهى - اقول والحاجب ناحية الشمس - ان الانسان لربه لكنود - اى الكفور - قال الواحدي اصل الكنود منع الحق والخير انتهى - يقال ارض كنود لا تنبت شيئا - ويقال رجل كنأد وكنود اي بخيل وقيل هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقال الزجاج معناه الكفور ومنه قول النمر بن تولب في وصف امرأته -

كنود لا تمن ولا تفادي اذا علقت حبائلها برهن

قال ابو عمرو اى كفور للمودة - قال بعض اهل اللغة الكنود من الكند

وهو القطع - الا ان ابن سيده لا كان يقول ولا اعرف له في اللغة اصلا
قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة الكنود هو الكفور
قال ابو حيان روي عن ابن عباس رضي الله عنهما - الكنود بلسان
كندة وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان
كنانة البخيل السيئ الملكة قاله مقاتل وقال الكلبي وبلسان بني مالك
البخيل انتهى والقول ما قال ابن عباس رضي الله عنه - واللام في قوله
الانسان للجنس يعني ان جنس الانسان لكفور الا من رحمه الله
وهذا مثل قوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات - وروي انها نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو نوفل
القرشي - وهو جواب للقسم - وانه على ذلك - اي على كنوده
لشهيد - وقال بعضهم ان الضمير في انه يعود على الله تعالى
اي الله تعالى شاهد على اعمال الانسان من السيئات وفيه نظم
لان الضمير في قوله - وانه لحب الخير يرجع الى الانسان
فكذا فيه - وانه - اي الانسان - لحب الخير - الخير المال
ومثله قوله تعالى - ان ترك خيرا اي مالا - لشديد - اي شحيح
ممسك وبخيل متشدد - قال ابو ذويب -

حدد نابا الانواب فهو عروة شديد على ما ضم في اللحم جوفها

اراد شحيح ممسك - وقال طرفة

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

وقال بعض المفسرين ان الشدة هو الصلابة والاستحكام - اي
الانسان في حب المال صلب مستحكم واليه ذهب الفراء وقال اصل النظم

الأمر به أن يقال وانه لشديد الحب للخير - انتهى اقول والمعنى الاول اذب واحسن - وهذا المعنى يستلزم نحو نظم القرآن والله اعلم
قيل ان اللام في لحب الخير لام علة اى لاجل حب الخير - أفلا يعلم
إذا بُعثر ما في القبور - فاعل افلا يعلم هو الانسان - واما المراد
بقوله من في القبور - لان الناس وقت البعث لا يكونون - ملائكة بل
بعد ما يصيرون الى الموقف كما كانوا عقلاء - ومفعول لا يعلم محذوف
اى افلا يعلم ما كان عاقبة امره - قال القراءة اذا خرج ما فيها
وقال بعثر وبحث واحد ومعنى واحد - وقال الزجاج بعثر
اى قلب فاخرج بعضه - يقال بعثرت امتعتهم وبحثرت اذا قلبوها وفرقوها
وقال ابو عبيدة - وما تحصله في بعض وقال ابن عباد بعثرت متعه أبعثرها
واخرج - والمعنى متعاديه - ومنه قوله تعالى واذا القبور بعثرت
قرأ الجمهور بعثر بالبناء للمفعول - وقرأ الاعمش من رواية يحيى
وعثر نصر بن عاصم بحثر بالحاء مبنيا للفاعل - وحصل ما في الصدور
قرأ الجمهور بحصل مبنيا للمفعول - وقرأ حصل
بالتخفيف مبنيا للفاعل اى ظهر ما في الصدور من الخير والشر
مكتوما كما يخافه الانسان قال ابو عبيد حصل اى ثبت في الصدور
وقال الليث الحاصل من كل شيء ما بقي وثبت وذهب ما سواه
قال الجوهري حصل يحصل والاسم الحصيلة قال لبيد -

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه إذا حصلت عند الاله الصحائف

إن ربهم بهم يومئذ - اى في يوم البعث لخبير - اى خبير
باعمالهم فمجازيهم قرأ الجمهور ان بكسر الهمزة ولخبير باللام فهذه

الجملة مستأنفة ويومئذٍ وبهم متعلقان بخبير وهو العامل فيهما وقرأ ابو السمال بفتح الهمزة وبغير الامر - وعلى هذا التقدير يكون هذه الجملة تحت قوله افلا يعلم - قال ابو حيان ولا يمكن اعمال خبير اذ لكونه في صلة ان المصدرية ولا يمكن ان يقدر له عامل غيره من معنى الكلام فانه قال يجزيهم اذ بعثروا وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون تعلم معلقة عن العمل في قراءة الجمهور وسدت مسد المفعول في ان وفي خبرها الامر ظاهر اذ هي في موضع نصب بعلم واذا العامل فيها معنى مضمون الجملة وهو يجزيهم اذا بعثروا انتهى - وهذه الآية تدل على انه تعالى عالم بالجزئيات المادية والزمانية منزه عن التغير والحدوث انتهى هذا والله تعالى اعلم والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله واصحابه اجمعين

سورة القارعة مكية وهي ثمان آيات وقيل احدى عشرة آية وبضع عشرة كلمة وثلثمائة حرف

وهي مكية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة - قال ابو نصر القارعة من شدائد الدهر - وهي الداهية قال رؤبة - وخاف صدع القارعات الكره - قال يعقوب

القارعة كل هنة شديدة القرع - وهي القيامة وهو قول القراء
ومنه قول الشاعر

ولا رميت على خصم بقارعة ... الا منيت بخصم فرّ لي جذعا

يعني حجة وكله من القرع الذي هو الضرب ولذلك قيل ليوم القيامة القارعة وقال الاصمعي يقال اصابته قارعة - يعني امرا عظيما يقرعه - قال ابن عباس هي من اسماء القيامة لانها تقرع القلوب بالفزع - وقيل اصل القرع الصوت الشديد وهو قوارع الدهر وانما سميت القيامة قارعة لان سببها الصيحات فالاولى منها تخرب السموات والارض وتكون سببا لفساد العالم وقد هش بها النفوس والعقول كما قال الله تعالى - فصعق من في السموات والارض والثانية تموت بها الخلائق سوى اسرافيل عليه السلام - فيميته الله ثم يحييه حتى ينفخ الصيحة الثالثة فيقومون غير شاعرين وهي مبتدأ وخبره ما القارعة - قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بنصبها على تقدير فعل اي احذروا القارعة - وما استفهامية وفيه معنى التفخيم والتهويل قال ابو حيان قال الزجاج والعرب تخدر وتعزي بالرفع كالنصب
قال الشاعر

اخو النجدة السلاح السلاح

وقيل ما زائدة للتوكيد اي اذكروا القارعة - وما ادراك ما القارعة هذا تاكيد لشدة هولها ومزيد فظاعتها والمعنى واي شيء اعلمك ما شان القارعة - وهذه الآية مثل قوله تعالى - الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة - يوم يكون الناس كالفراش المبثوث - قال صاحب الكشاف

الظرف نصب بمضمر دلّ عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس انتهى - وقيل اذكر يوم - وقرأ زيد بن علي يوم يكون، مرفوع الميم اي وقتها يوم يكون الناس - والفراش جمع الفراشة وهي التي تطير وتهافت في السراج - وقال الزجاج الفراش ما تراه كصغار البق يتهافت في النار شبّهه الله عزّ وجلّ الناس يوم البعث بالجراد المنتشر لانهم اذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضه في بعض - وقال الفرّاء يريد كالغوغاء من الجراد يركب بعضه بعضاً - كذلك الناس يجول يومئذٍ بعضهم في بعض وقال الليث الفراش الذي يطير - وانشد

اوَ دَيْ يَحِلُّ بِهِمْ لِفَاشُ فَحْلِهِمْ حِلْمُ الفَرَاشِ عَشِيَّةَ نَارُ المُصْطَلَى

وهو قول جرير الفياش الضعف والمبثوث من بثّ يبثّ اي نشر قال الله تعالى - وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً - اي نشرهما وفي حديث أمّ زرع زوجي لا أبثّ خبره اي لا انشره قال ابو كبير

ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَلَا أَبُثُّ حَدِيثَهَا رَعْشَ الْبَنَانِ لُطِيشَ سَيْءَ الْأَصْوُلِ

اراد ولا أخبرك بسوء حالي الاصول المائل العنق - والعهن الصوف المنفوش - العهن الصبوغ المتلوّن بالوان - وفي حديث عائشة رضي الله عنها - انها فتلت قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم - من عهن وقيل كلّ صوف عهن - والاول الصحيح ومنه بيت زهير ابن ابي سلمى -

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ

اي عهن امتلون من مثل لون حبّ الفنا - الفنا له معانٍ الاوّل الصوف

والثاني مدكّ الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض - والثالث ندف القطن والصوف والمعنى هنا المندوف اي منتفش الاجزاء اي تكون الجبال التي هي اشد المخلوقات كالصوف المندوف الذي تطير اجزاءه في الهواء كالاهباء وذلك لشدة نفخ الصور - ويخفى عليك ان بيان الساعة واهوالها في هذه السورة على طريق الاجمال وقد ذكر تفصيلها في كثير من السور فبعد الاكتفاء عليه قال الله تعالى - فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ - اي ثقلت حسناته - والمراد بالموازين امّا جمع موزون فهي الاعمال التي لها خطر عند الله وهو قول القرّاء او هو جمع ميزان وهو الآلة التي توضع فيها الصحائف ولكل شيء ميزان يناسبه فميزان الجسمانيات للوزن ميزان جسماني وكذا ميزان غيرها من الاشياء فهو ما يلائمها فميزان السطور يستّى مسطرا وميزان النقدين المحك وميزان الشعر هو علم العروض وهو الذي انتسب الى الخليل بن احمد وميزان الكلام العربي النحو وميزان الافكار هو المنطق فالميزان الذي يوزن فيه الاعمال يمكن ان يكون مثل هذه الموازين وان لم ندرك حقيقتها وانكر المعتزلة وزن الاعمال فانكارهم انكار الامور الممكنة - فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ - العيش الحيات يقال عاش يعيش عيشا - وعيشة - والعيشة ضرب من العيش يقال عاش عيشة كريمة وعيشة سوء - وليحق التاء بالعيش بكسر العين ولا يلحق به بفتح العين - فلا يقال عيشة - والراضية بمعنى المرضية - قال السكاكي وهذا من قبيل المجاز العقلي فيما بني للفاعل واسند الى المفعول به اذ العيشة مرضية لا راضية

وقال الخليل انه لا مجاز فيه بل الراضية بمعنى ذات رضى والمعنى
ان الذين ثقلت موازينهم فهم في عيشة مرضية او في عيشة
ذات رضى - واما من خفت موازينه فامه هاوية - امّ الشيء اصله
والامر والامة الوالدة والنشد ابن بري -

تقبلها من امة فلطالما تنوزع في الاسواق منها خمارها

وانما اريد بالامر الوالدة لانها اصل الولد وماواه فيكون المعنى
مسكنه وماواه هاوية - وهي اسم من اسماء جهنم وهي معرفة
بغير الف ولام - قال الفراء في فامه هاوية - قال بعضهم هذا دعاء
عليه كما تقول هوت امه والنشد قول كعب بن سعد الغنوي يرثي اخاه

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وما ذا يؤدي الليل حين يؤوب

ويبعث من البعث من النوم - ويؤوب يرجع قال الفراء وهوت
امه دعاء لان ولدها اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه
ثكلا وحزنا فقال الشاعر هذا عند التعجب ويمدحه ووصف غدائه
ورواحه ومعنى البيت اي شيء يبعث الصبح منه غاويا واي شيء
يرد الليل منه آتيا لبعثه في طلب الغارة ورجوعه غانما وحذف
كلمة منه في قوله وهذا كثير في قولهم - والحاصل ان معنى هوت
امه هلكت امه وتقول هوت امه فهي هاوية اي ثاكلة - وقال
بعضهم امه هاوية اي صارت هاوية ماواه كما تقول وي المرأة ابن ها
فجعلها امًّا لها اذا مأوى غيرها وقال بعضهم امّ رأسه تهوي في النار
لانه يطرح فيها منكوسا فيهوي قعر جهنم رأسه - قيل وهذا قول قتادة
والهاوية وان كانت علما لجهنم فمعناها كل مهوى لا يدرك

فعرها - وباعتبار هذا المعنى سميت جهنم هاوية - قرأ الجمهور فأمه بضم الهمزة وطلحة بكسرها - قال ابو حيان قال ابن حالويه وحكى ابن دريد انها لغة - والنحويون لا يجيزون كسر الهمزة الا ان يتقدمها كسرة او ياء انتهى - ومما ادراك ماهية - الضمير يرجع الى هاوية والهاء فيه هاء السكت قيل وتحذف هذه الهاء في الوصل - نار حامية اى هي نار حامية اى بلغ حر تلك النار في الشدة الى الغاية فاستعيذ بالله من حرها - تم تفسير هذه بحمد الله الرؤف الرحيم والصلوة والتسليم على نبيه الكريم الذي بعثه الله على خلق عظيم - وعلى اله واصحابه الذين هم الهادون الى دار النعيم

سورة التكاثر وهي ثمان آيات مكية عند الجمهور

بسم الله الرحمن الرحيم

الهاكم - اى اعرضكم - من اللهو - يقال لهوت بالشيء الهو به اى غفلت به عن غيره - وكذا يقال ألهاه اى شغله ومنه قول كعب ابن زهير

وقال كل صديق كنت امله ... لا ألهينك اني عنك مشغول

اى لا اشغلتك قالي مشغول فاعمل لنفسك ما شئت - التكاثر التباهي بالكثرة - قال الفراء نزلت في حيين تفاخروا ايهم اكثر عددا وهم بنو عبد مناف وبنو سهم فكثرت بنو عبد مناف بني سهم فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية - فعادوا بالاحياء

وَالْاَمْوَاتِ فَكَثَّرَتْهُمْ بَنُوْ سَهْمٍ - فَاَنْزَلَ اللّٰهُ هٰذِهِ الْاٰيَةَ - حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - اى شغلكم التكاثر اى التفاخر بكثرة العدد والمال حتى زرتم المقابر اى حتى متّم قال جرير للاخطل -

تَرَاهُ الْقُبُوْرَ اَبُوْ مَالِكٍ فَاَصْبَحَ اَلْاَمَ زُوَّارِهَا

فجعل زيارة القبور عياذاً بالله ذمّ وفيه زجر للذين يتفاخرون بكثرة عدد هم واموالهم واولادهم ويتنازعون فيهم ويضيعون اعمارهم في طلب المعالى في الدنيا واهتمامهم في ابتغاءها واكدّهم في اكتساب رغائب الدنيا وذخارفها والهائهم عن امر الدين الذى هو اهمّ واشتغالهم في الملاهى التى هى وبال في حقّهم ونكال لهم في الاخرة وما هذا الا ضلال مبين - كَلَّا - كلمة ردع وايقاظ لمن هو موصوف بهذه الخلال الرديّة - سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ - اى ليس الامر كما يتوهّمون والمعنى ان التفاخر بالمال والتنافس بكثرة الاولاد والعدد ليس تفاخرا وتنافسا حقيقةً بل التفاخر هو اكتساب السعادة الابديّة واستحصال الخصائل الملكيّة وهذا المعنى اذا كان كلمة كلّا مربوطة بما قبلها واما اذا كانت متعلّقة بما قبلها فهى بمعنى حقّا - اى سوف تعلمون انّ ما توهّمتم من التفاخر كان خطأ اذا شاهدتم خلاف ما كنتم تتفاخرون وفيه انذار شديد ليخافوا ويتنبهوا عن غفلتهم - ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ - تكرير للتاكيد - وفيه انذار وتهويل على وجه التغليظ هذا قول صاحب الكشاف تاكيد للردع والانذار وثمّ دلالة على انّ الانذار الثانى ابلغ من الاوّل واشدّ كما تقول

النصوح اقول لك تراقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطاب فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله تعالى - وقال علي ابن ابيطالب رضي الله عنه كلا سوف تعلمون في القبور ثم كلا سوف تعلمون في البعث فغايرينهما بحسب التعلّق - وقال الضحاك الزجر الاول ووعيده للكافرين والثاني للمؤمنين - روى عن ابي ذرّ انه قال كنت اشكّ في عذاب القبر حتى سمعت عليّ بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يقول ان هذه الاية تدل على عذاب القبر وانما قال ثم لانّ بين العالمين والحياتين موتًا - والمعنى لا يغرّنهم كثرة مال وولد ترى حولهم لانهم يموتون فرادى ويحاسبون فرادى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى واذا كان كذلك لا يجوز للعاقل ان يتفاخر على كثرة العدد والمال والعدد - كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ - اعاد لفظ كلا وهو للزجر وحسنت اعادتها لانّ الله ذكر بعدها شيئًا اخر لم يذكر قبلها ففي هذا التكرار فائدة جديدة - اختلف في جواب لو - قال ابو حيان حذف الجواب لدلالة ما قبله عليه وهو الهاكم التكاثر - انتهى وهو قول الاخفش - وقال ابن مسلم لو علمتم ما ذا يجب عليكم لتمسكتم به او علمتم لاي شيء خلقتم لاشتغلتم - انتهى - وقال بعض المفسرين ومعناه يا ايها الكافرون لو كنتم تعلمون ما لحب المال والطغيان فيه لكنتم من الصالحين واعرضتم عن زخارف الدنيا وزبرجها ووساوس اهلها وقد عبلاتها وقال بعضهم انه حذف جوابها لعظم التهويل والانذار لانه اذا حذف ذهب الوهم الى كل مذهب من الخوف والهول - وهذا ابلغ في الانذار كما قال الله تعالى - فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ فابهم فيه معنى الغشيان

يذهب لوهم الى فخامة الغشيان وعظمه - والمراد باليقين هو تحقيق أمر في القلب الثابت فيه ولا يزول عنه بشيء يعتاده - ومنه قول الشيخ الأكبر فإن تزلزل عن حكم الثبات فما هو اليقين الذي يقوي به خلدي وضده الشك كما ضده العلم الجهل - وحكمه سكون النفس بالمتيقن وطمأنينة وقد يجيء بمعنى الظن كما قال ابو سدرة الاسدي -

تحسب هواس واي قد انني بها مغتد عن واحدا لا عامر

والمعنى تشمم هواس اي اسد ناقتي وظن انني افتدي بها واتركها له واقتحم المهالك بمقاتليه وانما سمى الاسد هواسا لانه يحوس الفريسة اي يدوسها - وهذا الاستعمال قليل والاكثر انه يستعمل بمعنى الذي قلنا - قال الشيخ الاكبر وانما جعل له علما وعينا وحقا لانه قد يكون يقينا ما ليس بعلم ولا عين ولا حق - ويقطع به من حصل عنده وهو صاحب يقين قال لان الجاهل يتيقن والظان انه ظان والشاك انه شاك فما هو شاك وكل واحد صاحب يقين قاطع بحاله الذي هو عليه علما كان او غير علم انتهى وبهذا اظهر لك الفرق بين العلم واليقين - وعلى هذا التقدير لا يلزم اضافة الشيء الى نفسه اما بيان اقسامه فاعلم ان في العالم بيتا يسمى الكعبة ببلدة تسمى مكة لا يمكن لاحد الجهل بهذا ولا يدخله شبهة وكل يقدح في دليله دخل فاستقر العلم بذلك فاضيف الى اليقين الذي هو الاستقرار بان لله بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة تحج الناس اليه في كل سنة ويطوفون به فهذا علم اليقين - ثم شوهد هذا البيت عند الوصول اليه بالعين المحسوسة فاستقر عند النفس بطريق العين كيفيته وهيئته وحاله فكان ذلك عين اليقين الذي كان قبل شهوده

علم يقين وحصل في النفس برويته ما لم يكن عنده قبل رويته - ثم قرّر الله تعالى بصيرته في كون ذلك البيت مضافًا الى الله مطافًا به مقصودًا دون غيره من البيوت المضافة الى الله فعلم علة ذلك وسببه باعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان عليه بذلك حقًا يقينًا مقررًا عنده لا يزول وكل ما كان حقًا فله قرار وليس هذا الكل علم وعين - فلذلك صحت اضافة هذه الاشياء الى اليقين فلو كان علم اليقين وعينه وحقه نفس اليقين ما صحت الاضافة لان الشيء الواحد لا يضاف الى نفسه لان الاضافة لا تكون الا بين مضاف ومضاف اليه فتطلب الكثرة حتى يصح وجودها وما لم يفرق بين اليقين والعلم ويقول ان العلم هو اليقين وقد ورد في كتاب الله مضافًا احتاج الى طلب وجه في ذلك تصح له به الاضافة ليؤمن بما جاء من عند الله فقال قد يكون المعنى واحدًا ويدل عليه لفظان مختلفان فيضاف احد اللفظين الى الآخر فانهما عبران بلا شائبة في الصورة مع احدية المعنى لان لفظة العلم ما هي لفظة اليقين لهذا التغاير فصحت الاضافة في الالفاظ لا في المعنى - وانما امتثال من احتال هذه الحيلة لقصور فهمه عما تدل عليه الالفاظ في الموضوعات من المعاني - فلو علم ذلك لعلم ان المدلول لفظة العلم غير مدلول لفظة اليقين - واذا تقرر هذا فقد علمت معنى علم اليقين وعينه وحقه - وقد عرفت ان اليقين هو كل ما ثبت واستقر ولم يتزلزل فعلم ذلك علم اليقين وشهود ذلك عين اليقين - وانكشاف وجوب الحكمة في ذلك العين حق اليقين - هذا ما ذكره الشيخ الاكبر في الفتوحات في فصل اليقين ونحن لخصناه - فيكون المعنى لو تقرر في قلوبهم قبح التكاثر

فی العدد والاموال تفاخرتم بذکرہ لکان خیرا لھم - لَتَرَوُنَّ الْجَحِیْمَ - جواب قسم محذوف - ای رویۃ الجحیم امر ثابت فلو ادرکوہ لکان خیرا لھم علم الیقین وفیہ وعید شدید کما لا یخفی - والجحیم اسم من اسماء النار وکل نار عظیمۃ فی مھواۃ فھی جحیم من قولہ تعالٰی - قَالُوا ابْنُوْا لَہٗ بُنْیَانًا فَاَلْقُوْہُ فِی الْجَحِیْمِ - قال ابن سیدہ الجحیم النار الشدیدۃ التاء جیم - یقال تجحم مجحوما ای تلوقد توقدا وروایت جحمۃ النار ای توقدھا وانشد الاصمعی فی صفۃ النصال ؎ وَضَالَۃٌ مِثْلُ الْجُحَیْمِ الْمُوْقَدِ ؎ شبہ النصال واحدتھا بالنار ضالۃ من الضال وھو الصغر والدقۃ - قرأ ابن عامر والکسائی بضم التاء - لُتَرَوُنَّھَا - التکریر للتاکید فی الوعید والمراد بھذہ الرویۃ رویۃ العین - عَیْنَ الْیَقِیْنِ - وھو المشاھدۃ الناشئۃ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ - ای یوم القیامۃ - عَنِ النَّعِیْمِ - الذی الھاکم والمخاطبون ھم الذین یلھون عن الدین - والمراد بالنعیم ھو تکثر العدد والمال والولد - وقیل ھو الذی انعمھم اللہ من الحواس والجوارح وقیل صحۃ الابدان - قال قتادۃ لا یسئل عن النعیم الا اھل النار - وھو قول الحسن کما روی عن ابی بکر الصدیق رضی اللہ عنہ انہ سأل رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ارأیت اکلۃ اکلناھا معک فی بیت ابی الھیثم بن التیھان من جفنۃ شعیر ولحم ویسر وماء عذب ان تکون من النعیم الذی نسئل عنہ - فقال علیہ الصلوٰۃ والسلام - انما ذلک للکفار تقریعا وھل یجازی الا الکفور وقال بعضھم انھا نعم المؤمن والکافر یعنی ان المؤمن یسئل عن النعیم کما یسئل عن الکافر واحتجوا باحادیث احاد ظاھرھا انھا فی شان الکفار الذی الھاکم التکاثر بالدنیا والتفاخر بھا فسئلھم عن الدین - واللہ اعلم

بالصواب - قد تم تفسير هذه السورة بعون الله الذي انزل على عبده الكتاب - وهو برهان حق اليقين - وفصل الخطاب والصلوة والسلام عليه وعلى اله واصحابه الذين هم سادة الناس في يوم الحساب

سورة العصر ثلث ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر - الواو للقسم العصر بفتح العين وبكسرها وبضمها الدهر وهو قول الفراء - وقال بعضهم هو الوقت ومنه قول العجاج -

والعصر قبل هذه العصور مجرسات غداة الغابر

والمجرسات المجربات لان التجريس التجربة والتحكيم - وقال بعضهم هو وقت العشي الى احمرار الشمس وصلاة العصر مضافة الى ذلك الوقت وبه سميت واليه ذهب ابو مسلم في تفسيره وذكر انه تعالى اقسم بالعصر كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة انتهى وهو قول قتادة - وقال ابن السكيت ويقال للغداة والعشي العصران ومنه قول العجاج

وقد بليت العصرين يوم وليلة اذا طلبا ان يدركا ما تيمما

وهذا القول انسب واكثر المفسرين ذهبوا الى ان المراد به الدهر والزمان - ويؤيد هذا المعنى ما ذكر ابن الانباري انه في مصحف علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه والعصر ونوائب الدهر ان الانسان

لَفِیْ خُسْرٍ - وکان یقرأ کذلک وانما قسم اللّٰہ بالعصر - لانّہ یذکر
الانسان احوال الایام الخالیۃ والحوادث الحادثۃ فیھا - کما مار القرون
الماضیۃ العاتیۃ وتقلّبات احوالھا وھذہ الایّام تخبر النّاس بانّ
الانسان مع کونہ ناظرًا الی مرور الزمان وذھابہ وسرعۃ انتقالہ
وتولّیہ لا یلتفت الی انصرام عمرہ وانقطاع حیاتہ ولا یتوجّہ الی تحوّلات
احوالہ من الصبی الی الشباب ومنہ الی الکھل والھرم لانّ الاشتغال فی الدنیا
لا یمھلہ - والاستلذاذ بنعمھا لا یترکہ راوق الغفلۃ والسنّۃ بل یلقیہ
فی مھواۃ الطغیان والعتوّ - حتی ینقضی عمرہ وھو نجم لذائذھا
سکران - ویمضی وقتہ وھو ثمل فی اللھو والعصیان - وقرأ اسلام العصر
بکسر الصاد والصبر بکسر الباء قال ابو حیّان وفی الکلام للھزلی والعصر
والصبر والفجر والوتر بکسر ما قبل الاٰخر فی ھذہ کلھا ھارون وابن موسی
عن ابی عمرو والباقون بالاسکان کالجماعۃ - اِنَّ الْاِنْسَانَ لَفِیْ خُسْرٍ
ھذا جواب القسم - والانسان اسم جنس ای جنس الانسان لفی خسر
یقال خَسِرَ خَسَرًا او خَسَرًا او خُسْرًا او خُسْرَانًا او خَسَارَۃً ای ضلّ وقال الزجّاج
الخُسْر ای النقص - وقال الفرّاء ای فی عقوبۃ بلائہ - ونکّر قولہ
خسر للتعظیم ومعناہ خسر عظیم - والمعنی ان النّاس لفی نقصان عظیم
فی مساعیھم وغبن جسیم فی متاجرھم لانھم افنوا اعمارھم فی طلب
العاجلۃ فضیّعوا اوقاتھم - اِلَّا الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ - فھم
فازوا بالسّعادۃ الابدیّۃ - بفضل اللّٰہ واحسانہ - واختلف فی الاستثناء
فمن اراد بالانسان الکافر قال انہ منقطع ای خسر الکفار بأجمعھم
الا الذین اٰمنوا وعملوا الصّالحات - والاکثرون علی انّہ متصل واراد

بالانسان جنسه لان من امن لا يخرج من الخسر قطعا يجوز ان يكون خاسرا في بعض الاشياء بل يخرج منه من امن وعمل عملا صالحا فانه لا يكون خاسرا في متجرة البتة - وليس يدل هذا على ان العمل داخل في مفهوم الايمان لانه لو كان كذلك لما جاز ان يعطف قوله الا الذين امنوا على قوله الذين امنوا لان العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه - والمغاير من الشيء لا يكون جزأ له فلا يكون العمل جزءا للايمان - ولان الايمان جعل شرطا لصحة الاعمال كما قال الله تعالى - ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن اي بشرط ان يكون مؤمنا ولا يجوز ان يكون المشروط داخلا في الشرط لامتناع اشتراط الشيء لنفسه فلا يدخل العمل في الايمان ولان العمل لو كان داخلا في مفهوم الايمان لوجب التكرير وهو غير جائز - لا يقال قال الحليمي هذا التكرير واقع لا محالة - لان الايمان وان لم يشتمل على عمل الصالحات لا كن قوله وعملوا الصالحات يشتمل على الايمان - لانا نقول ان الايمان اذا كان شرطا لصحة العمل لا يجوز ان يكون الايمان داخلا فيه - فلا يكون جزء المشروط فالعمل لا يشتمل الايمان - وقد تقدم هذا البحث مرارا - والذي ذهب اليه المحققون من العلماء الحنيفة والشافعية هو ان الايمان هو نفس التصديق والاذعان فلا يحتمل الزيادة والنقصان والعمل هو شرط كماله فيكون سببا لاتجاله لا غير وهذا مذهبنا فالذين امنوا وعملوا الصالحات نالوا الكرامة والسعادة بسبب الايمان والاخلاص والعمل الصالح فالذين قاصرون في الاعمال سينالون هذه السعادة بسبب تفضل

من الله والشفاعة فلا يكونون من الخاسرين - وتواصوا بالحق يقال تواصى القوم اي أوصى بعضهم بعضا وفى الحديث استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان والوصى هو الذي يوصى والذي يوصى له وهو من الاضداد ومن العرب من لا يثنى الوصى ولا يجمعه - والوصية هى الاتصال الموصى بالموصى له وسميت وصية لاتصالها بامر الميت وقيل لعلى كرم الله ورضى الله عنه - وصى لاتصال نسبه وسببه وسمته بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسببه وسمته - قال ابو منظور الافريقى قلت كرم الله وجه امير المؤمنين على وسلم عليه هذه صفاته عند السلف الصالح رضى الله عنهم ويقول فيه غيرهم لو لا دعابة فيه انتهى فالتواصى بالحق هو الدعاء الى الدين والنصح والامر بالمعروف والنهى عن المنكر - ومن ههنا يعلم ان الداعى الى الخير والمتواصى لا يشترط التاثير لدعوته الى الحق فما قال الشيعة ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يجوزان الا بعد وجود التاثير فى نفس المخاطب باطل قطعا - وتواصوا بالصبر - وهو حبس النفس عند الجزع والشدة

ابن الاعرابى

ارى امر زيد كلما جر كبة تبكى على زيد وليست باصبرا

وهو خلق جميل من اعطاه الله صلح نفسه وفاز عند الله - وبه نزل الكتب قال الله تعالى - يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون - يعنى اصبروا على ما افترض الله عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا على الجهاد وانتظار الصلوات - وجاءت به السنة كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم - انه قال الصبر ستر من الكروب وعون

عليه الطوب وقال علي كرم الله وجهه الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو - ومنه شعر عبيد بن الابرص -

صَبْرُ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَعِيشَنَّ فِي الْأُمُورِ رَقُودًا ... تُكْشَفُ عَمَّا وُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ
رُبَّ مَا يَخْرُجُ النُّفُوسَ مِنَ الْأَمْـ ... ـرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

قال علي ابن طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه للاشعث بن قيس أنك ان صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور - وان جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور - وقد نظمه ابو تمام - وقال -

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَازِي لِأَشْعَثٍ ... وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضَ تِلْكَ الْمَآثِمِ
أَتَصْبِرُ لِلتَّقْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً ... فَتُؤْجَرُ أَوْ تَسْلُو سُلُوَّ الْبَهَائِمِ

وانشد بعض الادباء لعثمان بن عفان رضي الله عنه -

خَلِيلَيَّ لَا وَاللَّهِ مَا مِنْ مُسَلَّمَةٍ ... تَدُومُ عَلَى حَيٍّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَلَا تَخْضَعَنْ لَهَا ... وَلَا تُكْثِرِ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ بِيعَ بَعْدَ بِلَى بِلَى ... فَصَابَرَهَا حَتَّى مَضَتْ وَاضْمَحَلَّتِ
وَكَمْ غُمَّةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ عَمْرَةٍ ... تَلَقَّيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتِ
فَمَا كَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً ... فَلَمَّا دَرَاتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ
فَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً ... فَقَدْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَنَا ثُمَّ وَلَّتِ

والمراد بالتواصي بالصبر الامر بالصبر على العبادات وحبس النفس عليها باخلاص النية وصدق الارادة لنيل الصلاح في الدنيا والفلاح في الاخرة تم تفسير هذه السورة - والحمد لله الذي وفقنا بالصبر الاقتداء - والصلوة والسلام على نبينا خير الانبياء وعلى آله واصحابه الذين هم سادة الاتقياء وهداة الاصفياء

سورة الهمزة تسع آیات وهی مکیة

أنزلت بمکة وقیل مدنیة

بسم الله الرحمن الرحیم

وَیْلٌ - اختلف فی من نزلت فقال بعضهم فی الاخنس بن شریق وقال بعضهم فی العاصی بن وائل وقیل فی جمیل بن معمر وقیل فی ولید بن المغیرة وقیل فی امیة بن خلف ویمکن ان تکون نزلت فی الجمیع وهی مع ذلک عامة لمن اتصف بهذه الاوصاف کذا ذکر ابو حیان - وهو مرفوع بالابتداء

لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ - قال ابو اسحق الهمزة اللمزة الذی یغتاب الناس ویغضهم قال - ومنه قول الشاعر -

إِذَا لَقِيتُكَ عَنْ شَحْطٍ تَكَاشَرْنِي ... وَإِنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتُ الْهَامِزَ اللُّمَزَهْ

کذا قال الزجاج وابن السکیت ولم یفرق بینهما وروی عن ابن عباس فی ذلک المراد بهما هو المشاء بالنمیمة المفرق بین الجماعة المغری بین الاحبة - وهو قول الحیانی وجاء فی الحدیث ان النبی صلی الله علیه وسلم کان اذا استفتح الصلوة قال اللهم اعوذ بک من الشیطان الرجیم من همزه ونفثه ونفخه - قیل یا رسول الله ما همزه ونفثه ونفخه - قال اما همزه فالموتة واما نفثه فالشعر - واما نفخه فالکبر - قال ابو عبیدة الموتة الجنون قال ابن الاعرابی الهمز معناه الغض والکسر والعیب - قال الوهری وهو اصل فی الهمزة والمز الدفع - قال الکسائی یقال هزنه ولزنه وهزته اذا

دفعة - وقال الفراء الهمز واللمز والمزء واللفس والنقس العيب وقال ابن الانباري الهمزة الذي يخلف الناس من ورائهم ويأكل لحومهم وهو مثل الغيبة يكون ذلك بالشدق والعين والراس قال ابو حيان هو من ابنية المبالغة كنومة وسخرة وضحكة - قال زياد الاعجم

تَدْلِي بِوُدِّي إِذَا لَاقَيْتَنِي كَذِبًا ... وَإِنْ أَغِيبُ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللُّمَزَهْ

قرأ الجمهور بفتح الميم فيهما والباقون بسكونها - الَّذِي - بدل من قوله لكل أو منصوب على الذم وهو قول ابي حيان - جَمَعَ مَالًا - قرأ الحسن وابو جعفر وابن عامر والاخوان - بتشديد ميم جمع وباقي السبعة بالتخفيف - وَعَدَّدَهُ - قرأ الجمهور وعدده بتشديد الدال الاولى اي احصاه وهو قول الفراء وقيل جعله عُدَّةً لطوارق الدهر وحوادث الايام - قرأ الحسن بتخفيفها معناه جمع المال - قال الضحاك جمع مالا لمن يرثه ذكر ابو حيان قيل وعدده على ترك الادغام كقوله

إِنِّي أَجُودُ لِأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنِنُوا

اقول وهو قول ثعلب ابن ام صاحب اوله -

مَهْلًا أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبْتِ مِنْ خُلُقِي

فاظهر التضعيف لضرورة الشعر - وفي النثر ليست الضرورة - يَحْسَبُ اي ذلك الهامز اللامز - أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ - اي يخلد ذلك المال صاحبه في الحياة الدنيا - كَلَّا - كلمة ردع عن هذا الحسبان - لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ - جواب قسم محذوف - والنبذ طرحك الشيء من يدك امامك او وراءك ومنه قوله تعالى - فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ - قرأ الجمهور لينبذان فيه ضمير الواحد وعلي والحسن بخلاف عنه وابن

محيص وحميد وهارون عن ابي عمرو لينبذن ان بالف ضمير اثنين الهمزة
ومالة وقرأ الحسن بضم الذال اي هو وانصاره وقرأ ابو عمرو لينبذنه -
والحطم الكسر - والحطمة من اسماء النار لانها تحطم كل شئ يدخل
فيها - وما ادراك - الاستفهام للتهويل والتفريع - ما الحطمة هي
من ابنية المبالغة وهو الذي يكثر منه الحطم ومنه الحديث رأيت
جهنم يحطم بعضها بعضا - وقيل هي باب من ابواب جهنم وقيل هي الطبقة الثالثة
من طبقاتها - نار الله الموقدة - بامر الله لا تخمد ابدا واضافة النار الى
الله لعظم شانها وهولها - التي تطلع على الافئدة قال الفراء يبلغ
المها الافئدة قال والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد والعرب
تقول متى طلعت ارضنا اي متى بلغت ارضنا ومعنى تطلع على الافئدة
تلوى عليها فتحرقها من اطلعت اذا اشرفت قال الازهري وقول الفراء
احب الي قال واليه ذهب الزجاج - والمعنى ان هذه النار تدخل الجوف
الكافرين فتشرف على افئدتهم وليس شئ في البدن اشرف والطف
من الفؤاد فاذا تطلعت النار على الافئدة لا تسئل عن شدة على ابدانهم
اعاذنا الله عنها - انها - اي نار الله الموقدة - عليهم - اي الهمزة اللمزة
مؤصدة - يقال اصدت الباب اي اغلقته - ومنه قول الشاعر

تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة

اي مغلقة ابوابها - في عمد ممددة قال ابن عباس رضي الله عنهما
ان العمد الممددة اغلال - يقال عمد وعمد كما قالوا اهاب واهب
واهب ومعناه انها في عمد من النار - قال الازهري وهذا قول الزجاج
وقال قال الفراء العمد والعمد جميعا جمعان للعمود مثل ادیم وآدم

وأدم وقضيم وقضم وقضم - قرأ الجمهور عمد بفتح العين والميم وقيل هو اسم جمع لعمود وقال ابو عبيدة هي جمع عماد - وقرئ بضم العين والميم جمع عمود قال القشيري ان العمد اوتاد قال الفراء هما جمعان بمعنى واختار هذا الزجاج وابو عبيد قرأة الجمهور - والمعنى ان ابواب جهنم مغلقة عليهم في اغلال او عمد ممدودة لانقطاع لها - قال البيضاوي ان هؤلاء الكافرين موثقون في أحكم عمدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص - تم تفسير هذه السورة بحمد الله الملك العزيز العلام فالحمد له اولا واخرا وباطنا وظاهرا والصلوة والسلام على نبيه طيبا وطاهرا وعلى اله واصحابه الذين هم ائمة الكرام وهداة الى طريق الاسلام

سورة الفيل مكية وهي اثنتا عشرة اية وخمسون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحب الفيل - الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم - اي الم تعلم قدرته وانعامه تعالى وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهد تلك الواقعة بعينه الا انه شاهد اثارها ورأى من راي احوالها وسمع بالتواتر اخبارها - فكانه راها - قال البيضاوي وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الامور الظاهرة التي اشتهر انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتهى

وقصتها على ما ذكرها ابن هشام انّ ذا ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة لم يرَ مثلها في الارض - ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يُبنَ مثلها لملك كان قبلك - ولست بمنتهٍ حتى اصرف اليها حاج العرب فلما اتحدث العرب بكتاب ابرهة غضبوا لانهم لم يقدروا على ان يقاتلوه ثم خرج ابرهة الحبش فتجهز مع عساكره فسار ومعه الفيل الذي قال له محمود المخرج اليه رجل من اشراف اليمن يقال له ذو نفر فقاتله فهزمه ذو نفر ومن معه فاخذه ابرهة اسيرًا فلما اراد ان يقتله قال له ذو نفر لا تقتلني لان بقائي يكون لك خيرًا فحبسه ثم مضى ابرهة على وجهه فنزل بنفيل بن حبيب الخثعمي فقاتله فكسره ابرهة واخذه اسيرًا فقال نفيل لا تقتلني اكن دليلًا لك بارض العرب فحلّ وثاقه وخلى وخرج معه يدلّه حتى مرّ على الطائف فقاتله رجال بني ثقيف فانقلبوا خائبين - وانشد ابو عبيدة لضرار بن الخطاب الفهري -

وقرّبت ثقيفٌ إلى لاتها ... بمُقلب الخائب الخاسر

فسار ابرهة ونزل المغمس وبعث رجلًا من الحبشة يقال له الاسود ابن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموالًا عظيمة من قريش وغيرهم فاصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذٍ كبير قريش وسيدها فهمّت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم بقتاله فتأمّلوا في هذا الشان فعرفوا انهم لا طاقة لهم به فتركوه اردوا وبعث ابرهة حناطة الحميري الى مكة فجاء اهلها سادات من سبدل هذا البلد فقالوا له هو عبد المطلب بن هاشم فلما قابله وترجمانه امره ابرهة

فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه - وقال هذا بيت الله وبيت خليله
عليه السلام - فان يمنعه منه فهو بيته وان لم يمنع عنه فوالله ما عندنا دفع
عنه - فقال حناطة انطلق معي اليه لانه امرني ان آتيه بك - فانطلق
معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى اتى عسكرهم - وسأل عن ذي نفر
وكان له صديقا فدخل عليه فشاوره في امر ابرهة - فبعث ذو نفر الى
انيس له فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم
الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال وقد اصاب له الملك مائتي
بعير فاستاذن له عليه وانفعه بما استطعت - فسار حتى اتى المطلب الى انيس
ذي نفر فكلم انيسه ابرهة وقال يا ايها الملك هذا سيد قريش ببابك
يستاذن عليك وهو صاحب عين مكة يطعم الناس في السهل والوحوش
في رؤوس الجبال فأذن له عليك فيكلمك في حاجته قال فاذن له ابرهة
وكان عبد المطلب وسيم الناس واجملهم وعظمهم فلما رآه ابرهة اجله
وعظمه واكرمه عن ان يجلسه تحته واكره ان يراه الحبشة يجلس معه
على سرير ملكه فنزل ابرهة عن سريره فجلس على بساطه واجلسه معه
ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له الترجمان فقال عبد المطلب حاجتي
ان ترد علي الملك مائتي بعير اصبها لي - فلما سمع ابرهة هذا القول قال
الترجمانه قل له قد كنت اعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين
كلمتني في مائتي بعير اصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين اباءك
قد جئت هدمه لا تكلمني فيه - قال له عبد المطلب اني انا رب الابل
وان للبيت ربا سيمنعه قال انت وذاك فرد ابرهة على عبد المطلب الابل
التي اصاب له فانصرف عبد المطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وامرهم بالخروج

من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبش
ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش
يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو
اخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان العبد يمنع رحله ... فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم ابدا محالك
ان كنت تاركهم وقبلتنا ... فامر ما بدا لك

ثم ارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش
الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون عواقب ابرهة فلما اصبح ابرهة تهيأ
لدخول مكة وهيأ فيله وعبى جيشه وكان معه افيال اخر فوجه الفيل
المحمود ذا العساكر الى مكة حتى ان الفيل برك في طريق مكة وضربوه ليقوم
فابى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه
الى المشرق ففعل مثل ذلك فوجهوه الى مكة فبرك فضربوا رأسه بالمرزبة
ليقوم فابى فادخلوا محاجن لهم في مراقه فابى ان يقوم فنزعوا ريشا من
ريش مكة وانصرفوا راجعين الى الكعبة فارسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر امثال
الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار يحملها حجر في منقاره وحجران
في رجليه مثل الحمص والعدس فمن وقع هذا الحجر عليه هلك وليس
كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاؤا ويسألون
عن نفيل بن حبيب وكان دليلهم في هذا الطريق وكان هرب منهم فنزل
الحبشة في القفار ويقتلهم الطير من الاحجار - قال نفيل بن حبيب
حين رأى ما انزل الله بهم من نقمته

أَلَا حُبِّيتَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا ... نَعِمْنَاكُمْ مِنَ الْإِصْبَاحِ عِينَا
رُدَيْنِيَّةٌ لَوْ رَأَيْتِ فِلَاتَنَا ... لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا أَتَيْنَا
إِذًا لَعَذَرْتِنِي وَحَمَلْتِ أَمْرِي ... وَلَمْ تَأْسَيْ عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا
حَمَدْتُ اللّٰهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا ... وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا

فخرجت هذه الطعاة يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل منزل ومنهل واصيب ابرهة في جسده ومخرجا به يسقط أنملة أنملة كلما سقطت منه انملة اتبعتها منه مدة ثم قيح ودم حتى جاؤا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه - ألم يجعل كيدهم في تضليل - اى مكرهم في هدم الكعبة في هلاك وقد جاء مثله في قوله إن المجرمين في ضلال وسعر اي في هلاك وقيل والمعنى ان الله جعل كيدهم في تخريب الكعبة في ضياع وضلال - ومعنى التضليل تصيير الانسان الى الضلال - ومنه قول الراعي -

إِنَّا أَتَيْتُ بُجَيْدَةَ بْنَ عُوَيْمِرٍ ... أَبْغِي الْهُدَى وَيَزِيدُنِي تَضْلِيلًا

وأرسل - عطف على قوله الم يجعل عليهم - اى على هولاء الطاغين طيرا - اسم جنس بذكر ويونث - أبابيل - لغت لطير - قال ابو عبيدة أبابيل جماعات متفرقة اى من ههنا الى ههنا ومنه قول الاعشى

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ... إِذْ سَائَلَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ

قال الفراء لا واحد له من لفظه وفي رواية عنه ان واحده اباله - وقيل واحده أبول والاكثر على انه لا واحد له من لفظه - قال رؤبة العجاج

وَمَسَّهُمْ مَا مَسَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ ... تَرْمِيهِمُ حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلِ

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ

قال قتادة هي طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا - والله اعلم بالصواب

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ اي ترميهم تلك الطيرالابابيل بحجارة من سجيل قال ابن هشام وذكر بعض المفسرين انهما كلمتان فارسيتان جعلتا العرب كلمة واحدة وانما هو سنگ وجل اي سنك وكل - وقال بعضهم من سجيل اي من طين كما قال الله تعالى - في قصة لوط عليه السلام - لنرسل عليهم حجارة من طين - فقد بين للعرب ما عنى بسجيل - قال الازهري ومن كلام الفرس لا يحصى مما اقل اعربته العرب نحو جاموس وديباج فلا انكر ان يكون هذا مما اعربت قال ابو عبيدة سجيل وسجين واحد بمعنى كثير وقال ان مثل ذلك قول ابن مقبل -

وَرَجْلَةٍ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ عَنْ عُرُضٍ ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينَا

وقال الزجاج هو من سجل اي ما كتب لهم - قال ابو اسحق وهذا القول اذا اتبع فهو ابينها لان من كتاب الله دليلا عليه قال الله تعالى - كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ - وسيجيء معنى سجين والمعنى انها حجارة مما كتب الله تعالى - انه يعذبهم بها قال وهو احسن بما مر فيها عندي - واختار صاحب الكشاف قول الزجاج قال هو علم لديوان اعمالهم - وقال واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا - فارسلت عليهم حجارة وقيل معناه من شديد عذابه ودوو ابيت ابن مقبل كما مر انفا - قال صاحب الكشاف وهذه القصيدة لونية مشهورة في ديوانه التي قيل ودوي الجزء الاول من البيت كذا -

وَرُفْقَةً يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ ضَاحِيَةً ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سَجِّيسَا

قرأ الامام ابو حنيفة رحمه الله يرميهم اى الله تعالى - او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى - ومنه قول الشاعر -

كَالطَّيْرِ يَنْجُو مِنَ الشُّؤْبُوبِ ذِي الْبَرَدِ

ذكره ابو حيان والجمهور قرأوا بالتاء اى ترميهم فجعلهم - اى الله جل شانه وعظم سلطانه والضمير يعود على اصحاب الفيل قيل وكانت الفيلة فيهم ثلاثة عشر - وقيل ازيد من ذلك وقيل كانت الفا - كعصف ماكول قال سعيد بن جبير العصف التبن الذي تسميه العامة الهبور - وفي رواية عنه هو ورق الحنطة - قال ابن عباس العصف القشرة تكون على اعلى الحبة وقيل العصف والعصف ورق السنبل - قال ابو عبيدة العصف الذي يعصف من الزرع فيوكل وهو العصيفة - قال بعضهم ولقوله كعصف ماكول معينان - احدهما انه جعل اصحاب الفيل كورق اخذ ما فيه من الحب وبقي هو لاحب فيه والاخر انه اراد انه جعلهم كعصف قد اكلها بهائم - وانشد ابو العباس محمد بن يزيد -

فَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولِ

اراد مثل عصف ماكول - وزاد الكاف لتاكيد الشبه كما اكده بزيادة الكاف في قوله تعالى - ليس كمثله شيء الا انه في الاية ادخل الحرف على الاسم وهو سائغ وفي البيت ادخل الاسم وهو قوله مثل على الحرف وهو الكاف والمعنى ان الله سبحانه اهلكهم وعن بهم فماتوا عاشتهم ولم يرجع منهم مخبر فلما هلك ابرهة ملك بعده ابنه يكسوم ثم من بعده اخوه مسروق بن ابرهة ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري الى الحبشة فاستعانه على الحبشة فانفذ

معه من جيوشه فقاتلوا معه فردّ الله اليهم ملكهم وما كان في ايديهم من الملك وجاءته وفود العرب للتهنئة - روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل قيل ولد صلى الله عليه وسلم بعد ما مضى من وقعة الفيل خمسون وهذا القول صححه الخازن - والصحيح انّ في عام ولادته صلى الله عليه وسلم - اختلافًا كثيرًا - تم تفسير هذه السورة بعون الله الجليل والتوفيق لا على نبيه الى يوم الخليل على اله واصحابه الذين هم اولو التفضل والتبجيل -

سورة ايلاف قريش مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلاف قريش - اختلف في اتصال سورة مستقلة او متعلقة بالسورة المتقدمة فقال الاخفش ان سورة الفيل وسورة قريش واحدة ولهذا قال الزمخشري لان في مصحف ابي بن كعب ليس بينهما فصل وروي ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله - قرأهما في ركعة ثانية من المغرب وفي الاولى سورة التين - ولو كان كل واحد منهما سورة مستقلة لما قرأهما في ركعة واحدة وعلى هذا القول يكون اللام متعلقة بقوله فجعلهم وهو مروي عن الاخفش او باضمار فعلنا والمعنى فعلنا ذلك اي اهلكنا اصحاب الفيل لايلاف قريش - وهذا ايضا مروي عن الاخفش قال وفيه امتنان من الله عز وجل عليهم وذلك لانه تعالى لو سلّط

عليهم اصحاب الفيل وهم الحبشان تنشتت العرب في البلاد والامصار
ولم تجتمع كلمتهم - وهو قول الفرّاء والزجاج - وابن قتيبة - وفيه نظر
لان ايلاف اصحاب الفيل وجمعهم كعصف ماكول - لم يكن الا لشدّة
كيدهم وطغوانهم في المعاصي ومنه ارادة هدم بيت الله المعظم ولا
يفهم ان ايلافهم كان لايلاف قريش - مع ان سياق السورة نصّ على ان تدميرهم
كان جزاءً لمعصيتهم بالنسبة الى بيت الله لا يقال - ان اهلاكهم ثمّ
تمزيقهم الاولى هي جزاء معصيتهم في الدّنيا والثانية تاليف قريش
ولم يتبيّن لهم حاصل هذا التاليف الا بعد تدمير اصحاب الفيل واستيصالهم
لانا نقول ان تدميرهم ليس سببًا لايلاف قريش لجواز وقوع الاختلاف
بينهم بعد دمار اصحاب الفيل - وروي ان الكسائي والاخفش كانا
يقفان على ان اللام لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش كذا ذكر ابو حيان
في تفسيره - وكل ذلك ليس يخلو عن تكلّف وقال اكثر المفسرين انّ
اللام متعلّقة بقوله فليعبدوا والاجل ايلافهم رحلتين وهذا هو الذي
ذهب اليه خليل بن احمد - قال صاحب الكشاف فان قلت فلم دخلت
الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط على ان نعم الله كثيرة لا تحصى
فمن لم يعبده ونسائر نعمه فليعبده ولهذه النعمة الواحدة التي هي
نعمة ظاهرة - انتهى وعلى المعنى احسن - قرأ ابن عامر لايلاف على وزن
اعجال مصدر الف تلا يقال الف الرجل الفا والافا - ومنه قول الشاعر

نحن بنو ابنى بضيعة قد نزلت لهم الف وليس لكم الاف

قرأ الجمهور لايلاف قريش مصدر الف ثلاثيًا ومنه قول مطرود
بن كعب الخزاعي

الْمُنْعِمِينَ إِذَا النُّجُومُ لَعَيَّتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْإِيلَافِ
وقرئ لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ إِيلَافَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ - وقرأ أبو جعفر لِإِيلَافِ
بياء ساكنة بعد اللام - والقرش الجمع والكسب والقرش بكسر الفاء
دابة تكون في البحر أملى - ومنه قريش قال صاحب اللسان هو دابة في
البحر لا تدع دابة إلا أكلتها فجميع الدواب تخافها - وقريش قبيلة سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هم النضر بن كنانة بن خزيمة بن
مدركة بن إلياس بن مضر - فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي ومن
ولد كنانة ومن فوقه - قيل سموا قريشا لقريش مشتق من الدابة التي تكون
في البحر وتأكل جميع الدواب وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه
أنه دابة تسكن في البحر وتأكل دوابه - قال الشاعر -

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

وقيل سميت بذلك لتقرشها - أي تجمعها إلى مكة من حوليها بعد تفرقها
في البلاد حين غلب عليها قصي بن كلاب وبه سمي قصي مجمعا وقيل
سميت بفهر بن مخلد بن غالب بن فهر كان صاحب عيرهم فكانوا
يقولون قد مت عير قريش وخرجت عير قريش - وقيل سميت بذلك لتجمعها
وتكسبها وضربها في البلاد تبتغي الرزق - وقيل سميت بذلك لأنهم
كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أهل ضرع وزرع من قولهم فلان يتقرش المال
أي يجمعه - قال أبو حيان واجمعوا على صرف قريش وأما فيه معنى الحي
ويجوز منع صرفه إذا لوحظ فيه معنى القبيلة كما في قول الشاعر -

وجاءت من أباطحها قريش كسيل أتى لبشبة حين سالا

قال ابن بري وعندي أنه أراد قريش غير مصروف لأنه عنى القبيلة لأن

قال جاءت فانت فیکون منع صرفه للتانیث والعلمیة - قال الاصمعی کان جدول ماء أتی - وکذا لفظ قریش فی قول عدی بن الرقاع یمدح الولید ابن عبد الملک

غلب المساامیح الولید سماحة وکفی قریش المعضلات وسادها

جعله سیبویه اسما للقبیلة فی نحو معد وقریش وثقیف - قال الجوهری اذا ارادت بقریش الحی صرفته وان اردت به القبیلة لم تصرفه والنسب الیه قریشی کثیر وعلی القیاس وقرشی نادر -

بکل قریشی علیه مهابة سریع الی داعی الندی والتکرم

وهذا من کتاب سیبویه رحمه الله - والمساامیر جمع مسماح بمعنی کثیر السماحة - رحلة الشتاء - وکانت هذه الرحلة الی الیمن - والصیف فکانت الی الشام - فیمتارون ویتجرون قال الامام الرازی قال اللیث الرحلة اسم لارتحال من القوم للسیر وفی المراد من هذه الرحلة - قال المفسرون کانت لقریش رحلتان رحلة بالشتاء الی الیمن وبالصیف الی الشام وذکر عطاء عن ابن عباس ان السبب فی ذلک هو ان قریشا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج وعیاله الی موضع وضربوا علی انفسهم خباء حتی یموتوا الی ان جاءها هاشم بن عبد مناف وکان سید قومه وکان له ابن یقال له اسد وکان له ترب من بنی مخزوم یحبه ویلعب معه فشکا الیه الضر والمجاعة فدخل اسد علی امه یبکی فاخذت له اولادها بلا قیق وشحم فعاشوا فیه ثم اتاها ثم اتی ترب اسد الیه مرة اخری وشکا الیه ما نزل بهم فقام هاشم خطیبا فی قریش فقال انکم لاجدب ترجدبا تقلون فیه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشرف مال الادم والناس لکم تبع فقالوا انا لنحن نتبعک فلیس علیک

مِنَّا خلافٌ فجمع كلَّ بني أبٍ على الرحيلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام الى التجارات فمارجح الغنى قسمه بين الفقير والبلدة حتى صار فقيرهم مثل غنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو أبٍ أكثر مالاً ولا أعزّ من قريش قال الشاعر فيهم -

اَلْحَالِطِيْنَ فَقِيْرُهُمْ بِغَنِيِّهِمْ حَتّٰى يَكُوْنَ فَقِيْرُهُمْ كَالْكَافِي

قال ابن عباس يرحلون في الصيف الى الطائف حيث يزداد واظ ويرحلون في الشتاء الى مكة للتجارة وسائر أغراضهم ومنه قول الشاعر -

سَفَرَيْنِ بَيْنَهُمَا لَهُ وَلِغَيْرِهِ سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الْاَصْيَافِ

قال صاحب الكشاف اراد رحلتي الشتاء والصيف وذلك مثل قول الشاعر

كُلُوْا فِيْ بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوْا فَاِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيْصُ

انتهى اقول اي في بعض بطونكم - ومثله قول الشاعر -

قَدْ عَضَّ اَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيْسِ

اى جلود الجواميس - قال ابو حيان - وهذا عند سيبويه لا يجوز الا في ضرورة اقول وقد ورد ذلك في مواضع من القرآن كما قال الله - فَقَدْ كَانَ لِسَبَاٍ فِيْ مَسْكَنِهِمْ - حيث أفرده حمزة والكسائي وحفص - ومعنى في مساكنهم - وكذا في قوله تعالى - خَتَمَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ وَعَلٰى سَمْعِهِمْ حيث وحد السمع - وابو حيان لا يعتبر فصاحة القرآن فلا يعد قوله مطابقا لاصول سيبويه وما هذا الا ضلال واسعر - فليعتبر قوله هذا البيت - امرهم الله تعالى بعبادته بعد ما انعم عليهم بجزيل نعمه الذي أطعمهم من جوع - شديد وذلك لعموم الجدب والقحط حتى ان هؤلاء الصعاليك كانوا يأكلون الجيف وقد

مِنْ خَوْفٍ - اي من خوف اصحاب الفيل او التخطف فى بلدهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم قال ابن زيد كانت العرب يسبى بعضهم بعضا فامنت قريش من ذلك بمكان الحرم - تم تفسير هذه السورة فالحمد لله رب العالمين

سورة الماعون مكية وهى سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ - اختلف فى انها مكية او مدنية قال عطاء عن ابن عباس انها مدينة وروي ابن عباس انها مكية - وكذا اختلف فى شان نزولها فمن قال انها مكية قال انها نزلت فى العاص بن وائل - ومن قال انها مدينة قال انها نزلت فى عبد الله بن ابى ابن سلول - وقيل فى ابى جهل او الوليد بن المغيرة - قال ابو حيان قال هبة الله المفسر الضرير نزل نصفها بمكة فى العاص ابن وائل ونصفها بالمدينة فى عبد الله بن ابى المنافق - وقال ودوي انها نزلت فى ابى سفيان بن حرب كان ينحر فى كل اسبوع جزورا فاتاه يتيم فسأله شيئا فقرأ عصا - والاستفهام معناه التعجب قال ابو حيان ومعناه التفهيم ليتذكر السامع من يعرفه بهذه الصفة قرأ الجمهور بالهمزتين - وقرئ باسقاط الثانية اعنى أريت الحاقا بالمضارع لان حذف الثانية مختص بالمضارع - قال الزجاج لا يقال فى رأيت رَيْتَ - ولكن الف الاستفهام سهلت الهمزة الفا - واختلف فى ان ارايت هل هو بمعنى اخبرنى او بمعنى ابصرت او عرفت - فان كان الاول ينبغى ان يكون

مفعولين احداهما الذي والآخر محذوف فقدّره الجرمي ليس مستيقظًا عذاب الله - ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أرأيتك بكاف الخطاب - قال النحاة ان كاف الخطاب لا تلحق بالرؤية التي هي بمعنى ابصرت وقال صاحب الكشاف هو بمعنى عرفت وقال والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء والذي يحتمل الجنس والعهد والدين الجزاء كما في قول خويلد بن نوفل الكلابي -

يا حار أيقن أن ملكك زائل ... واعلم بأن كما تدين تدان

اي تجزى - ومنه قوله تعالى - إنا لمدينون - اي مجزيون - والديّان هو المجازي ولما كان الجزاء حقيقة هو الله تعالى سمّي باسم الديان - ويكون معناه هو الحكم القاضي ويطلق هذا الاسم باعتبار معناه الاصلي على غيره تعالى ومنه شعر الاعشى الحرمازي يخاطب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - يا سيّد الناس ودَيّان العرب ثرى - اي قضى العرب قال صاحب اللسان سئل بعض السلف عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه - فقال كان ديّان هذه الامّة بعد نبيّها اي قاضيها وحاكمها وقيل الدين الطاعة - فيكون المعنى اي يكذب لطاعة الله ومن قول عمرو بن كلثوم

وأيّامًا لنا غرٍّ طوالا ... عصينا الملك فيها ان ندينا

اي نطيع - فذلك الذي - قيل الفاء جواب شرط مقدر اي ان تأمّله فذلك - يدُعّ اليتيم - قرأ الجمهور يدعّ بضم الدال وتشديد العين من دعّه يدعّه قال ابن دريد اي دفعه دفعًا عنيفًا ومثله قوله تعالى يوم يُدعّون الى نار جهنم دعًّا - وهو قول ابي عبيدة - وقرأ علي والحسن

والاوّل جاء بفتح اللام وتخفيف العين ومعناه يتركه ويجفو - وقوله
يَحُضُّ - قرأ الجمهور يحضّ مضارع حضّ - قال ابو زيد الحضّ والحضّ لغتان
كالضعف والضعف قال ابو الفتح ما بدأ أنا به انّ الحضّ مصدر والحضّ
الاسم قال الازهري ومعناه الحثّ على الخير وقرأ زيد بن علي مضارع
حاضّ مضت قال الفرّاء وكلّ ذلك صواب - عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ - اي
ولا يحثّ نفسه ولا اهله على ان يتحرّ على اليتيم والطعام المسكين وقيل
ان هذه الآية نزلت في ابي جهل وكان وصيّا ليتيم فجاءه عريانا يسأله
من مال نفسه فلم يعطه شيئا - وقيل في ابي سفيان فانه نحر جزورا
فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او في الوليد بن مغيرة - وانّما يفعل هذا
الفعل لانّه لما كان يعتقد بيوم البعث والجزاء - فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ
هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ - اي غافلون - والمراد بالمصلّين هم المنافقون
الذين كانوا غافلين عن ثواب الصلوة - وهو قول الواحدي - روي عن ابن
عباس رضي الله عنه قال انّهم المنافقون الذين يصلّون الصلوة علانية ويتركونها
سرّا - قيل معناه هم الذين يؤخّرون الصلوة عن وقتها وكذا روي
سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال الحافظ ابن كثير
في تفسيره وهذا الحديث عن عاصم عن مصعب عن ابيه موقوفا - وقال
ضعّف البيهقي رفعه وصحّح وقفه وكذلك الحاكم - والصحيح هو الذي
ذهب اليه ابن عباس رضي - قال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال عن
صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم ساهون - انتهى فالسهو في الصلاة
يقع لكلّ مؤمن ومنافق الّا انّ النبي صلى الله عليه وسلم سهى في بعض
الصلاة اذ كان سهوه لامر فهو غير داخل في مفهوم السهو السّاهي

عنها فهو من شان المنافق فهذه الآية ليس الا في شان المنافقين كما يدل
عليه قوله تعالى - الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ - قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم المنافقون لا يصلون صلاة الا صلوها رياء وسمعة - وبين كونها
اذا غابوا - وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ - الماعون من المعن وهو الشيء القليل
وهذا قول قطرب اختلف في معنى الماعون - روي عن علي رضي الله عنه
انه قال الْمَاعُونَ الزكاة قال الزجاج من جعله الماعون الزكاة فهو مأخوذ
من المعن وهو قليل من كثير - قال ابن سيدة الماعون - الطاعة والزكاة
وهو من السهولة والقلة لانها جزء من كل قال الراعي -

قوم على التنزيل لما يمنعوا ماعونهم وبنيلهم التنزيلا

اي طاعتهم وزكاتهم - وقيل الماعون اسقاط البيت كالدلو والفاس
والقدر والقصعة لانه لا يكرث معطيه ولا يعنى كاسبه - قال ثعلب
الماعون ما يستعار من قدوم وسفرة وشفرة وجاء في الحديث وحسن
مؤاساتهم بالماعون قال وهو اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفاس
وغيرهما مما جرت العادة بهاريته - قال الفراء سمعت بعض العرب
يقول الماعون هو الماء والنار في فيه -

أقول لصاحبي بسراق نجد تبصر هل ترى بدقا اراكه
يحج صبيرة الماعون صبا اذا نسم من الهيف اعتراكه

وقال بعضهم الماعون في الجاهلية المنفعة والعطية - وفي الاسلام
الطاعة والزكاة والصدقة الواجبة والصحيح عندي في معناه ما روي
عن سيدي علي رضوان الله عليه ان الماعون الزكاة فيكون معنى قوله
تعالى - فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يُرَاءُونَ صَلَاتِهِمْ في العلانية ويمنعون الزكاة

في السر - وفي تفسير ابي حيان وكذا روي عن ابن عمر وابن عباس رض - اي الماعون هو الزكاة - ومنه قول الراعي -

أَحَلِيفَةَ الرَّحْمٰنِ إِنَّا مَعْشَرٌ ... حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

عُرُبٌ نَرَى لِلّٰهِ مِنْ أَمْوَالِنَا ... حَقَّ الزَّكَاةِ مُنَزَّلًا تَنْزِيلًا

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ مَا يَمْنَعُوا ... مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا

يعني بالماعون الزكاة وهذا القول يناسبه ما ذكره قطرب - تم تفسير هذه السورة بحمد الله فنحمده على ما علمنا من معاني القرآن وجعلنا من الذين لا يختصمون الا بالدليل والبرهان - وصلى الله على محمد خير الانبياء وسيد ال عدنان - وعلى اله واصحابه هم سراة اهل المغفرة والرضوان

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ - وقال الحسن وعكرمة وقتادة انها مدنية والقول الاول هو المشهور عند الجمهور قرأ الجمهور اعطيناك بالعين والحسن وطلحة وابن محيصن انطيناك بالنون - وفي الحديث وان مال الله مسئول ومنطي اي معطي وروي الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل انطه كذا وكذا والانطاء لغة في الاعطاء - وقيل الانطاء الاعطاء بلغة اليمن وايضا جاء في الحديث الدعاء لا مانع لما انطيت ولا منطي لما منعت قال هو لغة اهل اليمن في اعطى وايضا جاء في الحديث

اليد المُنطية خير من اليد السُّفلى هذا ما ذكره صاحب اللسان - وا بهذه اللغة انشد ثعلب -

مِنَ المُنطِياتِ المُوكِبَ المُجَّ بَعدَما يُرَى فِي فُرُوجِ المُقلَتَينِ نُضُوبُ

قال التبريزي هي لغة العرب العاربة من اولي قريش ومنه قول الاعشى

جِيادُكَ خَيرُ جِيادِ المُلُوكِ تُصَانُ الحِلَالَ وتَنضَى السَّعِيرَا

قال ابو حيّان قال ابو الفضل الرازي وابو زكريا التبريزي - ابدل من العين نونًا فانّ عينًا اللغة في هذه اللغة مكان العين في غيرها فحسن وان عينًا ابدل الصّناعي فليس كذلك بل كل واحد من اللغتين اصل بنفسها لوجود تمام التصرف من كل واحدة فلا يقال الاصل العين ثم ابدلت النون منها انتهى - وانّما قال اعطيناك ولم يقل اتيناك لانّ في الاعطاء تفضّلًا ووجوبًا وفي الاتيان تفضّلًا فقط - فاعطاء الكوثر للنبي صلى الله عليه وسلم - تفضيل محض من الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هكذا ذكر الامام الرازيّ - وانّما أتى بصيغة الجمع وان كان الاصل هو الواحد لانّ الله واحد لعظم شان المعطي والمعطى منه وانّما بنى الكلام على الجملة الاسميّة لافادة التاكيد في العطاء كذا ذكره الامام الرازيّ - والخطاب في هذا الكلام يدلّ على ان الله تعالى تكلم معه لا بواسطة - كما في قوله تعالى - الم نشرح لك صدرك وانكوثر فوعل من الكثرة والواو زائدة - واختلف اهل اللغة في معناه فقيل معناه السيّد الكثير الخير - ومنه قول الكميت -

وَأَنتَ كُتَيبٌ يَا ابنَ مَروَانَ كَهلُهَا وَكَانَ أَبُوكَ ابنُ العَقَائِلِ كَوثَرَا

وهذا التفسير يعمّ الحوض والنهر والمعاني الاخر - والابعد ان يقال

ان المراد به اولاد فاطمة الزهراء رضی الله تعالی عنها لان کلهم سادة کرام اصحاب الخیرات الکثیرة والمقامات الالهیة - فیکون المعنی ان الله تعالی اعطاه اولادًا امبارکة یبقون مکرمین علی مر الزمان وکر الدهور کما

قال فرزدق

اِنَّ عُدَّ اَهْلُ التُّقٰی کَانُوْا اَئِمَّتَهُمْ ۝ اَوْ قِیْلَ مَنْ خَیْرُ اَهْلِ الْاَرْضِ قِیْلَ هُمُ

وقیل الکوثر الکثیر الملتف من العباد اذا اسطع وکثر ومنه قول امیة

یُحَامِی الْمُحْقِبُوْنَ اِذَا اَحْتَدَمْنَ ۝ وَیَحْمِیْنَ فِیْ کَوْثَرِ کَالْجَلَالِ

اراد فی غبار کانه جلال السفینة - ثم اختلف اهل النقل فی معناه قال الحسن الکوثر القرآن - وقال هلال بن یساف التوحید - قال جعفر الصادق رضی الله عنه المراد به فؤاد قلبه دله علی الله تعالی وقطعه عما سواه وقال عکرمة النبوة وقال الحسن بن الفضل هو تیسیر القرآن وتخفیف الشرائع - وقال ابن کیسان الایثار - قیل هو الشفاعة - قال والاکثرون الکوثر نهر فی الجنة - وقیل هو حوض فی الجنة - قال القرطبی اصح هذه الاقوال انه النهر والحوض لانه ثابت عن النبی صلی الله علیه وسلم نصًا فی الکوثر وهو قول اکثر المفسرین والاحادیث فی هذا الباب اکثر من ان تحصی فصل لربک - قیل المراد به اقامة الصلوات المکتوبة وقیل صلوة العید والنحر البدن لله تعالی التی هی خیار اموال العرب وتصدق علی المساکین المحاویج وقال بعضهم یرید به وضع الیمنی علی الیسری فی الصلوة علی النحر وفیه دلیل للشافعی - وکذا روی عن علی ابن ابی طالب رضی الله عنه - وکذا روی عن السدی اخرجه البیهقی وقال الفراء والکلبی وابو الاحوص هو ان یستقبل القبلة بنحره - ان شانئک - من الشنأة وهی البغض والشانی هو المبغض

لذا الشأن بالهمز وبغيره كما قال الأخوص -

وما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفندا

قال ابو عمرو الشانئ المبغض والشنء والشنأة البغضة - هو الابتر - البتر القطع يقال تبرت الشئ اي قطعته - والابتر بضم الهمز من يقطع الرحم

ومنه قول الشاعر

لئيم يبذ في انفه خزرواة على قطع ذي القربى اجد باتر

روي عن ابن عباس لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر - وقال شمر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط - ثم تفسير سورة الكوثر - والله الحمد والملة والصلوة على محمد النبي هو نبي خير الامة - وعلى آله واصحابه الذين هم اولى الامم في الجنة

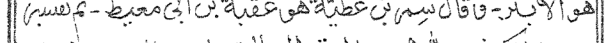

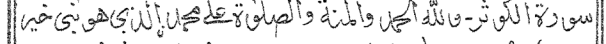

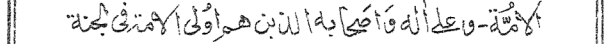

قل يا ايها الكفرون - قال المفسرون نزلت هذه السورة في رهط من قريش

منهم الحارث بن قیس السهمی والعاص بن وائل والولید بن المغیرة
والاسود بن یغوث والاسود بن المطلب بن اسود وامیة بن خلف اتوا
رسول الله صلے الله علیه وسلم - وقالوا ان اتبعت دیننا نتبع دینك
وان عبدت الهتنا نعبد الهك ونشرکك فی عبادة الهتنا سنة قال
رسول الله صلے الله علیه وسلم - نعوذ بالله ان اشرك بالله غیره - ثم
قالوا ان لم تفعل من جمیع الهتنا فامن بعض الهتنا حتی نومن الهك فکره
رسول الله صلے الله علیه وسلم وغضب - فانزل الله تعالی هذه السورة
فغدا رسول الله صلے الله علیه وسلم الی المسجد الحرام وفیه الملا من
قریش فقام بین ایدیهم وقرأ علیهم هذه السورة فغضبوا وجعلوا
یؤذونه صلے الله علیه وسلم - ویضربون اصحابه - فالمراد بالکافرین
هم المذکورون لانهم کانوا کافرین فی علم الله تعالی - والکفر هو انکار
شکل منعم وفی الشرع هو التکذیب بالله ورسوله والاصرار علی ما کان علیه
وهؤلاء الذین هم الموصوفون بهذه الصفة والمستدیمون علیها فخوطبوا
بقوله قل یا ایها الکافرون - اعلم ان رسول الله صلے الله علیه وسلم
کان موصوفا باخلاق عظیمة فلذلك امر فی بعض المواضع باظهار الخشونة والغلظ
فامره الله ان یقول یا ایها الکافرون وربما کان موسی علیه السلام مفطورا
بالخشونة امر الله بالقول اللین کما قال - وقولا له قولا لینا لعله یتذکر
او یخشی - وما مورا بالرفق واللین فی الدعوة لکنه مع ذلك خاطب
منکریة - بقوله یا ایها الکافرون بجهة انه کان ماموراً بهذه المخاطبة
کما تدل علیه کلمة قل - لا اعبد ما تعبدون - قال الاخفش ومعناه
لا اعبد الساعة ما تعبدون - ولا انتم عابدون - السنة - ما اعبد

ولا أنا عابد - في المستقبل - ما عبدتم ولا أنتم عابدون - في المستقبل ما أعبد - قال الاخفش ولا حاجة الى القول بالتوكيد بهذا التوجيه قال ابو مسلم ما في الاولين بمعنى الذي والمراد به المعبود وفي الاخريين مصدرية اي لا اعبد عبادتكم التي بنيت على الشرك والشك قال ابن قتيبة ان القران لم ينزل دفعة واحدة وانما كان نزوله شيئا بعد شيء والامر في ذلك ظاهر وهو ان المشركين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم - فقالوا استلم بعض اصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فامره الله بان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ثم غيره وامده من الزمان واجاءه صلى الله عليه وسلم - فقالوا له اعبد بعض الهتنا واستلم بعض اصنامنا يوما او شهرا او حولا فنفعل مثل ذلك بالهك - فامره الله تعالى بان يقول لهم ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ان كنتم لا تعبدون الها الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابدا - وقد طعن بعض الناس على هذا التاويل بان قال انه يقتضي شرطا واحدا فالا يدل عليه ظاهر الكلام - وحكى عن ابي العباس ثعلب انه قال انما حسن التكرار لان تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الاخرى وتلخيص الكلام قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا انتم عابدون ما اعبد في هذه الحال ايضا - فاختص الفعلان منه ومنهم بالحال - وقال من بعدهم ولا انا عابد ما عبدتم فرفع المستقبل ولا انتم عابدون ما اعبد - في المستقبل - فاختلف المعاني وحسن التكرار في اختلافها - انتهى وهذا مثل قول الاخفش - وذهب الفراء الى ان التكرار للتاكيد كقول المجيب موكدا بلى بلى - والممتنع لا لا - ومثله

قوله تعالى - كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون - وانشد الفراء -

وكائن وكم عندك لهم من صنيعة ... أيادي تثنى ها علي وأوجبوا

وقال بعضهم معناه لا إني لا اعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اي لم تتركوا عبادة الله الذي انا عابده اذ الشرك به واتخاذ الاصنام وغيرها معبودة من دونه او معه وانما يكون عابدا اله من اخلص العبادة له دون غيره وافرده بها - وقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي لست اعبد عبادتكم ومعنى لا انتم عابدون اي لستم عابدين عبادتي على ما ذكر فلم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني - فان قيل انما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة - قلنا ان الله صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت العبادتان ولانه كان النبي صلى الله عليه وسلم يتقرب الى معبوده بالافعال التي اوحاها اليه معبوده وهم لا يفعلون تلك الافعال الموحية المقربة بل يطلبون تقرب معبودهم المزعوم بافعال يجدثونها بانفسهم - لكم دينكم ولي دين - الدين هو الجزاء كما في قول الشاعر -

وألفيت بني سوى العدل وان ... دينا هم كما دانوا

وايضا كما قال الشاعر

اذا ما لقونا لقينا هم ... ودنا هم مثل ما يقرضونا

فيكون المعنى لكم جزاء عملكم ولي جزاء عملي - فان قيل ان الظاهر هذا الكلام يقتضي اباحة قيامهم على دينهم وليس هو الا الشرك والكفر وجوابه ان ظاهر الكلام وان كان بدل على ذلك لا كن فيه وعيد شديد للمشركين ومبالغة في النهي عن اقتفاء اثارهم فهو من ذلك كما قوله

تعالى اعملوا ما شئتم - وكما في قوله تعالى - ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - قال طائفة من العلماء ان هذه الآية منسوخة بآية القتال - اقول ان مفهوم الآية تدل على ان جزائي او حسابي مغائر لجزاء كم وحسابهم وهو صحيح لا شبهة فيه - فهذا المفهوم محكم لا يقبل شيئا من النسخ - قال البيضاوي في تفسيره فليس فيه اذن في الكف والامتناع عن الجهاد - ليكون منسوخا بآية القتال انتهى - اقول ولعل القائلين بالنسخ لا يتأملون في غوامض الشريعة - وظاهر ان الدين بدأ غريبا ضعيفا ثم صار مقيما قويا ويمكن ان يعود السيرة الاولى فاذا كانت هذه الآية منسوخة بآية القتال والجهاد لم يكن الا بعدة وعدة - ويزداد الضعف فيه يوما فيوما فعلى شئ يكون عمل المسلمين ومعلوم ان المنسوخ هو المعدوم فلا يمكن اعادته والناسخ ايضا معدوم لانتفاء شرائط وجوده فيجب التعطل - وحذفت الياء من قوله تعالى - دين وقفا وقرأ نافع وهشام وحفص والبزي بفتح الياء والباقون باسكانها قال البيضاوي وتبعا للزمخشري روى في فضيلة هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين ويعافى من الفرع الاكبر انتهى - والمراد بالفرع الاكبر هول القيامة اقول فهذا الحديث الى قوله ربع القرآن صحيح رواه الترمذي والبلخي موضوع لا اصل له - عند الحفاظ - قال الاثبات وكذا حال الروايات المذكورة في الكشاف والبيضاوي في فضائل السور فان اكثرها موضوعات - والصوفية في تأويل هذه الآية كلام آخر - وبيانه ان الذات لها مرتبتان الاولى هي التنزيه الحقيقي ويلحق

هذه المرتبة بالاحدية ولا يعتبر فيها شأن من شيون التعدد والتكثر ولا يلاحظ فيها صفة من الصفات - والثانية هي التشبيه - وهو ظهور الذات في مجالي الاكوان ومظاهر الاعيان - فالذات باعتبار المرتبة الاولى المعبود الحقيقي فلا يستحق بالعبادة الا هو وباعتبار المرتبة الثانية هي العابد مطلقا - فالمؤمن هو الذي يعبد الذات في مقام التنزيه والكافر هو الذي يعبد الذات في مقام التشبيه - وانما يلزم الكفر لمن يعبد الذات في مقام التشبيه لان التشبيه منشأ التكثر ومبدأ التعدد فليس فيه توحيد حقيقي والله تعالى امر العباد بان يعبدوه في مقام التنزيه - كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون - اي يعبدوني ولا يعبدون سواي فالمعبودية مرتبة تقتضي الوحدة والعابدية الكثرة كما هو ظاهر من فحوى هذه الآية - فرسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب هؤلاء المشركين بقوله يا ايها الكفرون بالخطاب الحقيقي لانهم كانوا يعبدون الاصنام وكان هذا الخطاب حقيقا بمقام النبوة - ثم خاطبهم على طريق الرفق واللين لقوله لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد - لانهم لم يكونوا يعبدون في زعمهم الا المعبود الحقيقي الذي تمثل بين يديهم بالمثل الكونية والعارف يعرفها من احدى مرتبتي الذات التي هي التشبيه فلا يجوز للعارف ان يذم هذه المرتبة كما ذمها غيره فيجب له الصمت في هذا المقام باعتبار مشاهدة الوحدة الحقيقية في مجالي الاكوان - ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي ديني - لان ديني باعتبار النبوة والرسالة هو التنزيه ودينكم باعتبار الظهور التفصيلي هو التشبيه فلا تثريب بهذه الاعتبار - والله اعلم بالصواب

تم تفسیر هذه السورة فالحمد لله رب العالمین والصلوٰة علی محمد خیر الانبیاء والمرسلین وعلی آله واصحابه اجمعین

سورة اذا جاء نصر الله والفتح وهی ثلاث او اربع او خمس او ست او سبع او ثمان آیات

قال اهل العلم ان هذه السورة نزلت علی النبی صلی الله علیه وسلم فی اوسط ایام التشریق بمنی وهو فی حجة الوداع وهو قول ابن عباس وابی هریرة وابن ابزی

بسم الله الرحمن الرحیم

اِذَا جَآءَ نَصْرُ اللّٰهِ - کلمة اذا فی موضع النصب بقوله فسبح بها هنا ذهب الیه صاحب الکشاف قال ابو حیان ولا یصح اعمال فسبح فی اذا لاجل الفاء لان الفاء فی جواب الشرط لا یتسلط الفعل الذی بعدها علی اسم الشرط فلا تعمل فیه بل العامل فی اذا الفعل الذی بعدها علی صحیح انتهی ومعنی اذا جاء نصر الله ای اذا جاءک یا محمد نصر الله کما قال ابن احمد - والنصر الاعانة والاسم النصرة - وَالْفَتْحُ - عطف علی نصر الله ای فتح البلاد والامصار قال ابو حیان ومتعلق النصر والفتح محذوف فالظاهر انه تعالی نصر رسوله صلی الله علیه وسلم والمؤمنین علی اعدائهم وفتح مکة وغیرها علیهم کالطائف وما دان الحجاز وکثیر من الیمن انتهی قیل والمراد بالفتح فتح مکة وکان فتحها لعشر مضین من رمضان سنة ثمان والملخص هذه القصة ان ابا سفیان لما اتی النبی

صلى الله عليه وسلم ورجع خائبا الى قومه وقع التزعزع والاضطراب
في قريش وكانوا لا يستطيعون على ان يقاوموا النبي صلى الله عليه وسلم
ويهشموا شوكته وقد عميت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يدرون ما يظهر عنه امنى سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى مكة في كتيبة خضراء وفيها المهاجرون والانصار حتى لا يرى منهم
الا الحدق وصعدوا على عقبات مكة ثم الحدروا وكانوا امعه صلى الله
عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار كما اخبر الله تعالى
في التوراة وجيء وخرج من جبال فاران مع عشرة الاف من الملائكة
المقربين - فخرج عياش سريعا حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلى
صوته يا معشر قريش هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - قد
جاءكم - قال النبي صلى الله عليه وسلم - لخالد والزبير حين دخلا مكة
لا تقاتل الا من قاتلكما - وامر سعد بن عبادة ان يدخل في بعض
الناس من كدي ولم يكن القتال من قبل الزبير واما خالد بن الوليد فقد
على قريش فقاتلهم باسفل مكة ثم هزمهم الله فقتل من المشركين
اثنا عشر او ثلاثة عشر رجلا ومن المسلمين رجل من جهينة يقال له
سلمة من خيل خالد بن الوليد فهزم القرشيون والمشركون ثم امنهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح مكة ولم يبق فيه رجل من اهل
الشرك - ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا - ورأيت اما يكون
بمعنى ابصرت او يكون معنى علمت فعلى الاول وابصرت الناس داخلين
في دين الله افواجا - فيكون قوله ويدخلون حالا - وعلى الثاني يكون
وعلمت الناس داخلين فالمفعول الثاني هو قوله يدخلون - والمراد

بالناس قيل اهل اليمن كما هو قول ابى هريرة وابن عباس رض وعكرمة ومقاتل
وقيل هم الاعراب وذهب اليه الجمهور - قال ابن كثير فان احياء العرب
كانت تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون ان ظهر على قومه فهو نبى فاتما فتح
الله عليه مكة دخلوا فى دين الله افواجا - فلم تمض سنتان حتى استوسقت
جزيرة العرب ايمانا ولم يبق فى سائر قبائل العرب الا مظهر للاسلام
والله الحمد والمنة - اقول وهذا قول ذهب اليه اكثر المفسرين وذلك
لان نصارى بنى تغلب لم يسلموا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانهم اعطوا الجزية قال الجمهور يدخلون مبنيا للفاعل قرأ ابن كثير فى رواية
مبنيا للمفعول والمراد بدين الله ملة الاسلام وافواجا جمع فوج قيل و
القياس ان يجيء على افعل الا ان الضمة لما استثقلت على الواو عدل من
أفوج الى افواج انتهى والقياس فى المعتل ان يكون جمعه على افعال - مثل
قول واقوال وطود واطواد وحوض واحواض وشذ فيه افعل كثوب واثوب
فسبح بحمد ربك - قال ابو حيان اى متلبسا بحمد ربك على هذه النعم التى
خولكها من نصرك على الاعداء وفتحك البلاد واسلام الناس والى نعمه
اعظم منها اذ كل حسنة يعملها المسلمون فهى فى ميزانه انتهى - والمراد
بالحمد الشكر لانه فى مقابلة النعمة الجزيلة التى ذكرت انفا - وانما قال
بحمد ربك ولم يقل بحمد الهك مراعاة لهذا المقام لان النصر والاعانة
من لوازم التربية وان كان لفظة الاله جامعا لحقائق الاسماء لكن
المعينين المذكورين يوجبان ان صريحا فى اسم الرب والمعنى نزهه ربك
المنعم ومتلبسا باظهار الشكر على النعم التى فضلنا بها عليك - واستغفره
اى اطلب المغفرة للمؤمنين الذين يدخلون فى دين الله افواجا لامتناعهم

والخير هو عن الايمان وامثاله قوله تعالى - واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال بعضهم ان الاستغفار من الانبياء عليهم السلام تعبّدٌ لان الله تعالى اكرمهم بالنبوّة والرسالة فطرهم على فطرة لا تحتج الى اعتصابا والجناية حتى صارت قواهم الشهوانية مقهورة تحت قهر نفوسهم الناطقة فاذا خوطبوا بالاستغفار ليسوا مخاطبين به حقيقةً بل المخاطب به امّتهم فيكون المعنى قل للمؤمنين ان يستغفروا الله ربهم من كل ذنب خطيئةً والمعنى الاول هو الاولى - انّه كان توّابًا - تعليل لامره تعالى بالاستغفار اى استغفر الله للمؤمنين الذي من شانه ان يتوب عليهم ويقبل توبتهم قال المفسّرون والامام الرازي اتفق الصحابة على ان هذه السورة دلّت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال ابن عمر انما نزلت بمنى في حجة الوداع - لئن نزل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فلم يعش رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد نزولها الا ستين يومًا - يسبّح الله ويستغفره - متى لحق بالرفيق الاعلى - قد تم تفسير هذه السورة

والحمد لله والصلوة على نبيه محمد واله واصحابه اجمعين

سورة تبّت وهي خمس آيات مكية

وهي اثنا عشر حرفًا

وهي ثلثون كلمة

وهي مائة وعشرون حرفًا

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت یدا ابی لهب - قال مقاتل وابن عباس خسرت وهذا قول ابن
دريد وامنه قول الراجز -

اخسر بها من صفقة لم تستقل تبت یدا صاحبها ما ذا فعل

اختلف فی شان نزولها قال ابن عباس رضی الله عنه کان رسول الله صلی
الله علیه وسلم یکثر امره فی اول البعثة ویصلی فی شعاب مکة ثلاث
سنین الی ان نزل قوله تعالی - وانذر عشیرتک الاقربین - فصعد الصفا
ونادی یا ال غالب فجمعت الیه غالب من المسجد فقال هذه غالب قد
اتتک فما عندک فنزادی یا ال لوی فجمع من لم یکن من ال لوی فقال ابولهب
هذه لوی قد اتتک فما عندک فنزادی یا ال مرة فجمع من لم یکن من ال
مرة فقال یا ال کلاب فنزادی یا ال قصی فقال ابو لهب هذه قصی
فما عندک - فقال ان الله امرنی ان انذر عشیرتی الاقربین وانتم الاقربون
اعلموا انی لا املک من الدنیا حظا ولا من الاخرة نصیبا الا ان تقولوا لا الٰه
الا الله فاشهد بها لکم عند ربکم فقال ابو لهب الهذا دعوتنا فقد قمت
وذهبوا الی بیوتهم وروی ان رسول الله لما دعاهم الی التوحید نهاه
ذهب الی بیت ابی لهب لیلا وقرع بابه ففتح حتی دخل فی بیته وجلس
بین یدیه کالمعتذر وجعل یدعوه الی الاسلام واوضح له امره ثم قال
وان منعک الحمیة فقل لی سرا واسکت فغضب ابو لهب وقال لا امنعک
ذلک حتی یؤمن بک هذا الجدی فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم لیجدی
من انا فقال رسول الله - فتحیر ثم اخذ بید الجدی وقرقه فقال تبا لک
اترقیک السحر فقال الجدی بل تبا لک کذا ذکر الامام الرازی فی تفسیره فنزلت
السورة علی وفق ذلک - تبت یدا ابی لهب - لانه مزق ید الجدی وابو لهب

عمّ النبی صلی اللہ علیہ وسلم - واسمہ عبد العزّی بن عبد المطلب وکنیۃ ابو عتبۃ - وانما سمّی اباللہب لاشراق وجھہ وکان ذا مال کثیر وکان من اشد الناس عداوۃ لرسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم والبغضۃ لہ والازدراء بہ والنقص لہ والدین بہ - قال محمد بن اسحٰق سمعت حسین بن عبد اللہ بن عبید اللہ بن عباس قال سمعت ربیعۃ بن عباد الدیلی یقول انی لمع ابی رجل شاب اظن الی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یتبع الناس ورائہ رجل امول وضیء الوجہ ذو غدیرتین یقف رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم علی القبائل فیقول یا بنی فلان انی رسول اللہ الیکم امرکم ان تعبدوا اللہ لا تشرکوا بہ شیئا - وان تصدقونی وتمنعونی حتی انفذ عن اللہ ما بعثنی بہ - فاذا فرغ من مقالتہ قال الاخر من خلفہ یا بنی فلان ھذا یریدکم ان تسلخوا اللات والعزّی وحلفاءکم من الجن من بنی مالک بن اقیش الی ما جاء بہ من البدعۃ والضلالۃ فلا تسمعوا لہ ولا تتبعوہ فقلت لابی من ھذا قال عمّہ ابو اللہب رواہ احمد - وَتَبَّ - وھلاکہ غیر الاولی لان الاولی جملۃ انشائیۃ تفرّعا ھو الدعاء والثانیۃ اخبار ومعناہ ان اباللہب ان کان حیّا فی حیّہ لکنہ ھالک وخاسر فاطلاق التباب علیہ باعتبار ما یؤول الیہ وانما قال تبّ بصیغۃ الماضی لکون تبابہ قطعیّا - مَا اَغْنٰی عَنْہُ مَالُہٗ وَمَا کَسَبَ - کلمۃ ما اما نافیۃ واما استفہامیۃ فعلی الاول یکون المعنی ان اموالہ ومکاسبہ لا تغنیہ عن التباب والخسران - وعلی الثانی یکون معناہ ھل یغنیہ مالہ واکسبہ من الھلاکۃ والتعبیر بصیغۃ الماضی لتاکید الحکم ووقوعہ بالفعل کالماضی - قال ابن عباس ان المراد بما کسب ولدہ کذا روی عن عائشۃ رضی اللہ عنہا - روی عن ابن مسعود رضی اللہ

عنه - انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم - لمّا دعا قومه الى الايمان قال
ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقّا فانّي افتدي نفسي يوم القيامة من
العذاب بمالي وولدي - فانزل الله تعالى - ما اغنى عنه ماله وما كسب - روى انّه
مات بعد غزوة بدر بالعدسة التي حدثت في جلده والعرب كانت
تتحرّب منها وزعموا انها معدية - قالت المعتزلة انّ الاية تدلّ على انّ
ابا لهب كان كافرا في علم الله تعالى فتكليفه بالايمان تكليف ما لا يطاق
وهو محال لا يليق بشان الحكيم وجوابه ان المكلف هو الذي يعطي البصيرة العقل
من الله تعالى - ويميّز بين الصّواب والخطاء والنفع والضرر وكان ابو لهب
كذلك فهو مكلف قطعا - ثم فعل النبيّ صلى الله عليه وسلم ليس الّا
اراءة الطريق كما اشار اليه الله تعالى - في قوله انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي الى طريق الحق هو فعل الله تعالى حقيقة - فاراءة سبيل الحق
والارشاد اليه ليس تكليفا بما لا يطاق عليه - ثم التكليف بما لا يطاق جائز
عند بعض والمراد به ان يمتنع الفعل لعلم الله بعدم وقوعه او عند تعلق
ارادته بذلك الفعل او اخباره بعدم وقوعه فانّ مثله لا تتعلق به القدرة
الحادثة لان القدرة الحادثة لا توجد الّا مع الفعل ولا تتعلق بالضدّين
والتكليف بهذا جائز بالنظر الى امكانه في نفسه والّا لم يكن العاصي بفسقه
وكفره مكلّفا بالايمان تمام البحث عند قوله في تفسير قوله تعالى - لا يكلّف الله
نفسا الّا وسعها - سيصلى نارا ذات لهب - قراءة الجمهور بفتح اللام وسكون
الصاد وتخفيف اللام اي سيصلى هو بنفسه النار اي سيحترق من صلي
يصلى اذا احترق والصّلا والصّلاء اسم للوقود وصلي بمعنى ادخل في النار
كما قال الشاعر

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر ... بجبة من صلى فؤادك بالجمر

اراد انه غلب فيها حرف فؤاد ما يحزن عليهم ومنه قوله تعالى فسوف يصليه نارا اى يدخله - في الاية اخبار بالغيب بمعنى ان بالهلاك خاصة ذكر انه يصلى نارا ذات لهب - وامرأته حمالة الحطب - اسمها ام جميل بنت حرب عمة معاوية وكانت في غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وذلك انها تحمل الى الفاسق الحارث بن امية اخي سفيان بن حرب اذا اتاها تحمل حزمة وتاتي حمالة الحطب - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اضر الله - حكى ان طالب بن ابي طالب دخل على معاوية فقال له معاوية يا ابا طالب ما فعل عمك ابو لهب في النار - قال نعم وانت في النار - وقيل معنى حمالة الحطب انها تمشي بالنميمة بين الناس - ومنه قول الشاعر -

من البعض لم تضطغ على ظهر كورها ... ولم ترتبط بالحطب الرطب

النميمة من قولهم حطب فلان بفلان يحطب به - قال ابن عباس معناه انها تحمل الذنوب - وهي قول ابن جبير - قال الزجاج وهذا ذلك لفعالها - قرأ الحسن حمالة الحطب بالرفع على ان امرأته خبر مبتدا محذوف وقرأ عاصم حمالة الحطب وصفة لامرأته - وقرأ الباقون بالنصب على الذم اعني على ان يكون ذلك كلاما معروفة يجوز فيه الرفع لانه يدل او عطف بيان لقوله امرأته كذا قال ابو حيان - في جيدها اى في عنقها يعني ام القبيحة حبل من مسد - المسد بالتحريك الليف وقيل حبل من ليف او وبر او صوف او جلود الابل او من اى شيء - قال الزجاج جائز في التفسير انها سلسلة طولها سبعون ذراعا كسلك سائر النار - وقال ابن السكيت

يقال مسد الحبل مسدا اذا اجاد فتله قيل ولقد عيّر بعض الناس عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال

مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي ... عَمَّا تُعَيِّرُ مِنْ حَمَّالَةِ الْحَطَبِ

عَرْسَاءُ تُنَادِحَةٌ فِي الْحَيِّ سَامِيَةٌ ... كَانَتْ سَنِيَّةُ شَيْخٍ ثَاقِبِ الْحَسَبِ

انشادخة متسعة الجبين - ذكر المفسّر ونلما سمعت امّ جميل هذه السّورة اتت ابا بكر وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وبيدها فهر فقالت بلغني انّ صاحبك هجاني ولأن لم تعلن واعدى الله تعالى ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فروي انّ ابا بكر رضي الله عنه قال هل ترين معي احدا قالت انهزاءلي لا أرى غيرك وان كان شاعرا فانا مثله اقول

مُذَمَّمًا أَبَيْنَا ... وَدِينَهُ قَلَيْنَا ... وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا

فسكت ابو بكر رضي الله عنه ومضت هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لقد حجبتني عنها ملائكة فما رأتني وكفى الله شرّها - وفي رواية اسماء عن ابي بكر رضي الله عنه اقبلت العوراء امّ جميل وهي ولولة وفي يدها فهر وهي تقول ÷ مُذَمَّمًا أَبَيْنَا ÷ الخ ورسول الله صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقبلت وانا اخاف عليك أن تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - انها لن ترانى وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال الله تعالى - واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الّذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا - فاقبلت حتى وقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر انّي اخبرت انّ

صاحبك هجانی قال ورب الکعبة ما هجاك فولت وهی تقول قد علمت قریش انی ابنته سیدها - کذا روی ابن ابی حاتم انتهی ماذکر ابن کثیر والعهر الحجر الذی یملأ الکف - اقول ان هذا الحدیث صحیح باعتبار الروایة لا یکن فیه شیئا - الاول مخافة ابی بکر الصدیق رضی منها وقوله انی اخاف عایك والثانی مخافة رسول الله صلی الله علیه وسلم - من فهموها وقال لن ترانی وقرأ قرانا اعتصم به وفی روایة البزار انه قال ابو بکر رضی الله عنه لرسول الله صلی الله علیه وسلم - لو تنحیت لا تؤذیك بشیء فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم - سیحال بینی وبینها - وکل ذلك یدل علی مخافة رسول الله صلی الله علیه وسلم منها ومثل هذه المخافة لا تلیق بشان النبی صلی الله علیه وسلم - والله اعلم وعلمه اتم - تم تفسیر هذه السورة فالحمد لله الذی جعل نبیه بشیرا ونذیرا - والصلوة علیه بکرة واصیلا - وعلی اله واصحابه ما دام الشمس لامعة والقمر منیرا

سورة الاخلاص وهی اربع ایاتها مکیة

وفضائلها کثیرة روی ان قراءتها تعدل ثلث القرآن رواه الامام احمد فی مسنده

بسم الله الرحمن الرحیم

قل هو الله احد - وفی سبب نزولها اخرج الامام احمد فی مسنده عن ابی ابن کعب رضی الله عنه ان المشرکین قالوا للنبی صلی الله علیه وسلم یا محمد

النسب لنا ربك فانزل الله تعالى - قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وكذا روى الترمذي وابن جرير وغيرهما وذكر ابن حيان روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فنزلت اقول وهذا غريب لان اكثر الاحاديث تدل على ان هذا السؤال كان من المشركين ومن قريش وبعضها يدل على ان اعرابيا جاء النبي صلى الله عليه وسلم وسأل ذلك - ولان اهل الكتاب كانوا يعلمون ان الله جل شأنه متعال عن النسب - الا ان بعضا من اهل الكتاب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم تعنتا او امتحانا بانه يا محمد من خلق الخلق قال الله فقالوا من خلق الله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم - فنزل جبريل عليه السلام فسكنه وقال وانخفض جناحك يا محمد فنزل قل هو الله احد فلما تلاه قالوا صف لنا ربك كيف عضله وذراعه فغضب اشد من غضبه الاول فاتاه جبريل عليه السلام بقوله وما قدروا الله حق قدره - وانما سألوا ذلك لان مذهبهم التشبيه وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قام رؤوف نجران فقال لو صف لنا ربك أمن زبرجد او ياقوت او ذهب او فضة فقال ان ربي ليس من شيء لانه خالق الاشياء فنزلت قل هو الله احد - قالوا هو واحد وانت واحد فقال ليس كمثله شيء - قالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا زدنا فقال لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا احد ولهذه السورة اسماء كثيرة منها - سورة التوحيد وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة النسبة وسورة المعرفة وسورة الوفاء وغيرها - وهو ضمير غائب لا يعتبر فيه شيء من الظهور والمرادية الذات المعتبرة في مقام الاحدية التي يسمى

بغيب الهوية والمراتب الأولى هي الأحدية وهي التي تجامع الشئون السلبية لأن المراد بها كون هذه الحقيقة منزهة عن الحاء الصفات التي يمكن وجودها في الخارج - والثانية هي الواحدية المطلقة وهي الذات التي نعتت ببعض الصفات الثبوتية كالعلم والنور مثلا وتسمى بالتعين الأول والثالثة هي الواحدية وهي الذات التي اعتبرت بها الصفات الثبوتية كلها وهي مرتبة الجمع وتسمى بالالوهية فالله علم لذات احدية جامعة لجميع الصفات فالضمير الغائب الذي هو الاحدية هو الله تعالى وهو مبتدأ أي خبره هو الله تعالى - وقال بعض الاعراب انه ضمير الشان فيكون الله مبتدأ وخبره احد - قال الزجاج وفي الكلام تقديم وهو ان الذي سألوا النبي عنه هو الله تعالى - اعلم الفرق بين الاحد والواحد هو ان الاحد شئ بني لنفي ما يذكر معه من العدد والواحد اسم مشتق للعدد الا ان احدا يصلح في الكلام في موضع الجحود وواحد في موضع الاثبات يقال ما اتاني منهم احد فمعناه لا واحدا اتاني ولا اثنان واذا قلت جاء في منهم واحد فمعناه انه لم يأتني منهم اثنان - وهذا معناه اذا لم يضف الى شئ فاذا اضيف الى شئ قرب من معنى الواحد - وحاصل معناه ان الاحد هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه اخر - قرأ عبد الله وابي بن كعب رضي الله عنهما هو الله احد لم يزل وحده - ذكر ذلك الكشاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو - وقال من قرأ الله احد كان يعدل القرآن وقرأ الاعمش هو الله الواحد وذكر المبرد في الكامل قل هو الله احد الله الصمد يغير تنوين احد أسقط للالتقاء الساكنين وهو لغة معروفة لاذكر الله الا قليلا والجد هو الغنى وكذا الجد هو الغناء

الساكنين - اقول وما جميع ما ذكر من القرآت بلست من السبعة والعشرة
بل هي شاذة لا يجوز قراءتها في الصلاة - الله الصمد - من صمد اليه قصده
والصمد بالتحريك السيد المطاع الذي لا يقضى دونه امر - وقيل الذي
يصمد اليه في الحوائج اي يقصد قال الشاعر -

الا بكر الناعي بخير بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وايروى بخير بني اسد والنشد الجوهري

علوته بحسام ثم قمت له خذها حذيف فانت السيد الصمد

كذا ذكر صاحب اللسان - قال ابو عمر الصمد هو الذي لا يأكل ولا يشرب
وهو قول الشعبي - والامام الرازي طول الكلام في معناه - وقال البغوي
الصمد هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد انتهى وهذا معنى مطابق
لما قاله اهل اللغة لان السيد المطاع الذي لا يقضى دونه مختار في امره
ما يشاء - ومن لم يكن كذلك لكان اما موجبا واما ممكنا والثاني باطل
لان من كان ممكنا فهو محتاج في نفسه فلا يكون قادرا على قصد موجب غيره
والاول ايضا باطل لانه يلزم منه ان يكون مضطرا في صدور افعاله كالنار
للاحراق مثلا فيكون فعله طبيعيا والفعل الطبيعي ليس محمودا ولا مذموما
اما تكرير لفظ الله في قوله الله الصمد فاما للتعظيم واما للالتذاذ بالحاضر
في ذهن المحبين الطالبين لوجاهة الله كما في قول قيس العامري

ناليلة يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن ام ليلى من البشر

اي لان الصمدية لا تكون نعتا الا للالوهية ولذلك ذكر الصمد بحرف
التعريف الذي يختص ان يعرف بالصفة الالوهية والمريد كلمة احد
بلام التعريف لان العرب كانوا جاهلين ولا يعرفون الحقيقة الاحدية

بل انهم يعتقدون ان الحقيقة الالوهية متعددة في نفسها فلبيان سبب اتيان هذه اللفظة بالتعريف فلذلك نكرها وبالجملة انّ الاحدية المحضة والصمدية الساذجة توجبان ان الحقيقة المعبرة بالالوهية منزهة عن كل صفة ممكنة موجودة في حقائق المجردات والجسمانيات فاستحال ان تكون والدا ومولودا ولذلك قال تعالى لم يلد ولم يولد

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ - اى لم يلد كما والدت مريم عليها السلام ولم يولد مثل عيسى عليه السلام - وسدّ ادّعاء ما قالت الكفرة كما قال مشركوا العرب الملائكة بنات الله وقالت اليهود انّ عزيرا ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله - إذ انه لم يكن من هذه الكفرة احد من يدّعى انّ له واحدا - فردهم الله تعالى لانّ هاتين الصفتين من خواصّ الاجسام اى كونه تعالى جسما وجسمانيا باطل فهاتان الصفتان بالنسبة اليه تعالى باطلتان

وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا اَحَدٌ - الكُفْءُ والكِفْءُ على فعل وفعول والمصدر الكفاءة والكفاء بالمدّ والقصر كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

ومعناه لا نظير له - قال الزجاج وفي الكفء اربعة اوجه منها ثلاثة كُفُوًا بضم الكاف والفاء وكُفَاً بضمّ واسكان الفاء وكِفَاً بكسر الكاف وسكون الفاء وقد قرئ بها وكِفَاءً بكسر الكاف والمدّ ولم يقرأ بها - ومعناه لم يكن احد مثلا لله تعالى - وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو البصري والكسائي وعاصم مثقلا مهموزا - وقرأ حمزة كُفَاءً بسكون الفاء مهموزا واذا وقف قرأ كُفَا - بغير همز واختلف عن نافع كُفُوًا مثل ابى عمرو وروى كُفَاً مثل حمزة اعلم ان قوله تعالى احدٌ جامعٌ

للصفات السلبية كلها فهو يشمل نفي التثليث والكفو وغيرهما وانما نص
بنفي هاتين الصفتين لتردد وهما مهمة الباطلة - والكفو اذا ورد به
المساوي في الذات والصفات فهو باطل قطعا لانه تعالى واجب الذات
وصفاته واجبة بها واذا كان شئ مساويا له لزم تعدد الواجب وهو
باطل والدليه اشار الله تعالى بليس كمثله شئ اما الكفو لغة فهو يستعمل في
الذكر بين الناس والحيوان ولو كان له تعالى كفوا لكان جسما وجسمانيا
وهو باطل - وفي اعراب هذه الاية وجهان الاول ان قوله له خبر
وكفوا منتصب على الحال - والثاني ان له متعلق بقوله كفوا او الخبر
كفوا او قدم الظرف اي الجار والمجرور ليزيد الاهتمام لان الضمير في اله
يرجع الى الله تعالى قال صاحب الكشاف لان هذا الكلام انما سيق لنفي
المكافاة عن ذات الباري سبحانه وتعالى - هذا المعنى مصبه ومركزه
هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شئ واعناه واحقه بالتقديم واحراه
انتهى وهذا القول يدل على ان تقديم قوله له لاهتمام نفي المكافاة الكفو
خبرا - لان الظرف اذا كان غير مستقر وجب تاخيره قال مكي ان سيبويه
لم يمنع العاء الظرف اذا تقدم - وانما اجاز ان يكون خبرا وان لا يكون
خبرا ويجوز ان يكون حالا من النكرة وهي لهذا تقدم رفعها عليها فيكون له
الخبر على مذهب سيبويه - انتهى وقال صاحب الكشاف ان الظرف اذا
كان غير مستقر لا يجوز الا تاخيره وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فلا
يجوز تقديمه على الخبرية فما ذهب اليه مكي غير صحيح هذا هو ملخصا ذهب
اليه الزمخشري وح لم يبق لتقديم هذا الظرف وجه الا ما ذكر الزمخشري
وهو اهتمام نفي المكافاة والمفسرون اختاروا قوله ولم يحققوا ما قال

سیبویه حتی ان احمد المبرد شنع علی سیبویه وقال ان الله سمع الجفاة من العرب وجرأهم الجواب علی عادته فحذفوا الخبر عن لفظ المعنی الذی له جعله نقدیر الظرف مع الخبر علی الاسم وهذا المشنع ایضا المبرد یقول سیبویه والمبرد راجع الی کتابه الا ان ابا حیان نقل هذه المسئلة وقال فی قوله تعالی ولم یکن له کفوا احد سیبویه وقال قال سیبویه تقول ما کان فیها احد خیرا منک وما کان احد مثلک فیها ولیس احد فیها خیرا منک اذا جعلت فیها مستقرا والمرتجعل علی قولک فیها زید قائم اجریت الصفة علی الاسم فان جعلته علی فیها زید قائم نصبت فتقول ما کان فیها احد خیرا منک وما کان احد خیرا منک فیها الا انک اذا اردت الالغاء فکلما اخرت الملغی کان احسن واذا اردت ان یکون مستقرا فکلما قدمته کان احسن والتقدیم والتاخیر والالغاء والاستقرار عربی جید کثیر قال الله تعالی ولم یکن له کفوا احد - وقال - ما دام فیهن قصرات الطرف - انتهی قال ابو حیان وما نقلناه ملخصا وهو بالفاظ سیبویه - انتهی قول ابی حیان - وبهذا القول یظهر ان الظرف اذا کان غیر مستقر یختار فی تقدیمه وتاخیره ما ذکر ذلک احسن - فما ذهب الیه صاحب الکشاف ان الظرف اذا کان غیر مستقر لا یجوز تقدیمه مخالف لما ذهب الیه سیبویه - اما تشنیع بحشی الکشاف علی سیبویه فهو مردود علیه والظاهر ما ذهب الیه لا یحتاج الی سوال ولا جواب ذکرهما صاحب الکشاف ولا الی تاویل مکی - فینبغی ان یقال ان کفوا خبر لم یکن وله متعلق بکفوا - وان جعل له خبر ویقال لم یکن له احد لا یصح الکلام - وان جعل کفوا صفة لاحد وله خبر ویقال لم یکن له احد کفوا لا یصح الکلام نتم تفسیر هذه السورة

بعون الله الملک العلیم والصلوٰة علی نبیه والتسلیم وعلی آله واصحابه
الذین ارشدوا الناس الی الدین القویم

سورة الفلق مکیة وهی خمس آیات

بسم الله الرحمن الرحیم

قل اعوذ برب الفلق - قال الفراء الفلق الصبح یقال هو لابین من فلق الصبح وفرق الصبح وقال ذو الرمة یصف الثور الوحشی -

حتی اذا انجلی عن وجهه فلق هادیه فی خرجات اللیل منتصب

وقال الزجاج الفلق بیان الصبح - وقال بعض العرب الفلق بسکون اللام الخلق وقد یقال بتحریکها الخلق کله ومنه قوله تعالی ان الله فالق الحب والنوی - ای خالقهما - وقال الزجاج وفالق الاصباح یجوز ان یکون معناه خالق الاصباح والاصل فی الفلق هو الشق ویلزمه الظهور والبیان والخروج لانه اذا شق الشیء یظهر منه شیء ویخرج - فیکون المعنی علی الاول قل اعوذ برب الصبح وعلی الثانی برب الفلق - واختلف فی شان نزولها - فقالت عائشة رضی الله عنها قالت کان رسول الله صلی الله علیه وسلم - سحر حتی کان یری انه یاتی النساء ولا یاتیهن قال سفیان وهذا اشد ما یکون من السحر اذا کان کذا - فقال یا عائشة اعلمت ان الله قد افتانی فیما استفتیته فیه اتانی رجلان فقعد احدهما عند راسی والآخر عند رجلی فقال الذی عند راسی للآخر ما بال الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبید ابن اعصم رجل من بنی زریق

حلیف لیہود کان منافقا - قال وغیرہ قال فی مشط ومشاطة - قال وابن قال فی جف طلعة ذکر تحت راعوفة فی بئر ذروان قالت فاتی البئر حتی استخرجه فقال هذه البئر التی اریتها وکان ماءها نقاعة الحناء وکان نخلها رؤوس الشیاطین رواه البخاری قالت عائشة رضی الله عنها فقلت هل اخرجته قال اما انا فقد شفانی الله وکرهت ان اثیر علی الناس منه شرا وروی عن زید بن ارقم مثله - اقول دل هذه الروایة علی وقوع اثر الطب علی الانبیاء علیهم السلام ولا باس به عند العقل لا کون المعتزلة انکروا هذا القول لقوله تعالی - والله یعصمك من الناس وقال ولا یفلح الساحر حیث اتی - وتجویز اثر الطب علیهم یفضی الی القدح فی نبوتهم - لان الانسان اذا کان قادرا علی اضرار النبی لتجوز النبی فی مقابلته ومقاومته فکیف یحصل غرض البعثة - وهذا القول باطل - فاجابوه ان هذه الروایة قد صحت عند اصحابنا فلا یجوز القدح فیها ویجوز تضرر النبی بامته علی طریق النقل والعقل اما علی طریق النقل فکما ذکر فی القرآن فی قصص نوح وابراهیم ولوط وعیسی وذکریا ویحیی علیهم الصلوة والسلام فان کلا واحد منهم قد اذاه امته بل قتلت بعضهم مثل یحیی وزکریا علیهما الصلوة والسلام - علی ان الله تعالی - ذکر فی القرآن فلم تقتلون انبیاء الله - فای شئ اشد ضررا من القتل واما علی طریق العقل فیجوز ان یعصم الله نبیه فی تبلیغ شرائعه واحکامهم من الجن والانس اما الاضرار ببدنه فهو لیس ببعید کما قدمنا - واختلف فی ان الرقی بالقرآن بل بشئ تجوز امر فذهب ابن عباس وعلی وعثمان ابن العاص الثقفی وعائشة رضی الله عنهم ان الرقی بالقرآن جایز وذهب ابن مسعود وجابر رضی الله عنهما الی عدم جوازه واستدل بقوله علیه الصلوة والسلام - ان لله عبادا لا یملقون و

لا يستر قون وعلى ذنبه يتقلبون - وايضا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الرقى - واجيب ان هذه الروايات لا تدل على نهي الرقى بالقرآن بل تدل على نهي الرقى التي يستر قون بها الاعراب ولا مرية في كونها منهيّة عنها - امّا التوكل على الله فهو مرتبة فوق مرتبة التجوين فمن توكل على الله في جميع الامور فلا يسترقي بالقرآن ايضا فهو على وافضل ممن يسترقي

امّا اضافة الرب الى الفلق فمعناها انه رب الخلق كما قدمنا - من شرّ ما خلق قال عطاء عن ابن عباس المراد بالشر والشرّ قد يكون اختياريا ومنشأه الشعور فيصدق هذا القسم على ابليس وجنوده وسائر الحيوانات المؤذية وقد يكون لا اختياريا فهو امّا ان يكون طبعيا كاحراق النار واهلاك السموم وقد يكون اضطراريا كقتل الانسان نفسه في وقت الحمية والأنفة وكل ذلك شرّ خبيث والشر الاختياري على قسمين الاول هو الذي منشأه شعور جزئي وهو شر ذوات الحيوانات كافتراس السباع ولدغ ذوات السموم والثاني هو الذي منشاءه شعور كلي كشر ذوات الانسان والجن فالشر الطبعي والشر الذي منشأه شعور جزئي خارجان من دائرة المجاز اذ اما الشر الذي منشاءه شعور كلي وان كان اضطراريا واقع تحت الجزاء - قراءة الجمهور من شر ما خلق باضافة شر الى ما وما عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشر من مكلف وغير مكلف مثل افتراس السباع والاحراق بالنار والاغراق بالبحر - وقرأ عمر بن فائد من شرّ بالتنوين - وقال ابن عطية - وقرأ عمر بن عبيد من شرّ بالتنوين وما خلق بالنفي - وهذه قراءة باطلة - لأن اصلها غير مرفوعة الى ائمة هذا الفن - قالت المعتزلة انّ الشر ليس بداخل تحت الخلق - وهو باطل نقلاً وعقلاً امّا الاول فلان الله تعالى قال في القرآن الحكيم الله خالق كلّ شيء واجمع

فالشر داخل تحت الشئ فوجب أن يكون داخلاً تحت الخالق - أما أنا فلا أن الشر لو لم يكن داخلاً تحت الخلق لوجب أن يكون ما وجباً وأما ممتنعاً وهما باطلان لأنه لو كان واجباً لزم تعدد الواجب وهو باطل ولو كان ممتنعاً لكان معدوماً فيمتنع أن لا يظهر منه فعل ولا أثر والظاهر خلافه لأن له آثاراً كثيرة في الخلق فلا يكون ممتنعاً فوجب أن يكون ممكناً وكل ممكن فهو محتاج في وجوده الى الجاعل فالشر وجب أن يكون محتاجاً في وجوده الى الجاعل - ومن شر غاسق إذا وقب - قيل الغاسق الليل وقال الحسن الغاسق أول الليل - قال الأخفش الغسق ظلمة الليل وقال الفراء أول ظلمة وقيل هو الذي سمي به لأنه يكسف فيغسق أي يذهب نوره ويسود ويظلم يقال غسق يغسق غسوقاً اذا اظلم وهو قول ابن قتيبة - قال ثعلب وجاء في الحديث ان عائشة رضي الله عنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ثم اطلع القمر ونظر اليه فقال هذا الغاسق إذا وقب فتعوذي بالله من شره أي من شر هذا اذا كسف وروي عن ابي هريرة أنه الثريا وقال الزجاج الغسق البرد والغاسق هو الليل لأنه ابرد من النهار والغاسق البارد واستعيذ من شره لأنه فيه تنبث الشياطين والهوام والحشرات واهل الفتك ومنه قول الشاعر

يا طيف هند لقد أبقيت لي أرقا ... إذ جئتنا طارقاً والليل قد غسقا

وقال ابن شهاب هو الشمس إذا غربت وذهب اكثر اهل اللغة الى ان الغاسق هو الليل وهو الصحيح ووقب معناه أظلم - واقبل ظلامه - ومنه قول الشاعر

وقب الظلام عليهم وكأنهم ... بحتوهم فأنا الشموس مرافقها

وَمِنْ شَرِّ النَّفّٰثٰتِ فِي الْعُقَدِ - النفث شبه النفخ دون تفل بريق - وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم - قال ان روح القدس نفث في روعي - النفاثات والنوافث السواحر جئن ينفثن في العقد بالرقى قرأ الجمهور النفاثات والحسن بضم النون وكذا قرأ ابن عمر والحسن وفي رواية يعقوب الناثات وابو الربيع النفثات بغير الف وكانت السحرة تعقد خيوطا وتنفث عليها يعقدن في الخيوط والمباشرة بالنفل الى شدة ولعهن في الترتيب تسحرهن على من يردن كونه مسحورا - قيل انهن بنات لبيد بن اعصم اليهودي - وقيل ان اليهود كانوا ساحرين - قال السحرة ان السحر من الدناءة اشد تأثيرا من السحر للرجال لانهن اشد اعتقادا في امثال هذه الامور من الرجال وذلك لجهلهن من العلوم الحقيقية وخلوهن من اليقينيات فيكون السحر واقعا تأثيرا منهن - وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ - والمراد بالحاسد الحاسد المطلق سواء كان من الجن او من الانس والاشبه ان يراد به الشيطان لانه اشد حسدا على الاشتر من غيره لانه يسعى دائما في ازالة عباد ان الانسان وحسناته ويقوى على اكتساب السيئات واقتراف المعاصي - قال عمر وبن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد - روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخبره جبرئيل عليه السلام بان علياً والزبير وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فدفنوا اصنام البر وانه تقاعد الحبر ان يرفعوا الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأس وانسان من مشطه واذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالابر فانزل الله تعالى السورتين اي المعوذتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة

الاخيرة فقام كانما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك من حاسد وعين الله يشفيك تتم تفسير هذه السورة فالحمد لله رب العالمين والصلوة على خير خلقه محمد واله واصحابه اجمعين

سورة الناس مكية وهي ست آيات وقيل مدنية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس - قرأ الجمهور بترك الامالة وقرأ ابو عمرو البصري بها روى المنذري عن ابي الهيثم انه سأل عن الناس ما اصله فقال الاناس فالالف فيه اصلية ثم زيدت عليه اللام للتعريف واصل تلك اللام ابدا الا من احرف قليلة مثل الاسم والابن وما اشبههما من الالفات الوصلية فلما زادوها على اناس صار الاسم الاناس لكثرته في الكلام فكانت الهمزة واسطة فاستثقلوها فتركوها وصار الباقي الناس بتحريك اللام بالضمة فلما تحركت اللام والنون ادغموا اللام في النون فقالوا الناس فلما طرحوا الالف واللام ابتداوا الاسم فقالوا ناس قال الازهري وهذا الذي قاله ابو الهيثم تعليل النحويين - والناس والانسان واحد والمراد به الكون الجامع الذي يحيط به جميع مراتب الوجود ومراتب الانوار والذات فليس في مخلوقاته اعلى واشرف منه ولذلك قال برب الناس والملك وان كان اصغر خلقة واسنى فطرة منه الا انه ليس في

مرتبة الجمع كما هو محقق عند اهل البصيرة - ومعنى برب الناس ايها
بافاضة مصالحهم الكونية وايصال منافعهم الاهية فتعليم لنعوذ
بهذه الاية جزيلة من الله لرجوع العبد من البعد الى القرب لان من اعاذه
الله تعالى فقد قرب ومن قرب منه فقد وصل ملك الناس - اى ملكهم
ومدبر امورهم سواء كانت دينية او دنيوية ولا يلزم من اضافته
الى الناس بانه ليس ملك غيرهم - لان هذه الاضافة لاثبات كرامة
الانسان وفضيلته على سائر مخلوقاته واذا كان الله عز اسمه ملك من
هو اكمل من الخلائق وافضلهم يجب ان يكون ملك من هو ليس منعوتا
بهذه الخطة العظيمة وهو عطف بيان لرب الناس بمعنى ان تربيته
اياهم ليست تربية اضافية بل هي تربية حقيقة لان تربية المالك
عبده محيطة بكل ما لابد منه من اصلاح معيشته ومعاده - هذا
اذا كان الملك بمعنى المالك اما اذا كان بمعنى المتصرف الكامل في
ملكه فهو ظاهر لان الله تعالى اذا كان جاعلهم ومحييهم ومميتهم ومربهم
وزائد قهم فهو متصرف فيهم قطعا - اله الناس - عطف بيان لقوله
برب الناس اى معبودهم كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فالاضافة ليست للاختصاص بل للشرف والكرامة كما بتحمتك اوكاه وهذا
يدل على ان من كان رب الناس ملكهم بالقدرة التامة والارادة الكاملة
هو اله الناس حقيقة فالرب والملك حقيقة هو الله تعالى وهذا البيان
تردية لاوهام الكفرة الذين اتخذوا اربابا من دون الله فهم جاهلون
لانهم لا يعرفون بان الربوبية والملكية لا تصح الا لمن كان منعوتا
بالالوهية - من شر الوسواس - اى الاصل في الوسوسة الصوت المخفي

من الريح - وقد يراد بالوسواس الوسوسة حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسواسا والوِسواس بكسر الواو والمصدر هو قول الفرّاء وبالفتح اسم له وقيل بالفتح هو الشيطان وقال الزجّاج هو الشيطان ومعناه ذو الوسواس وانّما ذكر باسم المصدر لقصد المبالغة نحو زيدٌ عدلٌ وهذا لكثرة وساوسه وتوفّر خداعه بالنسبة الى الانسان ومزيد اغوائه لبسعة رحمة الله او بتسويل انّ له امتدادا في عمره فيكون مجالا للتوبة وكل ذلك اغواءٌ ومخادعةٌ نعوذ بالله من شرورهِ ووساوسهِ فكان هاتين السورتين الكريمتين علّتان دافعتان لوساوسه الباطلة فنزولهما لهذا المطلب الشريف نعمةٌ جزيلةٌ ومنحةٌ جليلةٌ من الله تعالى - الخنّاس - وهو صفة الوسواس - روى ابو عبيد عن الفرّاء والاموي خَنَسَ يخنِسُ خنوسا اذا تاخّر وانقبض ومنه قول البعيث

وَصَهباءُ مِن طُولِ الكَلالِ زَجَرتُها وقَد بُعِلَت عَنها الاخِرَةُ تَخنِسُ

والصّهباء الناقة - اى تتاخر - قال الازهري وانشدني ابو بكر لايادي لشاعرٍ قديمٍ على النبي صلى الله عليه وسلم فانشدَه من ابياتٍ -

وَاِن دَحَسُوا بِالشَّرِّ فَاعرِف نَكِرَهُم وَاِن خَنَسُوا عَنكَ الحَدِيثَ فَلا تَسَل

وجاء في الحديث الشيطان يوسوس في قلب العبد فاذا ذكر الله خنس اى انقبض منه وتاخّر قال الازهري وكذا قال الفرّاء - وقيل انّ له راسا كراس الحيّة يجثم على القلب فاذا ذكر الله تنحّى وخنس واذا ترك ذكر الله رجع الى القلب يوسوس نعوذ بالله منه فالخنّاس هو المتاخر بالمبالغة اي يكرّ في التاخر لتغرير مع الى الوسوسة مرّةً بعد اولى ومرّةً بعد اخرى ويحوم على قلب الانسان من خلفه وقدّامه وبميمنه و

ليسارع ليوسوسه ويرجعه الى الخيالات الفاسدة والخطرات المهيجة للسيّات بل يجري في بدن الانسان مجاري الدّم لكونه من الاجسام الهوائية المارجية فلا مزحل منه الا بذكر الله تعالى - لانّه للوسوسة كالنّار للحطب اليابس يجب على الذاكرين ان يبدأوا بهاتين السورتين وبالتعوذ قبل الذكر ليحصل له الامان من تسويلاته الكاذبة وخدائعه المهلكة

الّذي يوسوس في صدور النّاس - صدر الشيء اعلاه وجمعه صدور ولا يكسّر على غير ذلك وهو مذكر وانّما انّثه بعض الشعراء باعتبار كونه مضافا الى المؤنث ومنه قول الاعشى -

وتشرق بالقول الّذي قد اذعته * كما شرقت صدر القناة من الدّم

والصدور غير القلوب كما قال الله تعالى ولاكن تعمى القلوب الّتي في الصدور ولاكن المراد بالصدور في هذا المقام هي القلب على طريق المجاز المرسل والضمير في يوسوس يرجع الى الشيطان وانّما يقدر على الاغواء والوسوسة لكونهم غافلين عن ذكر الله واشتغالهم في امورهم عنها قال بعض العقلاء المراد بالوسواس هو القوة الوهمية المخترعة للصور البديعة والاشكال العجيبة وهو ناويل باردموافق لمذهب الطبعيين والاشعرية عند العلماء انّ الالفاظ تدلّ على معانيها الحقيقية عند التجرد وعرائها عن القرينة الصارفة عنها واذا وجدت قرينة صارفة عن المعنى الحقيقة او في ارادتها محال عقلي يخالفه الشرع يجوز ارادة المعنى المجازي الذي يطابقه نص آخر او حديث صحيح اسند الى رسول صلى الله عليه وسلم امّا التاويل العقلي الغير المطابق بنص كذا او حديث كذا فهو مردود عند اهل الحق لانه خروج عن مذهب اهل السنّة فارادة القوة الوهمية

يا لوسواس باطل - والذي في محل الجر والنصب بتقدير أذم أو الرفع
اي هو الذي - من الجنة والناس - بيان للوسواس أو للذي ومتعلق
بقوله يوسوس اي من جهة الجنة والناس - وقال ابو حيان ومن للتبعيض
اي كائنا من الجنة والناس في موضع الحال اي ذلك الموسوس هو
بعض الجنة وبعض الناس - انتهى والمراد بالجنة ذرية ابليس فانهم
الموكلون بآدم وأولاده عليه السلام فانه ما من احد من بني آدم الا وله
قرين يزين له الفواحش ولا يألو جهدا في الخيال وهؤلاء الشياطين كالنبي
للانبياء عليه السلام الا انهم يطيعونهم كما قال الله وكذلك جعلنا
لكل نبي من شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا
واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم - حيث وانت يا رسول الله قال
نعم الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير - والمراد بشياطين
الانس هم الذين يحرضون الناس الى معصية ويزينونها في اعينهم
وهم قسيم لشياطين الجن - قال الامام الرازي ان المستعاذ منه في سورة
الفلق ثلثة انواع الغاسق والنفاثات والحاسد والمستعاذ به واحد
وهو الرب فكان الصفة الربوبية تكفي بنفسها للاستعاذة من هذه
الاشياء وفي هذه السورة المستعاذ منه واحد وهو الموسوس والمستعاذ
به هو الله تعالى الا انه ذكره بثلث صفات الربوبية والملكية والالوهية
فذكر المستعاذ به بهذه الصفات الكاملة يدل على قوته وعظمته وكبر
المستعاذ منه وتلك ليلة اقول ولا يخفى على الفطن المتدرب ان اول الكلام
في القرآن بسم الله اي اسم الله تعالى - واخر والناس - فكان دائرة
الوحدة ابتدأت من نقطة الالوهية وامتدت حتى ختمت على نقطة

العبودية فليس في الوجود شئ الا هاتين نقطتين ونقطة العبودية
وان كانت نقطة الاختيار الا انها منطوية في نقطة الالوهية
فلا يرى الا دائرة الوحدة فالحمد لله الذي هو الاول والآخر
والظاهر والباطن وهو بكل شئ محيط ٥ تم المجلد الرابع من تفسير
لوامع البيان - والحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان
والصلوة والسلام على من ارسل الى كافة الانس والجان
وعلى اله واصحابه الذين هم خير من
نطق بالقران

خاتمة طبع تفسير لوامع البيان

الحمد لله الذي هو بارئ النسم وسابغ النعم - والصلوة والسلام
على محمد سيد الانام الذي اتاه الله جوامع الكلم واله لا سيما على
الامام المهمام وهو امام الانام خليفة الله الملك العلام لنسله متمم
المهدي الموعود عليه الصلوة والسلام ومن على اصحابهما البررة
الكرام

اما بعد فيقول المرتضى بن شريف الحسيني المهدوي

ان اللہ عزوجل خلق لھذا الدین رجالا واخذ والکتاب للہ الکریم وسنۃ
رسولہ الذی خلق علی خلق عظیم حتی اصلحوا بھما احوال الناس من
المعاش والمعاد وھدوھم الی سبیل الرشاد فمنھم الامام العلامۃ الحبر القمقام العلامۃ
بحر العلوم عبد الرزاق بن علی الحسینی المھدوی الحنیدی ابادی فانہ صنف کتبا کثیرۃ فی فنون الدین لا
سیما سفرہ الکبیر المسمی بالوامع البیان فی تفسیر القرآن فانہ کشف فیہ القناع عن وجوہ الزواہر
والدرر فی توجیہ نکاتہ علی اسالیب لا تکاد توجد فی غیرہ حسن التفسیر الی اواخر الانبیاء اما بعد
فھذا ما تشتاق الجزء الاخیر منہ اعادنا اللہ فی طاعتہ بمنہ وجودہ وکرمہ صاحب الشرف
المنیف والذکر الشریف نواب محمد صدیق حسن خان بھادر ادام اللہ تعالی اقبالہ فی طبع ذلک
السفر الجلیل مرۃ بعد مرۃ حتی کملت طبعتہ الثالثۃ فی اواسط ربیع الاول من شھور سنۃ اثنتین وثلثین
ومائتین بعد الالف من ھجرۃ النبویۃ علیہ الف الف صلوۃ وتحیۃ فحامدا للہ ومصلیا علی رسولہ
ومستغفرہ ومتوبا الیہ الفقیر الی اللہ الغنی عبد الرحمن بن عبد اللہ عفا اللہ عنھما وغفر لھما
ولجمیع المسلمین انہ ولی ذلک والقادر علیہ وھو حسبنا ونعم الوکیل ولا حول ولا قوۃ الا باللہ العلی العظیم

السید الزمانی بھم اللہ تعالی سنہ ۱۲۸۱ ھ

فہرست الجزء الثلاثون من تفسیر لوامع البیان فی تفسیر القرآن

مضمون	صفحہ	مضمون	صفحہ
سورۃ النباء	۲	تفسیر قولہ تعالیٰ واحدائق	۵۰
تفسیر قولہ تعالیٰ وبنینا	۶	غلبا	
فوقکم سبعا شدادا	۵۱	بیان معنی الفاکہۃ وردّ قول	
بیان خراب عالم وفسادہ	۹	الازہری	
بیان السراب	۱۲	سورۃ التکویر	۵۵
تفسیر قولہ تعالیٰ لابثین فیہا	۱۵	تفسیر قولہ تعالیٰ فاذا الموؤدۃ	۵۷
احقابا ولا یذوقون فیہا بردا ولا شرابا		سئلت	
تفسیر قولہ تعالیٰ الا حمیما	۱۶	تفسیر قولہ تعالیٰ فلا اقسم	۶۰
وغساقا		بالخنس الخ	
سورۃ النازعات	۲۳	ردّ من قال ان جبریل علیہ	۶۳
تفسیر قولہ تعالیٰ فالمدبرات امرا	۲۴	السلام افضل من سیدنا محمد	
معنی قولہ تعالیٰ اعظاما نخرۃ	۲۷	رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم	
تفسیر قولہ تعالیٰ فاخذہ اللہ	۳۲	معنی قولہ تعالیٰ بضنین	۶۶
نکال الاخرۃ والاولیٰ وجواب		سورۃ الانفطار	۶۸
ما ذہب الیہ شیخ الاکبر		بحث انفطار	۶۸
جواب تسویۃ السماء والمحدثین	۳۵	بحث انفطار السماء	۶۹
فی اقوال الحکماء		تفسیر قولہ تعالیٰ ان الابرار	۷۴
سورۃ عبس	۴۳	لفی نعیم	

مضمون	صفحہ	مضمون	صفحہ
بیان الشفاعت	۷۶	بیان تنزیہ تعالیٰ وتقدس	۱۱۹
سورۃ المطففین	۷۸	سورۃ الغاشیۃ	۱۲۹
تفسیر قولہ تعالیٰ واذا کالوھم او وزنوھم	۷۹	تفسیر قولہ تعالیٰ الی الابل کیف خلقت و بیان خواص الابل	۱۳۰
مراتب الناظرین	۸۵		
بیان المقربین	۸۸	بیان احوال الجبال	۱۳۶
سورۃ الانشقاق	۹۲	بیان احوال الارض	۱۳۷
بیان انشقاق السماء	۹۲	سورۃ الفجر	۱۴۰
ابحث فی الشق	۹۳	بیان امرذات الثمار والبحث	۱۴۲
سورۃ البروج	۱۰۱	فی وجودھا	
قصہ اصحاب الاخدود	۱۰۲	تعریف النفس	۱۵۶
تفسیر قولہ تعالیٰ ھو الغفور الودود	۱۰۶	سورۃ البلد	۱۵۹
سورۃ الطارق	۱۰۹	البحث فی قولہ تعالیٰ لا اقسم البقعۃ الخ	۱۶۴
بیان اختلاف القراء والنحویین فی قولہ تعالیٰ ان کل نفس لما علیھا حافظ	۱۰۹	سورۃ الشمس	۱۶۹
		تفسیر قولہ تعالیٰ والسماء وما بناھا	۱۷۱
بیان الماء الدافق والبحث فی القوۃ العاقدۃ والمنعقدۃ	۱۱۱	تفسیر قولہ تعالیٰ فالھمھا فجورھا وتقواھا	۱۷۴
سورۃ الاعلیٰ	۱۱۹	تفسیر قولہ تعالیٰ قد افلح من	۱۷۵

مضمون	صفحہ
ذکاہا وبیان ترکیبۃ النفس	
سورۃ اللیل	۱۸۱
ان الجزاء بالاتقی بان ھو ابوبکر الصدیق رضی اللہ تعالیٰ عنہ امر علی کرم اللہ وجہہ	۱۸۵
سورۃ الضحیٰ	۱۸۸
تفسیر قولہ تعالیٰ ما ودعک ربک وما قلیٰ	۱۸۹
تفسیر قولہ تعالیٰ ووجدک ضالا فھدیٰ	۱۹۲
سورۃ الم نشرح	۱۹۶
بیان انشراح صدرہ	۱۹۶
تفسیر قولہ تعالیٰ الذی انقض ظھرک وبیان عصمت الانبیاء علیھم السلام	۱۹۸
سورۃ التین	۲۰۲
تفسیر قولہ تعالیٰ وطور سینین	۲۰۳
سورۃ اقرأ	۲۰۹
بیان فترۃ الوحی	۲۰۹
فوائد قلم	۲۱۲

مضمون	صفحہ
یجوز وقوع جملۃ الاستفتاح جوابا للشرط وغیرہ	۱۱۰
ابن حبان	۱۸۵
سورۃ القدر	۲۳۳
بیان ان القرآن نزل فی لیلۃ القدر	۲۳۰
کیفیۃ نزول القرآن وکونہ کلام اللہ تعالیٰ	۲۳۷
معنی القدر	۲۳۷
فضیلۃ لیلۃ القدر	۲۳۸
سورۃ البینۃ	۲۳۹
بیان قولہ تعالیٰ الا من بعد ما جاءتھم البینۃ وتفصیل الکلام فیہ	۲۳۵
سورۃ الزلزال	۲۴۰
بیان اسباب لزلزلۃ واھوالھا	۲۴۰
سورۃ العادیات	۲۴۰
بیان معنی العادیات والضبح	۲۴۶
سورۃ القارعۃ	۲۵۳
تفسیر قولہ تعالیٰ فامہ ھاویۃ	۲۵۷

	صفحہ
سورۃ التکاثر	۲۵۸
بیان علم الیقین و عین الیقین و حق الیقین	۲۶۰
سورۃ العصر	۲۶۴
بیان انما العمل لیس جزاً من الاعمال	۲۶۵
بیان الطلب	۲۶۷
سورۃ الہمز	۲۶۹
سورۃ الفیل	۲۷۲
بیان شان نزول الفیل	۲۷۳
تفسیر قولہ تعالیٰ فی جیدہا حبل	۲۷۷
تفسیر قولہ تعالیٰ کعصف ماکول	۲۷۸
سورۃ الہمزۃ قولہ تعالیٰ	۲۷۹
اختلاف فی معنی اللام فی قولہ لایلاف قریش	۲۷۹
تفسیر ایلاف قریش	۲۸۱
تفسیر قولہ تعالیٰ رحلۃ الشتاء	۲۸۲
سورۃ الماعون معنی الذین	۲۸۴
معنی یراؤن	۲۸۷
سورۃ الکوثر	۲۸۸
بیان معنی الکوثر	۲۸۹

	صفحہ
سورۃ الکافرون	۲۹۱
تفسیر قولہ تعالیٰ لا اعبد ما تعبدون	۲۹۳
و تفصیل الکلام فیہ	
تفسیر قولہ تعالیٰ لکم دینکم ولی دین	۲۹۴
کلام الصوفیۃ فی قولہ تعالیٰ	۲۹۵
لکم دینکم ولی دین	
سورۃ النصر	۲۹۷
سورۃ تبت	۳۰۰
بیان شان نزولہا	۳۰۱
تفسیر قولہ تعالیٰ فی جیدہا حبل	۳۰۴
من مسد	
سورۃ الاخلاص	۳۰۶
تفسیر قولہ تعالیٰ قل ہو اللہ احد	۳۰۶
و تفصیل الکلام فی معنی الصمد	۳۰۹
بیان وجوہ القرات فی قولہ	۳۱۰
لم یکن لہ کفوا احد	
سورۃ الفلق	۳۱۳
بیان شان نزولہا	۳۱۳
سورۃ الناس	۳۱۸
تفسیر قولہ تعالیٰ من الجنۃ والناس	۳۲۲
خاتمۃ طبع تفسیر لوامع البیان	۳۲۳

تمت